اعداد وتحقيق

داود مراد ختاري

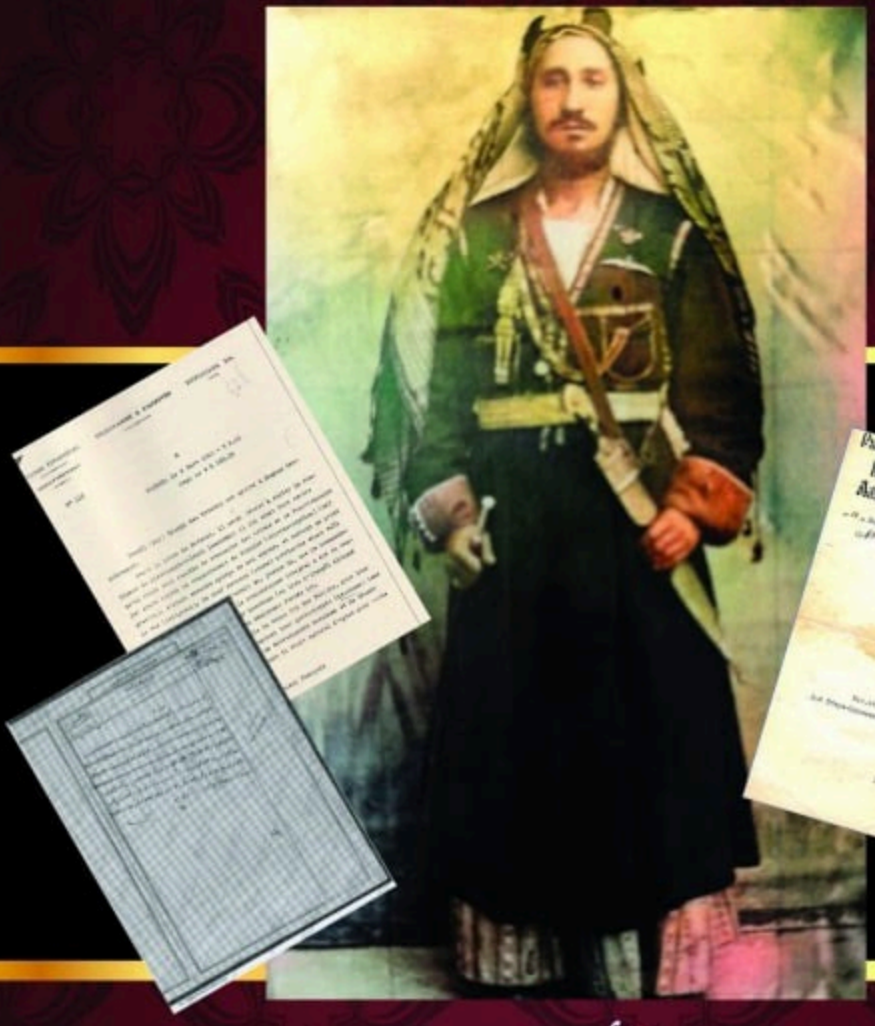

داود مراد ختاري

الأمير إسماعيل چول بك

(١٨٨٨- ٩ آذار ١٩٣٣)

الأمير
إسماعيل چول بك

(١٨٨٨- ٩ آذار ١٩٣٣)

وفق الوثائق العثمانية ـ الإنكليزية ـ الفرنسية ـ الأرمنية وما دونه في سيرته

اعداد وتحقيق

داود مراد ختاري

الأمير

إسماعيل چول بك

(١٨٨٨- ٩ آذار ١٩٣٣)

ـ وفق الوثائق العثمانية ـ الإنكليزية ـ الفرنسية ـ الأرمنية وما دونه في سيرته

✓ **إسم الكتاب:** الأمير إسماعيل چول بك (١٨٨٨- ٩ آذار ١٩٣٣)

(وفق الوثائق العثمانية ـ الإنكليزية ـ الفرنسية ـ الأرمنية وما دونه في سيرته)

✓ **إسم المؤلف: داود مراد ختاري**

✓ **تصميم: رشاد البيجرماني**

✓ **قياس الورقة: ٢٤ X ١٧**

✓ **عدد الصفحات: ٢٨٤**

✓ **الطبعة الأولى: ٢٠٢٢**

✓ **مطبعة: جنكل، طهران**

✓ **عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة**

✓ **رقم الايداع: مديرية المكتبات العامة في دهوك ٢١/٣١٣٢/- D**

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ©

الفهرست

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
كلمة لا بد منها	١٤
الأمير المتنور إسماعيل بك، بقلم بير خدر سليمان	١٧
الأمير اسماعيل بك، بقلم الباحث الامريكي (جون س كيست)	٣١
قراءةٌ في كتاب (اليزيدية قديماً وحديثاً، أميرٌ أكبر من إمارة)	٦١
إسماعيل بك رائد حركة النهضة الاجتماعية الأيزيدية	٦٤
دراسة في فكر الأمير إسماعيل عبدي چول بك... فرماز غريبو	٦٨
سيرة إسماعيل بك (كتبها بنفسه)	٨٠
ماورد في الوثائق العثمانية عن اسماعيل بك	١٧٧
حملات الإبادة في مذكرات الأمير إسماعيل بك	٢٠٥
معتقدات اليزيدية وعاداتهم وكيفية خلق الكون	٢١٤
المراجع الرئيسية	٢٧٧

المقدمة

المحامية والباحثة / عالية بايزيد إسماعيل بك

هذه مقدمة لكتاب الأمير إسماعيل جول بك ١٨٨٨_١٩٣٣، مادونه في مذكراته، ووفق الوثائق العثمانية والانكليزية والفرنسية، للباحث داود مراد ختاري

ان الكتابة عن سيرة ونضال الأمير إسماعيل بك تستحق بجدارة الاهتمام والمتابعة لكل ذي شأن ومهتم بشؤون التاريخ والديانة اليزيدية لانها توثق لحقبة تاريخية مهمة من احداث ووقائع وشخصيات اثرت بشكل أو بأخر على مجريات الأحداث التاريخية، والكتاب الذي بين ايدينا الذي حققه ونقحه الباحث داود ختاري مشكوراً ماهو الا إنعكاسا لتلك الإنجازات والنجاحات.

لقد بذل الكاتب جهدا في توثيق ماورد على لسان الأمير إسماعيل بك في سرد سيرته وما دونه الكتاب والباحثين عنه وخاصة المستشرق (جون س كيست) من معلومات عن حياته ورحلاته ومواقفه وانجازاته، موثقة بالمكاتبات والوثائق الرسمية التي استطاع الكاتب الحصول عليها ليؤرخ تلك الاقوال والكتابات وبالادلة لاحداث مهمة ويكشف تفاصيلها وملابساتها بعناوينها، ولتؤرخ حقبة مهمة من تاريخ اليزيدية وابرزالشخصيات وتاثيرها في الاحداث .

فهذا الكتاب ليس كتاباً تقليدياً عن حياة أحد المشاهير، بل هو رحلة ممتعة مليئة بالتجارب الانسانية الحقيقية، يوثق لحياة ورحلات وانجازات الأمير إسماعيل بك في تفاصيل ومشاهد حياتية وانسانية واجتماعية ولحظات غيرعادية مليئة بالتجارب وردت على لسانه .

فالأمير إسماعيل بك جاهد وناضل في سبيل شرح الدين اليزيدي وتعاليمه في بلاد تواجد اليزيديين في القوقاز أو روسيا القيصرية ودولة الخلافة العثمانية وتركيا

الحديثة وسوريا والعراق، تحمل مسؤوليتهم امام تلك الدول الكبرى واتصل مع الانكليز في العراق والحكومة العراقية جاهداً لتوفير الحماية ورفع الغبن عنهم، حاملا مطالبهم لتلك الحكومات، حتى تمكن من تحقيق الكثير من الانجازات بجهوده الشخصية، واستطاع ان يترك بصمة واضحة لازالت ماثلة الى الآن، أبى التاريخ الا ان يخلده بها .

فصفة " رائد النهضة التعليمية" و"الأمير المتنور" لم تطلق عليه اعتباطا انما جاءت نتيجة جهوده من اجل العلم، فهو أول من دعى الى تعليم الاولاد وادخالهم المدارس، وقد ابتدأ باولاده وبناته في عشرينات وثلاثينات القرن الماضي، وادخلهم المدارس الداخلية الامريكية في الموصل، وكان ابنه عبد الكريم أول معلم يزيدي، وكان يؤكد على اهمية العلم والتعلم في جميع لقائاته مع الناس والوجهاء الذين يلتقيهم، وهو الامي كما يشهد على نفسه بذلك، فقد كان يكرر انه لم يرتاد المدارس ولا الجامعات لكن مرجعيته كانت دائما الحياة وتجاربها .

استطاع ان ينحت في الصخر لوحده ليحقق الانجازات والنجاحات، كان صبورا، ابي النفس عزيزه، مرفوع الهامة رغم الظروف الحياتية الصعبة، رفض العديد من المناصب والعروض والمغريات التي قدمت له من قادة تلك الدول العظمى، لانه كان يعتبر نفسه اكبر من كل المناصب والمغريات، فهو أمير ومن عائلة اميرية عريقة و " أمير أكبر من امارة " كما قال عنه الكاتب ريوان ميراني .

حياته لم تكن سهلة كما قد يتصورها البعض، بل كانت وعرة مليئة بالتحديات والمخاطر والتضحيات، مليئة بالتجارب الحياتية سلبية كانت ام ايجابية، واجه الكثير من الصعاب والمحن والبلايا لكنه استطاع التغلب عليها بذكائه الفطري وشجاعتة ودهائه، وحقق انجازات مهمة لايحققها الا من امتلك الجرأة والشجاعة،

فقد ابتدأ رحلاته وهو في ريعان شبابه بين ١٩٠٦_١٩٠٧ الى سنجار متجولاً بين القرى والمجمعات يوضح مبادىء دينهم ويشرحها لهم، يحل الخلافات والمنازعات أبرزها دوره الكبيرفي الصلح بين عشيرة الفقراء وعشيرة السموقيين، يتوجه بعدها الى جبال

طوروس وديار بكر وويران شار في تركيا، ومنها الى حلب وضواحيها في سوريا ثم يعود الى عينتاب وكلس وبير جوك ونصيبين ثم الى باعذرة .

لتبدأ رحلته الثانية في ١٩٠٨_١٩٠٩ الى سنجار مرة أخرى ومنها الى جبال طوروس ومدياد وديار بكر وزوزان وارضروم ويختم هناك جواز سفره في القنصلية الروسية لينتقل الى روسيا في سرحد واخباران واديكور وقارس وايراوان وسورملي وتفليس ويبقى بينهم اشهراً عديدة يطرق ابواب الحكومة القيصرية لتقديم طلبات اليزيديين هناك وتتم الموافقة عليها، ويحقق لهم مشاريع وانجازات عديدة وردت تفاصيلها في هذا الكتاب .

لنقف على رحلته الى روسيا مثلا التي كانت مليئة بالصعاب والمخاطر، فقد كان عليه ان يواجه اولاً سلطات الحدود بين تركيا وروسيا التي فرضت عليه رسوماً باهضة بسبب الهدايا التي جلبها معه من العراق والتي كانت فوق امكانياته المادية، فاضطر ان يسلك بجوازه التي تمنح له إقامة قانونية طريق الجبال الوعرة والمرور عبر قرى كردية يسكنها مسلمون وهي رحلة محفوفة بالمخاطر لانه كان عليه ان يقيم بينهم أياما حتى يعبر من خلالهم الى القرى اليزيدية، وللخروج من هذا المأزق كان عليه الادعاء بانه من دراويش الطريقة القادرية في بغداد، كي يؤمن على نفسه وعلى من معه، فلقى الترحيب والاستحسان وكان الناس يأتون اليه من القرى المجاورة للتبرك وطلب الدعاء لهم، وكانوا يسألونه اسئلة شرعية فيجيبهم بالمبادىء العامة، وكانت بعض من تلك الاسئلة محرجة فيجيبهم بذكاء فطري، فقد سئل عن شرعية قتل اليزيديين والأرمن بسبب الدين، فكان جوابه ان قتل اي شخص يكون شرعاً وحلالاً فقط في حالة الدفاع عن النفس بغض النظر عن دينه وعقيدته، هذه الاجابة تنم عن مدى قدرته في تخطي المواقف الصعبة بذكاء ودهاء جعل الناس هناك راضين عنه دون ان يمس عقائدهم بل على العكس اضفى صفة الانسانية اساساً لأي تعامل مع الآخرين، وهذا دليل على تفتح ذهنه وسعة إدراكه للأمور.

وحين وصوله القرى والتجمعات اليزيدية في روسيا القيصرية، التف حوله الناس من كل القرى، يشرح لهم مبادىء الديانة اليزيدية وطقوسها وعباداتها، فقد كانوا

منعزلين جغرافياً عن أوطانهم ومعلوماتهم مضطربة بعض الشيء بحاجة لمن يرشدهم ويوعظهم دينياً، وطلب كتابة تلك الإرشادات والتعليمات بوثيقة توزع على القرى اليزيدية لتكون مرجعاً لهم في الأمور الدينية، وطلب مساعدة الكنيسة الأرمنية في فتح المدارس في القرى اليزيدية تحت حمايتهم ووافقت الكنيسة وتكفلت بكل مصاريف ولوازم المدارس في مناطق تواجد اليزيديين هناك، وقدم وثيقة الى الحكومة القيصرية للاعتراف بالديانة اليزيدية رسميا في البلاد، وتم الاعتراف باليزيدية كديانة رسمية مستقلة هناك، ووثيقة أخرى الى الحكومة بتنصيب يوسف بك بن حسن بك زعيماً ومسؤلاً على يزيدية يريفان، وتعيين علي آغا بن عمر آغا زعيماً على يزيدية ديغور، وعمر آغا شمكي زعيما على يزيدية اخباران، وتمت الموافقة على جميع تلك الطلبات .

وفي عام ١٩١٢ اعاد جولاته الى تركيا، وبمساعدة الكنيسة الأرمنية هناك استطاع ان يلتقي الصدر الاعظم في اسطنبول، وان يحصل على فتوى من شيخ الاسلام هناك بالاعتراف بالديانة اليزيدية وقدسية الشيخ عدي والموافقة على اعادة الرموز والنياشين المقدسة التي كان قد سلبها الفريق عمر وهبي باشا اثناء حملته على اليزيديين في ١٨٩٢، الا انه لم ينجح في استعادة تلك النياشين المسروقة ، فقد تم إرسال صيغة هذه الفتوى الى الموصل للمصادقة عليها، فارسل والي الموصل الفتوى الى علي بك لبيان الراي، فامهلهم يومين لتقديم الراي، ولدى مشاورة علي بك حاشيته نصحوه بعدم الموافقة على تسليم تلك النياشين الى إسماعيل بك لانه لايملك حق التفاوض مع حكومة الباب العالي، فتم على اثر هذا الجواب تعليق اصدارالفتوى، ولم تزل معلقة الى الان بسبب تدخل علي بك، فكانت تلك كما ذكر جون كيست جريمة بحق إسماعيل بك وبحق اليزيدية على النحو المفصل في هذا الكتاب .

فقد سعى الأمير إسماعيل بك مخلصا الى تقديم العون والمساعدة واعلاء شان الديانة اليزيدية لدى الحكومات وكان يملك الكاريزما والامكانيات لتحقيق تلك الاهداف، إلا ان علي بك وزوجته ميان خاتون وقفوا بالضد من اي محاولة له خوفا منه ومن انتقال الإمارة اليه بسبب نفوذه وشخصيته وشعبيته.

فقد بلغ الامر انه عندما قتل علي بك في بيته في باعذرة ١٩١٣،كان إسماعيل بك موجودا في دير مار بهنام، فاراد ان يعود الى باعذرة لحضور مراسيم العزاء، وتولي شؤون الإمارة بعد موت علي بك، بناء على اقتراح غالبية اعضاء بيت الإمارة، لان ابنه سعيد بك لايزال صغيراً لم يتجاوز الثالثة عشر من عمره، الا ان ميان خاتون رفضت بشدة هذا الاقتراح، بل تمادت الى حد إتهام أخيها بمقتل زوجها وتقديم شكوى ضده في الموصل لمنعه من دخول باعذرة والتخلص منه لحين تنصيب ابنها سعيد بك أميراً، وفعلا تم توقيف إسماعيل بك للتحقيق معه والذي ثبتت برائته بسرعة، ولكن بعد ان قامت ميان خاتون وعلى وجه السرعة وبمساعدة درويش الشيخكي وبعض القوالين بإجراءات تنصيب ابنها القاصراميراً وتنصيب نفسها وصية على ابنها واستولت على كل مدخولات الإمارة وتم لها ما ارادت .

وتقرر ميان خاتون وقف حصته من المدخولات الأميرية، فيقرر كل من، د،جورج ستانلي والمس الن مارتن من البعثة الانكليزية في الموصل التدخل بين ميان خاتون وأخيها إسماعيل بك، فيتوصلا الى اتفاق على ان تخصص خيرات سنجق سنجار وشرق الاناضول لإسماعيل بك فيما تبقى بقية السناجق لسعيد بك .

وقد بارك حمو شرو رئيس عشيرة الفقراء وداود الداود رئيس المهركان هذا الاتفاق على ان ينتقل إسماعيل بك للاقامة في سنجار، الا ان ميان خاتون وبعدة فترة قصيرة وبمشورة المقربين منها ترجع عن هذا الاتفاق وتامر بإعادة سنجق سنجارمن اخيها إسماعيل بك، فتتم خيانته من القوالين المرافقين معه اثناء نومه في قرية حمدون فيبدلون السنجق الأصلي للطاووس بآخر مزيف، كما يغدر به أخوه جول بك الذي كان يرافقه ويسرق حصان أخيه ويعودون الى باعذرة، ويتركون إسماعيل بك وحيدًا هناك، ليتم بعدها سجن أخوه الخائن جول بك واعادة الحصان اليه، ويقرر سليمان نظيف باشا تخصيص راتب لإسماعيل بك على ان يبقى في سنجار ولايعود الى باعذرة منعا للخلافات العائلية.

ويتدخل القائد العسكري لجمن لحل الخلافات بين إسماعيل بك وميان خاتون بعد ان يحبس طاووس سنجار بموافقة وجهاء سنجار لانها من حقه،ويقرر ان يرحل

إسماعيل بك مع عائلته الى بغداد بناء على شكوى من اخته، فيبقى هناك سنتين ونصف مع عائلته في بغداد ويخصص له راتب من قبل الحكومة.

وعندما يسيطر الانكليز على الموصل يطلب القائد العسكري لجمن من إسماعيل بك ان يكون وكيلا للانكليز في الموصل لكنه يرفض ويقترح ان يكون حمو شرو وكيلا بديلا عنه ، ثم يقترح لجمن ان يكون حاكما لسنجار لكنه يرفض مرة اخرى .

فيتوفى لجمن ليحل محله السير برسي كوكس الذي يسمح لإسماعيل بك بالعودة الى سنجار ١٩٢١، ويخصص له راتب من الحكومة، فيكون إسماعيل بك اميرا في سنجار ويكون قصره هناك مقرا لاقامته وإقامة عائلته، وملتقى جميع الوجهاء والفقراء والزوار والغرباء من الناس ويتخلى عن طموحه في حصته من مدخولات الإمارة ، فيقل تاثير نفوذه على ميان خاتون وابنها سعيد بك ، ويكرس اوقاته في كتابة الاقوال وتعاليم الديانة اليزيدية، ويطلب من الصحفي الالماني شوتز نشر هذه التعاليم باللغات الاوربية في كتاب كي تبقى وتنتشر بين اليزيديين ولاتندثر.

فتتحول اهتماماته الى نقل معلوماته الدينية وتجاربه الشخصية وتدوينها في كتاب باسلوب مشوق ولغة بسيطة شفافة وسرد ممتع وتوصيف واضح، يكشف اسرار وخفايا الاوضاع في تلك المرحلة بالتفصيل، وكأن شريط حياته يمر أمام أعين القارىء بكل سلاسة، ويرسل مخطوطاته المدونة عن لسانه والتي كتبت بالعامية الى مجلة الجامعة الأميركية لنشرها، لكن المجلة تتوقف عن الصدور، فيتولى قسطنطين زريق الاستاذ بالجامعة الأميريكية في بيروت تحقيق وتنقيح المخطوطة وينشرها في كتاب صدرعام ١٩٣٤حينها كان إسماعيل بك قد توفي في ٩ اذار ١٩٣٣ في سنجار وهو بعمر ٤٥ سنة ولم يعلم بصدور ونشر كتابه .

ان مطالبة إسماعيل بك في حقه في الإمارة لم تاتي من فراغ، انما كانت هناك سوابق تاريخية حيث يتولى اقارب الأمير المتوفي كالاخ أو ابن العم من العائلة شؤون الإمارة اذا كان ابن الأمير المتوفي صغير أو غير قادرعلى إدارة شؤون الإمارة ومسؤولياتها، ولنقف عند بعض الحالات التي انتقلت فيها الإمارة الى الإخوة أو احد افراد العائلة وليست حصراً بالابناء فقط:

- في الفترة مابين ١٧٥٩_١٧٧٩ كان جول بك بن بداخ بك اميرا على اليزيدية .
- استلم ابنه خنجر بك الإمارة للفترة من ١٧٩٠_١٧٩١ الإمارة بعد وفاة والده .
- والفترة بين ١٧٩١_ ١٨٠٦ يتولى حسن بك اخو خنجر بك الإمارة .
- ١٨٠٦_١٨٠٩ اصبح صالح بك بن حسن بك اميرا لليزيدية .
- ١٨٠٩_١٨٣٢ يكون علي بك بن حسن بك اميرا على اليزيدية
- ١٨٣٢ يقتل علي بك على يد محمد الراوندوزي
- ١٨٣٢_١٨٤١ يعين جاسم بك بن علي بك اميرا لليزيدية
- ١٨٤١_ ١٨٥٣ يكون حسين بك بن حسن بك اميرا لليزيدية بوصاية من الشيخ ناصر بابا شيخ
- ١٨٥٣ يخلع الأمير حسين بك من قبل والي الموصل حلمي باشا
- ١٨٥٣_١٨٧٥ يعاد حسين بك بن حسن بك للامارة من قبل السلطات العثمانية
- ١٨٧٥ يعتقل حسين بك ويوضع تحت الاقامة الجبرية في الموصل
- ١٨٧٨ يطلق سراح حسين بك ويستلم الإمارة مجددا
- ١٨٧٥ _ ١٨٧٨ في هذه الفترة كان عبدي بك بن جول بك والد إسماعيل بك وميان خاتون يتولى شؤون الإمارة خلال فترة اعتقال حسين بك
- ١٨٧٨ يتوفي عبدي بك
- ١٨٧٩ يتوفي حسين بك
- ١٨٧٩_١٨٩٩ يصبح ميرزا بك بن حسين بك اميرا لليزيدية
- ١٨٩٩ يتوفي الأمير ميرزا بك
- ١٨٩٩_١٩١٣ يصبح علي بك بن حسين بك اميرا لليزيدية
- ١٩١٣ يقتل علي بك

فمطالبة الأمير إسماعيل بك في حقه في الإمارة تؤكده عدة سوابق تاريخية كما ورد اعلاه، فقد استلم الأمير عبدي بك الإمارة من أخيه بصفة الوصي على حسين بك عندما خلع العثمانيون حسين بك عم إسماعيل بك وميان خاتون، ذلك الحق الذي وقفت ضده بكل شدة وقسوة ميان خاتون وحاربته بضراوة من اجله .

وإذا أتينا الى أهم مواقف الأمير إسماعيل بك لرأينا موقفه ودوره المشرف في حماية الأرمن من المذابح العثمانية ومساندتهم اياهم في محنتهم بشجاعة كبيرة، حيث يصدر الباب العالي قراراً بحملة إبادة مذابح ضد الأرمن في ١٩١٧، يخبر إسماعيل بك حمو شرو ووجهاء اليزيدية في سنجار برغبته في حماية الأرمن واحتوائهم لمواقفهم المشرفة مع يزيدية روسيا، فيوافقون ويرسلون رسولاً الى دير زعفران يبدون فيه إستعدادهم لإحتواء الأرمن في سنجار ومساندتم، وقد قدرت الحكومة البريطانية موقف إسماعيل ومعه وجهاء سنجار في دعمهم للأرمن وحمايتهم .

وبعد فترة يقطع اليزيديون في سنجار خطوط مواصلات سير القوات العسكرية العثمانية المتجهة الى نصيبين ويأسرون عددا من العساكر، فيطلب الباب العالي من اليزيديين إعادة الآسرى وتسليم الأرمن اليهم، لكن إسماعيل بك وحمو شرو يرفضون تسليم الأرمن والاسرى، فيهيء الباب العالي حملة عسكرية على اليزيديين، هنا يستنجد إسماعيل بك بالانكليز في بغداد حيث يجمع تواقيع رؤساء عشائر ويذهب الى بغداد طالبا حماية الانكليز من العثمانيين ضدهم، ويلتقي إسماعيل بك المارشال ستانلي ومس بيل ويطلب منهما تزويده بمعدات عسكرية ومجموعة من العساكر الهنود فتتم الموافقة على طلبه ويرسلون معه ضباط انكليز فيجتمعون مع رؤساء عشائر سنجار ويتمكنون من السيطرة على الموصل وسنجار .

وبعد دحر العثمانيين وخسارتهم الحرب العالمية الأولى، يطلب القائد ليجمن من إسماعيل بك ان يكون وكيلا للانكليز في الموصل لكنه يرفض ويطلب ان يكون حمو شرو وكيلا بدلا عنه، ثم يقرر لجمن ان يكون إسماعيل بك حاكما لسنجار لكنه يرفض مرة اخرى ويقترح من لجمن ان يكون اميراً في سنجار ويستلم طاووس سنجار وتتم الموافقة على ذلك بموافقة ميان خاتون وحمو شرو، لكن ميان خاتون تتراجع

عن ذلك وتمنع إسماعيل بك اخاها من طاووس سنجار فيتجدد الخلاف بينهما ويتخلى الانكليز عن مساندة إسماعيل بك لانهم لايريدون ان يقحموا انفسهم في خلافات عائلية، فيطلبون منه ان ياتي الى بغداد مع عائلته ثم يسمحون له ان يعود الى سنجار بعد عدة سنوات لكنه لم يبقَ طويلا حيث يتوفى في سنة ١٩٣٣.

هذه الاحداث لم انسجها من خيالات وأوهام ولم استند عليها على أقوال إسماعيل بك فقط كي لا يتهمني احد بالانحياز، إنما هي أحداث ذكرها كتاب آخرون وبتفاصيل ووقائع أكثر على النحو الذي سيراه القارىء بين دفتي هذا الكتاب وبالوثائق والأدلة، فانا لا اريد ان افكر نيابة عن القارىء ولا افرض عليه رؤيتي ولا احكاما مسبقة، وانما اريد ان اكون شاهدة عدل تتوخى الامانة في نقل ماذكر من احداث تاريخية مهمة حدثت بالفعل واترك القرار للقارىء في تقدير هذه الوقائع وتقييمها .

هذا الكتاب جدير بالقراءة فهي رسالة للشباب خاصة المقبلين على الحياة قد تختصر عليهم مشوارا طويلا من البحث عن طريق النجاح لمشاهير افادوا مجتمعاتهم، مفادها ان النجاح لايكون سهلا انما يكون محفوفا بالتضحيات والمخاطر، وان تحديد اهمية نجاح الشخص أو عظمته يتجلى فيما يحدثه من فارق ومايحققه من انجازات تؤثر في حياة الاخرين ... يقول افلاطون في هذا الصدد " اولئك الذين ينوون ان يصبحوا عظماء يجب ان لايحبوا انفسهم فقط ولا اشيائهم الخاصة، ولكن فقط يحبون كل ما هو عادل سواء من قبل انفسهم أو من قبل الاخرين".

وهذا ما سار عليه الأمير إسماعيل بك خلال فترة حياته القصيرة، هذا النجاح الحقيقي حققه بيديه دون أن يتوسله من أحد بل حفر صخر الحياة بيديه لم يابه لانفضاض المقربين منه وتخليهم عنه ولاحتى خيانتهم له فقد عانى المشقات وعبر الصعاب بصبر للوصول الى تحقيق أهدافه مهما كانت الصعوبات.

كلمة لابد منها:

عند التمعن في تاريخ ورحلات الأمير اسماعيل چول بك يتبين للمرىء بان هذه الشخصية كان نشطاً ومثابراً من أجل قضية مجتمع بأسره، وحاول انقاذ مللته من معضلات التغيرات الحاصلة في المنطقة وخاصة الحروب الدامية ومنها الحرب العالمية الاولى، وبعدها وقوع الايزيدية بين الحدود المصطنعة الجديدة من قبل الدول الغربية فأصبحوا بين تركيا وسوريا والعراق وطريقة التواصل بينهم صعبة للغاية ومن جهة أخرى الصراع بين بريطانيا وفرنسا على جبل سنجار وبحيرة الخاتونية ، لكنه كان محنكاً ومفكراً بالرغم من عدم معرفته بالقراءة والكتابة، لقد حاولت فرنسا السيطرة على جبل سنجار بالطرق الدبلوماسية واستمالة الأهالي الى جنبهم والإتفاق مع إسماعيل بك وحمو شرو وجهائهم ليمضوا على وثيقة يطالبون الجهة البريطانية بالإنسحاب من جبل سنجار وتكون المنطقة تحت الانتداب الفرنسي، لكن بحكمة إسماعيل بك والوجهاء لم يتعانوا مع الفرنسيين وتصبح المنطقة منطقة الصراع بين الدولتين.

طلبت بريطانيا العظمى من إسماعيل بك أن يكون حاكماً على منطقة سنجار وتلتحق بها بحيرة الخاتونية وعدد كبير من قرى سوريا الحالية وتكوين إمارة، لكونه رفض وقال أريد أن يحكموا أهالي سنجار منطقتهم ، بالرغم كان ذلك عهداً جديداً للايزيدية وكان بإمكانه توسيع علاقاته وارتباطاته مع الدول والحكومات القريبة وكان ذلك من مصلحة المجتمع الايزيدي ، ومازلنا نتألم من رفضه لهذه التوصية.

حينما يقال بالأمير المتنور، لم تأتي هذه التسمية من الفراغ وانما من عمله وخطواته التنويرية، فحينما زار مدينة قرص ومناطق أرمينيا أوصى الحكومة بإدخال أطفال الايزيدية الى المدارس ولا يجوز حرمانهم من التعليم وكانت الفرصة

الذهبية لهذه المنطقة وتم فتح المدارس وتخرج منها المئات من الطلبة وبرز منهم علماء ومؤرخين وروائيين ومفكرين أمثال قناتي كردو، عرب شمو، حاجي جندي ، أحمد ميرازي، أمين عفدال وآخرين ، ثانياً أدخل ابناءه الى المدارس وتخرج ابنه عبدالكريم كأول معلم ايزيدي وابنته ونسة من الجامعة الامريكية ، وشجع جميع الايزيدية وخاصة أهالي سنجار للدخول الى المدارس، لانه كان يرى تطوير المجتمع من خلال دخولهم المدارس لتعلم العلم والمعرفة .

تعامله الصريح وتعاونه مع الانكليز أنقذ الايزيدية من مشاكل جمة ومنح الايزيدية في سنجار حق التصرف بشبه حكم ذاتي يحكمون بأنفسهم، وتعين الفقير حمو شرو حاكماً مطلقاً بكافة الصلاحيات ، لولا مراجعاته للضباط البريطانيين وتعهده لهم بالولاء التام لما منحوا الايزيدية هذا الاستقلال والاستقرار .

أما عن علاقته مع الأرمن وانقاذهم من محنتهم سنة ١٩١٦ – ١٩١٨م لانهم هربوا من بطش العثمانيين وبناءً على طلب الامير اسماعيل بك وحمو شرو ووجهاء سنجار تم ايوائهم بأعداد هائلة بالرغم من معارضة العثمانيين بتسليمهم وقدموا قرابين وتضحيات كبيرة ودافعوا عن هؤلاء بكل امكانياتهم المتاحة من حيث توفر السكن والقوت السنوي والحماية وبناء كنيسة وتوفير العمل، وحينما تفشى وباء الكوليرا بينهم حاول الايزيدية معالجتهم بالوسائل الصحية والعلاجية والنفسية لانهم كانوا خائفين من طردهم لان المرض كان ينتقل بسرعة بين الأشخاص، بالرغم من كل المضايقات من قبل الجيش العثماني ومرض الكوليرا والغلاء الفاحش وقطع العلاقة بين الحكومة في الموصل وجبل سنجار لكن الايزيدية حافظوا على الأرمن وأوفوا بعهدهم وهذا ما يذكره الأب اسحاق ارملة بقلم شاهد عيان بالتفصيل في كتاب القصارى في نكبة النصارى ١٩١٩م .

فيما يخص مواضيع الكتاب لقد حولنا ما قاله الأمير اسماعيل بك عن سيرته من الكلام العامية الى العربية الفصحى ومادونه الدكتور قسطنطين زريق في كتابه اليزيدية قديماً وحديثاً المطبوع في الجامعة الامريكية سنة ١٩٣٣م بعد وفاة الأمير ، وترتيبه بوضع العناوين لزيارة المناطق والشخصيات والقضايا المهمة، وهذا ما يسهل

على القارىء معرفة الأحداث، بينما كتب زريق دون عنوان بل كلام متصل من البداية الى النهاية، وكذلك العمل بتحويل الحديث من العامية الى الفصحى ونرتيب العناوين لها وفصل موضوع عن آخر في كتابه اليزيديون عقائدهم وتقاليدهم إعداد ممدوح الزوبي وحققت في هذا الكتاب أيضاً بالتفصيل .

كل ما قاله الأمير إسماعيل بك تحققت من صحة كلامه وذلك بالحصول على وثائق طلباتهم وزياراته من خلال الأرشيف العثماني ووثيقة باللغة الفرنسية وأخرى بالارمنية وتبين كل ما قاله هو الصواب ولم يمدح نفسه بل كتب عن عمله الحقيقي، وكذلك ما أكده الباحث الأمريكي جون س كيست من خلال المصادر الرصينة والوثائق البريطانية في كتابه (الحياة بين الكرد – تاريخ اليزيديين) وقد ترجمت كتابه الى اللغة الكردية اللاتيني ، دار نشر سيلاف في مدينة وان، سنة ٢٠٢١ .

العمل على تحويل للكتابين من لهجة عامية الى الفصحى أخذ مني وقتاً، وكذلك الحصول على الوثائق العثمانية والارمنية والفرنسية وترجمتهم وكذلك ترجمة مقالة أستاذي المرحوم بير خدر سليمان الى العربية ، حيث كتب ملاحظاته على الترجمة وتوفي في اليوم الثاني .

كل هذا العمل والاعداد والترجمات والتحقيق وترتيب العناوين كان أصعب من عمل التأليف، أقدم بالشكر الى الباحثة والمحامية / عالية بايزيد اسماعيل بك على كتابة المقدمة للكتاب، وكذلك أحفاد إسماعيل بك لمساعدتهم على طبع الكتاب، أتمنى إني قد وفقت في هذا العمل التاريخي، والله من وراء القصد .

داود مراد ختاري

الأمير المتنور إسماعيل بك[1]:

بقلم الباحث بير خدر سليمان ترجمة داود مراد ختاري

في إجتماع مركز الدراسات الايزدية في اولدنبورك /المانيا واثناء الاستعدادات لوضع منهاج المؤتمر العلمي السنوي المخصص لهذا العام للتطرق لمشاهير الايزديين سألني زميلي الدكتور عسكرئ بويك عن الشخصية التي أتطرق اليها في بحثي قلت له تمهل لننتظر كتابنا عمن يكتبون وعندما تصفحت عناوين البحوث رأيت أنها تحوي أسماء العديد من الشخصيات الايزدية التي لها بصماتها على تاريخ الايزديين لكن لم يتطرق أحدا منهم الى شخصية الأمير إسماعيل چول بك فقررت الكتابة عنه لأنه لم يكن شخصا عاديا في حياته في تلك الفترة الحرجة المليئة بالأحداث الجسام من تاريخ

[1] - Pir xidir sileman, simayil beg,kovara ezdinas 1. Navenda lekolinen ezdinasiye, Oldenburg 2014, l 105-117.

المنطقة والايزديين بل كان شخصاعصاميا مثيرا للجدل وللأسف قد غدر به الايزديون ومن بينهم أهله المقربون قبل الأغيار) ويجب ان لا يتم تهميشه او الغدر به في هذا المؤتمر أيضا.

وأقول أيضاً: إننا لا نعمل بشكل صحيح وعندما يودّ شخصٌ ما من بيننا أن يجتهد أو يفعل الصواب فإننا نقف له بالمرصاد وننتقده بل ونحاربه، أمّا بالنسبة للسيد إسماعيل بك، حتى نهاية الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي كنتُ أراه. عندما كان رجال وشباب شيخان يجتمعون ويريدون أن يكلفوا شخصاً ما بعملٍ ما أو يطعموه ويسقوه ويقدموا له صحناً، كانوا يقولون له وهم يضحكون: قسماً بقبر إسماعيل بك هو كذلك ... السؤال هو: من ولماذا شُوِّهتْ سمعةُ إسماعيل بك ولم يسمح له بالبقاء في شيخان فهام على وجهه في البلاد مجبراً وفي نهاية حياته المليئة بالأحداث المثيرة يموت في شنكال ويُبنى له على قبره قبةٌ مثله كمثل أيّ أصيلٍ ومُميّز...

لماذا حتى الآن الكثيرون من إيزيديّ شنكال وشمال كوردستان وأرمينيا وجورجيا يتذكرون إسماعيل بك؟ ولاسيّما أحفاد عائلة دودو آغا ويوسف بك وميرزا ظاظا (ميسكى زازا) وغيرهم الكثير الكثير، هذا التساؤل وأسئلة كثيرة تطرح نفسها بشأن هذا الرجل لم تتوقف من قبل إيزيديّ شيخان، ويرى إيزيديّو شنكال والخالتيين وأرمينيا وجورجيا والكثير من الكتاب والسياسيين في تلك الحقبة أنه رجل ذو شخصية ...

للردّ على هذه الأسئلة يجب أن نعود إلى التاريخ ونقلّب في صفحاته ونقرأ تفاصيل عن سيرة هذا الإنسان في تلك الحقبة، ولكن أيها السادة: إنّ الوضع العام للعالم في الشرق الأوسط وهموم وآلام الشعوب التي تحت سطوة وانتداب السلطات الظالمة وضد الإمبراطورية العثمانية الهالكة وجميع الدول الأوروبية وروسيا واضحة لنا جميعا وقد كُتبَ عنها مئات الكتب والتفسيرات. وكذلك وضع بقايا إيزيديّ الإبادات الجماعية الاثنتين والسبعين إبادة و لاسيّما الإبادة الشديدة السطوة لميري كورة سنة ١٨٣٢م. وإبادة حافظ باشا ورشيد باشا وأيضا إبادة فريق باشا سنة ١٨٩٢م. ونهب جميع طواويس والرموز المُقدَّسة للإيزيديين والاستيلاء على معبد لالش النوراني المُقدَّس

وتحويله إلى مدرسة دينية للفقهاء المسلمين، نشوب الحرب العالمية الأولى وحملة سفربرلك وتوزيع الورثة العثمانية وتشتت ما تبقى من الإيزيديين حيث الجهل والسذاجة أمام هذا الوضع في تقدير نضال إسماعيل بك بالنسبة للإيزيديّن مكسوري الأجنحة في اهتياج البحر العميق الذي لم يكن يظهر لنا شاطئه.

- لماذا فعل كلّ الذي فعله؟
- ماهي العواقب التي اعترضتْ طريقه؟
- كم كان ناجحاً في نضاله؟
- ما النتيجة التي توصل إليها في النهاية؟
- كيف سيتوضح هذا لنا؟

إذاً، إذا كان هناك صعوبة في معرفة مشاهير الإيزيديين بسبب نقص في المعلومات والمراجع فإنّ إسماعيل بك لم يكن لديه شهادة ولكنه كان ذكياً وذو بصيرة وهذا الأمر سهّل علينا العمل حيث كلّف من يألّف كتاباً عن سيرته والأحداث التي مرّ بها ولا يتحدث فقط عن حياته ونضاله، نستطيع أن نقول: إنه رغم الأخطاء النواقص في محتوى الكتاب إلا أنه يعتبر صورة واضحة ومباشرة لمعرفة وضع المنطقة في تلك الحقبة من الزمن وخاصةً الوضع المأساوي للإيزيديين.

الكتاب المؤلَّف عن إسماعيل بك

يتألف هذا الكتاب من ثلاثة أجزاء:

١- حياته ونضاله لأجل الإيزيديين.

٢- تعريف على الإيزدايتي والتعاليم الدينية والثقافة بين الإيزيديين والاستفادة من بعض ما كُتب وتم ذكره عن الإيزيديين، وبشكل خاص كتابات القس إسحاق في لقائه مع الملا حيدر بحزاني وتذكير بما حدث للإيزيدين في زمن حسين بك سنة ١٨٧١م. بمواجهة الباب العالي في استنبول، حيث التفكير غير الناضج للإيزيديين في تلك الفترة بالنسبة للإيزدايتي.

٣- التحدث عن بعض الإبادات الجماعية التي تعرّض لها الإيزيديون في آخر مئتي سنة ماضية.

أعطى إسماعيل بك مشروع هذه الكتابة لرئيس الجامعة الأمريكية في بيروت لينشرها في مجلة الجامعة، ولكن بعد توقف المجلة عن النشر قام رئيس الجامعة الدكتور هوتش بتسليم هذا الوثيقة إلى الدكتور قسطنطين زريق لكي يطبعها ككتاب سنة ١٩٣٤ في بيروت، ولكن مع الأسف لم يتسنَ لإسماعيل بك رؤية كتابه مطبوعاً حيث كان قد وافته المنية قبل ذلك. ولمعرفة إسماعيل بك وأعماله النضالية اتجهنا إلى كتابه.

هو إسماعيل بك بن عبدي بك بن علي بك بن حسن بك بن چول بك بن بداخ بك بن ميرخان بك بن سليمان بك، ولد سنة ١٨٨٨ في قرية باعدرة في قضاء شيخان، مات والده وهو في الشهر الثالث فتولّت أمُه رعايته حتى بلغ الثالثة من عمره حيث وافتها المنية، وأصبح يتيم الأب والأم، وهو يقول في هذا الصدد: "لم يبقَ لي أحدٌ يشتاق إليّ سوى الله وأختيّ ميان خاتون ونورا خاتون".

في عام ١٩١٠م. تموت أخته نورا أيضاً فتهتم به أخته ميان خاتون التي تزوجتْ من ابن عمها علي بك.

يقول إسماعيل بك: في صغري لم يكن ذهني مستقّراً وكنت مضطرباً لم يثبت عقلي على شيء.

في عام ١٩٠٦ م. قام إسماعيل بك باختطاف ابنة حسن فقير ليتزوجها حيث لم يكن علي بك وأخته ميان خاتون يرضيان بفعلته هذه، لذلك ثارا عليه وبحثا عنه بغضب شديد.

وفي عام ١٩٠٨ م. رزقهم الله ولداً وسمّاه عبد الكريم.

وفي الثالث عشر من آذار في نفس العام ماتت زوجته روشن أيضا، وبات ابنه يتيم الأمّ ومحروماً من حليب أمه، وشاء الله تعالى له وقدّر حيث أنّ امرأةً في باعدرة قد مات ابنها قبل يومٍ من هذا الحدث، فسلّم إسماعيل بك ابنه لها لترعاه وتهتم به.

أصبح إسماعيل بك مهموماً مكسور الخاطر، مجروح القلب، وبعدما مضى شهران على وفاة زوجته توجّه إلى طاووس ملك ورفع يديه له بالدعاء ليعلم ما سيؤول إليه مصيره وقدره؟

في إحدى الليالي رأى في منامه البابا ورجلاً يرتدي لباساً أبيض اللون يقلع له أسنانه ولسانه ويعطيه لسانه ويقول له: "أمامك سفرٌ طويل انهض من نومك"، تفاءل بهذا الحلم وبعد شهرين بدأ رحلته الأولى واتجه إلى شنكال وهو شابٌ في العشرين من عمره فيقوم بإخماد نار الفتنة والعداوة بين عشيرة فقيرا وعشيرة سموقيا، ثم يتوجّه من هناك إلى جبال طوروس ويقصد بيت دودو آغا وهناك يجمع شمل الإيزيديين وبعد ذلك يتجه إلى دياربكر وويران شار وثمّ حلب ليلتقي بأخيه چول بك الذي كان قد ذهب إلى حلب للتداوي بسبب مرضٍ قد أصيب به، ويقوم إسماعيل بك بزيارة إيزيديي حلب ويشرح لهم الإيزدايتي ويجمع مع أخيه بعض الخيرات منهم ويعود مع أخيه إلى عينتاب وكلّس وبيرَجوك وويران شار ونصيبين وثم فيشخابور، وفي شهر تشرين الأول من نفس العام يصل إلى باعدرة ويقيم في شيخان حتى صيف عام ١٩٠٩ م.

في حزيران عام ١٩٠٩ م. يبدأ برحلته الثانية إلى شنكال وجبال طوروس ومدياد ودياربكر جبال زوزان في شرفدين وثم بينكول وأرضروم، وهناك يختم جواز سفره من القنصل الروسي ويذهب إلى حسن قلعسين وكبوردين ليتغلغل بين إيزيديي روسيا ولكن بعد الكثير من الحيل والصعوبات التي يلاقيها في منطقة سليمان بك وميرالاية وحميدية ساريقامش حيث يتذرع ويدّعي المريدية والقرب من الشيخ عبدالقادرالكيلاني فقط ليستطيع أن يمر من هذه المنطقة.

يصل إلى قارس في آلساندربول (كمرية) وفي كمرية يسأل عن الإيزيديين، فيقولون له: "يعيش الإيزيديون في قرية آخباران"، يخبر الإيزيديين بأنه إسماعيل بك من أمراء الإيزيديين وقد جاء يقصدهم، وفي اليوم التالي يهرع إليه عدد من أكابر الإيزيديين ويصطحبونه إلى قرية ميرك لبيت رزكان آغا ابن جوبان آغا وفي اليوم الثاني يذهبون إلى قرية جرجريس، حيث المسؤول عن المنطقة هو شومو آغا وابنه

عمر آغا، لم يكن بينهم طلاب علم سوى بعض الأفراد الذين لا يملكون الكفاءة العالية بل يعتبرون أنصاف طلاب، فيمنحونه الإذن ليعلم أولادهم ويسمحون لأولادهم بالتعلُّم.

يجتمع حوله أكابر الإيزيديين ويقولون له: قبل خمسين عاماً وبالضبط قبل حرب قارس بين الروس والعثمانيين أتى إلينا ميرزا بك بن حسين بك ولم يأتِ إلينا احدٌ آخر ليساعدنا.

يعلمهم إسماعيل بك تعاليم الإيزدايتي ويشرحها لهم (راجع الصفحة ١٣-١٥ من كتابه)، ليس هذا فحسب بل يقوم بتسليم وثيقة منها لحكومة المنطقة، وبدورها تقوم الحكومة بجعل دينهم ديناً رسمياً في الدولة وتنصيب يوسف بك بن حسن بك كبير عشيرة الهسنية التي في قضاء إيقدير في ولاية يريفان رئيساً عليهم.

وكذلك يتم تعيين علي آغا بن عمر آغا كبير عشيرة سيبكا مسؤولاً عن ناحية ديغور وينصب عمر آغا شمكي كبيراً على إيزيديّ ناحية آخباران في لواء كمرية. لم يستحسن البعض تلك الخدمات والأعمال فبدأوا يكيدون ويتآمرون عليه ويتهمونه بأنه جاسوس للعثمانيين، ولكن يقوم ليفون آغا الأرمني ويبعثه إلى مفوض البلدة وبدوره يبعثه المُفوّض إلى الوالي، بعد تحقيق طويل يخرج إسماعيل بك من هناك بريئاً ويسمح له الوالي البقاء لمدة سنة واحدة بين شعبه وإذا أراد أن يمدد إقامته هناك سوف يمددونها له.

يذهب إسماعيل بك في رحلته إلى ديغور إلى بيت علي آغا بن عمر آغا، كان أخو علي آغا في منفاه قد تزوّج من امرأة لم تكن إيزيدية وفي طريق عودته إلى الوطن اصطحب معه امرأته وأولادها (فيما يتعلق بعكيد بك والد فيريك بولاتبيكوف).

من هناك يتجه السيد إسماعيل إلى تندرَك وفي قرية مؤلفة من مئتي منزل سكانها من المسلمين يقضي ليلته، هناك يوصيهم بالحفاظ على إسلامهم، راجع الصفحات (١٩-٢٠ من الكتاب). بعدها يتجه إلى إكدير في ناحية سرمَلي في يريفان ويقطن في بيت السيد يوسف حيث يتلقى المعاملة الحسنة والكثير من التقدير.

بدوره يقوم بجمع الإيزيديين ويشرح لهم تعاليم الايزدايتي ويكتبها لهم في صحيفة، وبعد فترة من الزمن يقول لهم: هأنذا بينكم منذ ما يقارب السنة ويتوجب عليّ أن أعود إلى البيت. ولكن الإيزيديين يقولون له: إن ذهبت سوف نبقى كما كنا بلا سند. يقول لهم السيد إسماعيل: من القويّ هنا؟ يردون عليه: الأرمن وبطريارك كنيسة أجمازين.

اصطحب السيد إسماعيل عشرة من وجهاء الإيزيديين مع بعض الهدايا الثمينة ويتجهون إلى كنيسة أجمازين، هناك يستقبلهم وكيل البطريارك كوبيتيكوس. وهم بدورهم يقومون بتسليم البطريارك صحيفة التعريف باليزدايتي ويقولون له: نناشدكم ونطلب منكم الاهتمام والحفاظ على ايزيديّ حمري وقارس ويريفان وأن تكونوا سنداً لهم لدى السلطة.

يقول لهم البطريارك: اكتبوا لي هذه المطالب على ورقة. قام الإيزيديون بإعطائه ورقة كتب فيها: هنا اثنان وسبعون قرية ايزيدية وأنا السيد إسماعيل بك ووجهاء الإيزيدية نتوسم منكم حماية الإيزيديين. يقول لهم البطريارك: نود فتح المدارس في قراكم، رد الإيزيديون: التعليم لدينا يعتبر إثماً ولكن ها هنا أميرنا فإن سمح لنا فنحن راضون وحاضرون.

بعد توضيح سبب عدم تعليم الأطفال الإيزيديين سمح لهم السيد اسماعيل بفتح المدارس وتعليم الإيزيديين.

طلب السيد إسماعيل من البطريارك وديعة لملك نامزنيك في تبليس لأجل أهله وأصدقائه في استنبول لأنه ينوي الذهاب إلى هناك.

يلبي البطريارك طلب السيد إسماعيل ويقوم بإرسال برقية إلى تبليس في استنبول يبين فيها حرصه على مساعدة السيد إسماعيل. يكتبون تعريفاً ومذكرة جميلة باللغة الروسية لكي يتم تسليمها لوكيل القيصر في تبليس. يقوم السيد إسماعيل بلقائه مع وكيل القيصر ويشرح ويبين له معتقدات الإيزيدية بشكل جيد وهو بدوره يقوم بقبول اليزدايتي كدين رسمي، ويأتي بمئتي وسبعين شخصاً من

يزيديّ تبليس إلى قصره ويلتقطون الصور مع السيد إسماعيل، ويقول لهم: سأرسل هذه الصور مع مطالبكم إلى بوتسبورغي للقيصر نيكولا.

يذهب السيد إسماعيل من تبليس باتجاه باتون وفي استنبول يقوم البطرياركالأرمني (١\ مليان) بفتح الطريق له ليصل إلى مراد باشا وبارام باشا. يصلون به إلى الصدر الأعظم أرسليدي باشا. في مكتب أرسليدي باشا يلتقي ببعض من الوزراء والباشاوات العثمانيين، منهم سليمان نظيف باشا ونوري باشا (راجع الصفحة ٢٨ من كتاب السيد إسماعيل).

في ذلك اللقاء يقول ارسليدي باشا للسيد إسماعيل: ساعدت السيد علي بك كثيراً حتى أنني أنقذته من النفي وحررته. والآن أنا مستعد لمساعدتكم، ماهي مطالبكم يا إسماعيل بك؟ يقول السيد إسماعيل: " تعرضنا للظلم كثيراً من قبل واليكم. وفي الآونة الأخيرة أصدر فاروق باشا أمراً يأمر فيه بإبادتنا وتدمير طاووسنا ورموزنا وأخذ معبدنا لالش من أيدينا، نريد أن تعيد لنا طاووسنا.

رفع أرسليدي باشا مطلبه إلى رئاسة المجلس وسلّمه بطاقة يستطيع بموجبها حضور اجتماعات المجلس.

حضر إسماعيل بك ثمانية اجتماعات للمجلس وفي الاجتماع الثامن تقرّر إعادة طاووس الإيزيديين لهم (الصفحة ٢٧-٣٠)، قال له الصدر الأعظم: اذهب فقد تمّ قبول طلبك ووافق عليه شيخ الإسلام. فرح إسماعيل بك بهذا الخبر وقام على الفور بإرسال برقية عن طريق والي الموصل إلى علي بك ومستشاره درويش شيخكي كي يبشرّهم بالخبر ويقول لهم: " ألم تبعثوا إسماعيل بك؟ قالوا: سنردّ لكم الجواب بعد يومين. وقد قاموا يتشاورون فيما بينهم ويتساءلون: إن كان الخبر صحيحاً وقام إسماعيل بك بإعادة طاووسنا؟ فسيكون هذا شرف كبير له ونخشى أن يطالبنا بالإمارة، لذلك ذهبوا إلى والي الموصل وقالوا له: لا شكّ أنّ إسماعيل بك من الأمراء ولكنه ذهب بدون علمنا ولم نطلب منه أن يتابع موضوع الطاووس.

زكي باشا بدوره يقوم بإعلام الباب العالي، وبعد قضاء سبعة أيام يذهب إسماعيل بك إلى سكرتير أرسليدي باشا، فيقول له السكرتير: لقد تمّ إيقاف مطلبك إلى أن تأتي بالموافقة من علي بك والإيزيديين، ذهب إسماعيل بك إلى شيخ الإسلام عبدالقادر باشا ولكن بدون جدوى، لم يكن بيده شيء سوى أن يعود إلى الديار بقلبٍ مليء بالحزن والألم، ولشدة غضبه مما حدث أشتكى على علي بك ودرويش شيخكي.

يبقى لفترة في الديار وبعدها يذهب مرة أخرى إلى إيزيديّ جبال طوروس، هناك يقول له الإيزيديون بأن الآغوات صاروخان وجلبي يعاملونهم بسوء، فيقوم بتنصيب علي بطي - الذي هو من نفس العائلة- آغاً عليهم بدلاً عن صاروخان وجلبي. فيقوم الأخيران بالشكوى عليه عند الحكومة، لذلك يسجن إسماعيل بك عدّة شهور، وفي السجن يعتدي عليه بعض السجناء وخاصةً كبار الأومريين، ولكن يساعده حاجو آغا الذي كان مسجوناً في السجن ذاته! بعد الإفراج عنه يعود إلى الديار ويزور قادر آغا الشيخان بك في عام ١٩١٢م.

سنة ١٩١٣ يُقتلُ علي بك في قصر بعدري –بعدرة - ويُتهم إسماعيل بك بقتله ولكن نتائج التحقيقات تثبت براءته ويتم الإفراج عنه.

طالب إسماعيل بك بالإمارة أو على الأقل أن يكون مستشاراً للأمير الصغير لأن سعيد نجل علي بك كان صغيراً، ولكن درويش شيخكي وميان خاتون رفضا هذا الأمر وقاما باستبعاده عن الإمارة. كان إسماعيل بك ينتظر الفرصة المناسبة إلى أن سمع أنّ القوّالون (القوّالون هم طبقة الرهبان أو حراس المَعبد أو حاملي الطاووس ومفردهم قوّال) ينقلون الطاووس إلى سنجار (شنكال)، حينها أخذ منهم الطاووس واتّجه إلى إيزيديّ جبال طوروس، وفي قرية حمدون بمنزل ميرزا كلش يقوم القوّالون الذين ذهبوا معه بأخذ الطاووس خلسةً وأعادوه إلى قرية باعدرة.

تبدأ الحرب العالمية الأولى، ويقوم الباب العالي بإصدار قرار إبادة الأرمن، حينها يخبر إسماعيل بك حمو شرو وأكابر جبل شنكال بأن يحموا الأرمن لأن الزمن لن يبقى كما هو وسوف تنقلب الأمور يوماً ما، سيأتي يومٌ وتنفرج أمورنا نحن والأرمن أيضاً، يبعثون رسولاً إلى دير زعفران ليخبروهم بأنهم جاهزون لإحتواء ومساعدة أسرى

الأرمن وبنوا لهم قرية في شنكال. في تلك الفترة يسيطر أهالي شنكال على موكب من السيارات العسكرية الألمانية في نواحي شنكال وأيضا قافلة من العساكر العثمانيين، ثار الباب العالي على هذا الحدث فأمر بتجهيز قوة عسكرية للهجوم على الإيزيديين وإعادة الأسرى الأرمن.

أراد إسماعيل بك التواصل مع الجيش الروسي حيث كان في رواندوز والعمادية ولكنه لم يفلح في ذلك، ضيّق العثمانيون على الإيزيديين كثيراً وبحثوا عنهم بغضبٍ شديد يطالبونهم بإعادة الأسرى من الأرمن لهم، ولكن إسماعيل بك وحمو شرو وكبار شنكال ردّوا بصوت واحد وقلبٍ واحد: " مادام هناك إيزيديٌّ واحد على قيد الحياة لن نسلمكم الأرمن ولن نسلمكم الأسرى".

يجهّز العثمانيون جيشاً جرّاراً ويحفزون العرب أيضاً ويطلبون منهم العون للهجوم على شنكال، يشعر الإيزيديون بالضيق كثيراً من هول ما سيصيبهم فيطلبون من إسماعيل بك أن يجد لهم حلاً، ليستنجد بالألمان المتواجدين في نصيبين أو الإنكليز المتواجدين في بغداد، يجمع إسماعيل بك أربعين توقيعاً باسم مخاتير و كبار الإيزيديين ويحملها معه ويقول: "كيف سألتجأ إلى الألمان وقد استوليتم سابقاً على قافلةٍ عائدة لهم؟ ولكنني سأذهب إلى بغداد وأحاول الوصول إلى الإنكليز وإن عدت سالماً يتوجب عليكم ألا تنسوا أتعابي وجهودي".

وبعد جهودٍ جبارة يصل أخيراً إلى الجيش الإنكليزي في سامراء بالقرب من بغداد يعرض عليهم عون الإيزيديين لهم في حربهم واقتحامهم للموصل.

يعلم القائد الانكليزي المارشال سترانلي في بغداد بهذا الأمر ويطلب رؤية إسماعيل بك في بغداد، وبدوره يذهب إسماعيل بك إلى بغداد ويلتقي بالمارشال والسيدة بيل؛ يسألونه الكثير من الأسئلة فيقول لهم: " لدينا ستون قرية ونستطيع أن نعدّ منهم ستة آلاف مقاتل، أراد المارشال منح إسماعيل بك بعضاً من النقود ولكنه يرفضها ويقول: لم آتي إليكم طالباً النقود فباستطاعتنا العيش على الخبز والبصل، اعطوا النقود لعشائر العرب لتمتلكوهم ولكن امنحونا ثلاثة آلاف بندقية وذخيرتها وخمسة وعشرين رشاشاً وأربعة مدافع مع نصف طابور من العساكر الهنود سنحرّر مدينة

الموصل من العثمانيين، أو امنحوني كمية كبيرة من السم لأوزعه على شعبي فقد اكتفينا من هذا الظلم والاحتلال.

أرسلوا خلسةً مع إسماعيل بك وفد من الضباط الإنكليز إلى جبل شنكال واجتمعوا مع حمو شرو وكبار الإيزيديين ومن ثم رجعوا إلى بغداد.

في تلك الفترة يسيطر الإنكليز على مدينة الموصل، يذهب إسماعيل بك مع الجيش الإنكليزي إلى الموصل، يطلب منه القائد العسكري الإنكليزي (لجمن) أن يصبح وكيلاً للحكومة الإنكليزية في شنكال إلا أنه يرفض ذلك ويقول: فليكن حمو شرو وكيلاً لكم في شنكال.

يقول القائد لجمن: غدا سأرسل في طلب سعيد بك والبابا الشيخ ليحكموا فيما بينكم.

وفي اليوم التالي وفق الشرع الإنكليزي يشرعون لإسماعيل بك كي يكون وكيلهم ويبدون عدم ارتياحهم وقبولهم لسعيد بك ويقولون له: أتى إسماعيل بك مرتين إلى بغداد وأنت لم تأتِ حتى إلى الموصل لاستقبالنا لذلك سنوكل مكانك إسماعيل رئيساً على الإيزيديين، مرة أخرى يقول القائد لجمن لإسماعيل بك: تعالَ لنعينك حاكماً على شنكال ولكنه وللمرة الثانية يقدم حمو شرو بدلاً عن نفسه.

يقوم حمو شرو وميان خاتون بإرضاء إسماعيل بك لتولي طاووس شيخان إلى سعيد بك وطاووس شنكال إلى إسماعيل بك وأن يصبح سعيد بك مسؤولاً عن الشؤون الدينية وإسماعيل بك مسؤولاً إداريا وأميراً. يقبل إسماعيل بك بهذا الاقتراح وأيضاً الإنكليز يبدون ارتياحهم لهذا التوافق، ولكن بعد ذلك تقوم ميان خاتون وبحكمتها برضا الشعب وتأييده إلى سعيد بك، كما أنّ الإنكليز لا يريدون توريط أنفسهم في هذه الخلافات فيقومون بإرسال إسماعيل بك إلى بغداد ويقولون له: شعبك لا يريدك فما ذنبنا!! بعد عدة سنوات يُسمح له بالعودة إلى شنكال وهناك يرحل إسماعيل بك إلى الأفق البعيد مُودّعاً العالم إلى مثواه الأخير في عام ١٩٣٣ م.

بعد قراءة كتابه الذي كتبه أحدهم بإشراف مباشر منه نستطيع بهذا الشكل أن نقيم شخصيته ودوره الفعال كما يلي:

١- ذاك الطفل اليتيم المتواجد بين الأمراء والشعب المضطهد المكسور وبعد أن أصبح في العشرين من عمره وقف أمام القدر بحكمته ومعرفته وفرض نفسه وشخصيته ودوره في خدمة شعبه الإيزيدي في رحلاته بين شعبه في أصقاع المعمورة ولهذا الهدف يطرق جميع الأبواب للسلطات والحكومات القائمة في تلك الحقبة.

٢- كان إيزيدياً مستقلاً بنفسه مؤمناً بالقدرات المنيرة والجبّارة، وهو مستعدّ في سبيل الوصول إلى أهدافه لخدمة الإيزيديين وتخفيف آلامهم أن يقدم رأسه وحياته في ذلك.

٣- كان ذكياً وماهراً وقد نجى من الكثير من الصعوبات والكمائن المميتة بحكمته ودهائه، ومثال على ذلك: (عندما كان بين العشيرة العربية الهمجية عشيرة سليمان بك في تكريت حيث نجا بنفسه بأعجوبة) راجع الصفحة ٣٨ من كتابه.

٤- كان إيزيدياً منفتحا على كل الديانات ويتمنى لهم الخير والسلام،، خاصةً عندما كان يراهم في ضيقٍ، فقد كان صاحب الطريق الحق ويحمل عنهم همومهم وعبء قساوة الظروف في أيّ مكان يقصده، مثال على ذلك: (تلك القرية التي كان قوامها مئتي بيت من المسلمين الذين قد قاموا بمساعدة الأرمن واحتوائهم ضد الاعتداء الروسي فتعرضوا بدورهم لمضايقة الروس لهم فقام إسماعيل بك بتشجيع المسلمين وحثهم على الالتزام بدينهم ومراسيمهم).

٥- مضى إلى كل مكان يوجد فيه الإيزيديين وحاول جاهداً إخماد نار الفتنة والعداوة بينهم وتقوية العلاقات والتوافق فيما بينهم، وأيضا فتح علاقات جدية وتقويتها بينهم وبين الشعوب والأمم والحكومات والسلطات في المناطق التي يقطنها الإيزيديون وتعريفهم بالإيزدايتي، مثال على ذلك: (تلك المذكرات والوثائق التي وضعها بين أيدينا وكل سؤالٍ سئِل عنه وأيضا محتوى الجزء الثاني من كتابه

ومعتقدات الإيزدايتي في تلك الحقبة أخبرهم بها وعرّفهم عنها وكل ذلك بحسب معرفته.

٦- كان دبلوماسياً ذو بصيرة امتاز ببعد النظر، ففي أيام إبادة الأرمن طلب من الإيزيديين حمايتهم وقال لهم: "إنّ الأرمن اليوم في ضيقٍ شديد ويتعرّضون للمجازر الجماعية، ولكن سيأتي يومٌ ما ويُفتح لهم ولنا أبواب الخير والفرج". كان مؤمناً بقضية شعبه ومطلعاً على أزمات أبناء شعبه الذين كانوا يتعرضون لها وقد استطاع أن ينقل مطالب ومعاناة شعبه إلى أبواب أعلى السلطات في تلك الحقبة من الزمن في أرمينيا وجورجيا وإسطنبول والجيش الإنكليزي، كما أنه حينما علِم أنّ الجيش الروسي قد وصل إلى رواندوز والعمادية اتجه إليهم ليطلعهم على معاناة شعبه ولكنه لم يفلح في ذلك.

٧- يتعجب الإنسان عندما يرى كيف لهذا الشخص الأميّ الذي استطاع أن يتذكر ويوثق الأيام والشهور والسنين وأسماء العديد من الشخصيات في كتابه الذي اتخذ له كاتباً ليكتب بدلاً عنه؟ وأيضاً لم يلتحق بمدرسة ولم يتتلمذ لدى معلم، ولم يكن يستطيع الكتابة أو القراءة ولا أي جريدة أو ما شابه ذلك!

كيف استطاع أن يقرّر كتابة هذه الوثيقة التاريخية العظيمة! (واللغة التي كتبت بها الكتاب هي العربية وفي بعض الأحيان تعرّض لأخطاء متعلقة بتاريخ السنة التي وقع فيها الحدث).

٨- بيّن الأمير للإنكليز أن تكون إمارة الإيزيديين بهذا الشكل: أن يكون هناك أميران، أحدهما يدير الشؤون السياسية وأما الآخر يدير الشؤون الدينية حيث يكنّى ب (ميرحج)، كما يجب أن يكون الأمير إيزيدياً يخشى الله وذو روحٍ سمحة وطيبة مع شعبه، أن يكون عادلاً ومنصفاً ويعلم بأمور الشريعة والدين الإيزيدي، أن يكون حقانياً ولا ينطق سوى الحقيقة مهما كان الشخص الذي أمامه سواء أكان ذو قرابة أم بعيد القرابة والرابطة، فإن لم يتصف بهذه الصفات التي ذكرها عندها يتوجب على الإيزيديين أن يرفضوه أميراً عليهم، لأنّ الأمير مسؤولٌ أمام الله وأمام شعبه.

المرحلة الأكثر أهميةً في حياته

١- كتابة تاريخ ومعتقدات الإيزيديين.

٢- توثيق وكتابة المناجاة والأدعية الإيزيدية، وعندما وصلت هذه الأدعية إلى الأمير جلادت بدرخان قام بدوره بطباعتها تحت عنوان (صلوات الإيزيديين) في عام ١٩٣٣م.

٣- السماح للإيزيديين بالتعليم والذهاب إلى المدارس في أرمينيا وجورجيا وكوردستان العراق، وأول من ذهب إلى المدرسة في شيخان وشنكال هو ابنه عبدالكريم وابنته ونسة وكان ابنه أول إيزيدياً يصبح معلماً في شيخان.

برأيي أنّ المرحلة المهمة والسلبية لشخصية الأمير إسماعيل بك حيث وصل في نهائيات حياته إلى التشاؤم وانعدام الأمل هو:

فضّل إسماعيل بك إمارة آبائه وأجداده على كلّ شيءٍ آخر، هكذا حيث ترك فرصة ذهبية لنفسه وللإيزيديين جميعاً، وهذه الفرصة هي: عندما أراد الإنكليز منحه وكالة الحاكم السياسي في شنكال ولكنه لم يقبل بهذا الطرح لأنه فقط أراد الطواويس وحقه من إمارة آبائه وأجداده وقدّم حمو شرو بدلاً عنه في هذا المنصب، وكان حمو إيزيدياً قاسياً ولا يمتلك الدبلوماسية والخبرة الكافية حيث لم يقبل طلب الإنكليز في إرسال بعض الأطفال والشباب الإيزيديين إلى انكلترا للتعليم وفن الإدارة والحكم ليعودوا إلى وطنهم ويحملوا زمام الأمور في الحكم.

أقولها مرة أخرى لو أنّ إسماعيل بك كان مكان حمو شرو في تولي أمور الحكم ولو أنّ الإيزيديين وقفوا معه وساندوه ودعموه في منصبه لكان شعبنا الآن -كما يقال- فارساً على صهوة خيله الأشهب ، عندها كنّا مثل الكويت ودبي أصحاب إمارة مستقلة.

في نهايتها أكتب: كل من يريد أن يقرأ تاريخ الإيزيديين عليه أن يفتح هذا الكتاب ويقرأه.

تمّ تقديم هذا الموضوع كمحاضرة في بيت الإيزيديين عام ٢٠١٢ في أولدنبورغ.

الأمير اسماعيل بك

بقلم : الباحث الامريكي (جون س كيست) [1]

في العام ١٨٨٨ أنتجت عائلة جول الحاكمة أميراً كانت شخصيته مزيجاً من المثالية، الطموح والنزوات، تطبعه هذه الخصال كرجل القرن العشرين باللحم والدم، إسماعيل بك، مولود لنفس الام كما هو الحال مع ميان، كان أصغر سناً من اخته بأربعة عشر عاماً، توفي والده عبدي بك بعد ولادته بستة أشهر، أما والدته فتوفيت عندما كان هو في الثالثة من عمره، فترك لأخواته كي يقمن بتربيته، وعندما بلغ الثامنة اختطف إسماعيل ابنة (فقيرة) وفر معها، ولد لهما ابن لكن زوجته توفيت بعد ذلك بفترة قصيرة.[2]

ولما لم يكن يهدأ له بال، له أحلام يرغب في تحقيقها، بدأ إسماعيل يتجول بين الطوائف والمجتمعات الأيزدية كإصلاحي ورسول معين من قبل نفسه، وهو يبشر ويبارك ويجمع التبرعات الدينية، وفي جبل سنجار عقد صداقة متينة لمدى العمر مع حمو شرو عن طريق حل خلاف نشب بين رجال قبائليين آخرين.[3]

وفي العام ١٩٠٨ قرر اغتنام الفرصة في ظل الحرية التي وفرتها ثورة تركيا الفتاة وذلك للقيام بزيارة الأيزديين في ما وراء القوقاز.

من بين ١٣٠ مليون مواطن روسي حسب تعداد النفوس للعام ١٨٩٧، كان هناك ١٤.٧٢٦ أيزدي في ما وراء القوقاز، ص٣٦٥ أحسَّ إسماعيل بك بالفرصة الفريدة للذهاب إلى رعيته البعيدين، ورحلة إسماعيل أخذته عبر تجمعات أيزدية مبعثرة في شمال

---

(١) جون س كيست، تاريخ الايزيدية، ترجمة عماد جميل، دار سبيريز دهوك ٢٠١١.

(٢) إسماعيل بك كول: اليزيدية في الماضي والحاضر، طبعة زريق، ص ٢-٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤-٧. ٢٠١١، ص٣٦٤

شرق الأناضول، في قرية على مقربة من (وان) كان مضيفه يستعد لإقامة احتفال منتصف النهار على شرفه عندما وصل خبر بأن غريباً يبحث عن المؤن والزاد والعلف، وان هناك برفقته مسافرين آخرين على طرف القرية، وبعد التحقيق تبين أن هرمز ـ شقيق المطران (الآثوري) مار شمعون بنجامين التاسع عشر ـ كان يطوف في أطراف قومه برفقة القس ويطرام، الذي قام مؤخراً بتغيير مكان البعثة التابعة لأسقفية كانتربري في (وان) بعد أن انشق معظم رعاياها وانضموا إلى الكنيسة الروسية، وأصر وفد من القرويين على أن يأتي هؤلاء المسافرون المميزون "لتناول الغذاء".

في كلمة ترحيبية استشهد الأمير الأيزدي بالاحترام والتقدير الذي يكنه الأمير علي بك لمارشمعون ـ من المؤسف أنهما لم يلتقيا أبداً ـ واستذكر بان الزوار الأيزديين لمنزل المطران كانوا جميعاً متأثرين بالانطباع الجيد الذي تركه رؤيتهم للطاووس الأليف، اغتاظ ويطرام من التأخير ـ ساعتان ونصف الساعة ـ الذي سببه الاحتفاء ولكن نفاد صبره هدأ بحادث غريب وقع في نهاية الوجبة بعد أن شبع الضيوف المسيحيون وبعض الأيزديين من وعاء الحساء، أفرغ الأمير حاوية من الفلفل الأحمر في الوعاء وشرب الحساء إلى آخر قطرة.[1]

حصل إسماعيل على أوراق سفره في أرضروم واتجه بثقة بمحاذاة الطريق الرئيسي المؤدي إلى الحدود، ولكن على الرغم من أن القوالين عبروا الحدود الجبلية الصعبة دائماً بين الامبراطوريتين العثمانية والروسية دون أن يتم اكتشاف أمرهم، كانت الأمور أكثر صعوبة لإسماعيل الذي سافر في موكب يضم الخدم، وحقائب تحتوي على معاطف مطرزة بالذهب وكرات الصلصال من معبد الشيخ آدي.

على نقطة الحدود الروسية قره أورغان كانت أوراق المسافرين منظمة حسب الأصول، لكن رجال الجمارك طلبوا ٥٠ ليرة ذهبية (عندما كانت تساوي ٤٥ جنيهاً سترلينياً) كضرائب على الثياب والمعاطف، وردوا عرض إسماعيل باستعداده لدفع ١٥

(١) ما سجله ويكرام ونشر في QP العدد ٨٠ ـ تموز ١٩١٠ لا يذكر تاريخ هذا الحدث سوى أنه "كان في الخريف" ويذكر أن اسم هذا الأمير الأيزيدي الذي لم يذكر له اسماً هو أخ مير علي بك.

ليرة ذهبية لشخصه، رجع إسماعيل وخدمه إلى نقطة الحدود العثمانية، حيث أخبره صاحب خان أشفق عليهم بوجود طريق عبر الجبال وطمأنهم بأنهم حالما يعبرون الحدود إلى داخل روسيا فإن الفيزا الروسية التي سبق وأن ختمت أوراقهم بها سوف تسمح لهم بالإقامة القانونية، ولكن الطرق محفوفة بالأخطار للأيزديين، لأن القرويين الكرد كانوا مسلمين متطرفين.

بعد يوم طويل من ركوب البغل وصل إسماعيل إلى أول قرية، حيث أعلن بأنه وأصحابه دراويش من الطريقة القادرية المعروفة جداً إلى إسماعيل، لأن مؤسسها الشيخ عبد القادر الكيلاني كان على صداقة متينة مع الشيخ آدي ويعتبر قديساً من قبل الأيزديين(*) تم الترحيب بالمسافرين، وقدم لهم مأدبة غذاء باعتبارهم ضيوف مشرفين، ووقف إسماعيل في مقدمتهم لأداء الصلاة مدركاً بأنهم لا يعرفون إلا القليل من اللغة العربية، خلط بالطقوس والمراسيم عدداً من اللعنات والسباب مناشداً المَلَك طاووس والشيخ آدي بمحو القبيلة كلها !

جاء المرضى والمعوقون يطلبون البركة والشفاء على يد الرجل المقدس، والنسوة العاقرات جئن وهن يحملن كوؤس ماء للشيخ ليبصق فيها، وأولياء الأمور أتوا بأطفالهم المحتضرين يطلبون كرات الطين من مرقد الشيخ آدي، فيما استفسر وجهاء القرية عن مدى سماح قتل الأرمنيين والأيزديين، فأخرج الذي انتحل صفة الدرويش (إسماعيل) يومياته من جيبه وتصفحها مجيباً بأن كتاب الشيخ عبد القادر يبرر القتل فقط في حالة الدفاع عن النفس والاعتداء غير المستفز.[1]

بعد ذلك بأيام قليلة، وبعد استقبالات مماثلة في سلسلة القرى، وصل المسافرون إلى ألكساندروبول (المسمى سابقاً كومرو) حيث كشفوا عن هويتهم الحقيقية، أقنع إسماعيل المسؤولين هناك بأن لا نوايا عدوانية لديه، فسمح له بالتجوال بين القرى

(*) راجع الفصل الثاني.

(١) إسماعيل، ص ٩-١٢.

الأيزدية حيث نشر قواعد وقوانين الشيخ آدي، ووجه التعنيف والتوبيخ لهؤلاء الذين تأثروا وتبنوا عادات جيرانهم المسيحيين.

وفي كانون الأول ترأس إسماعيل تجمعاً للوجهاء الأيزديين في المدينة الصغيرة الحدودية أيغدير وأعطاهم قواعد تخص سلوك المؤمنيين من بينها: قرر إسماعيل أن لا يتجاوز مهر العروس كحد أعلى ١٠٠ روبل (كانت عندها تساوي ١١ر١٠ جنيه سترليني) إذا كانت بنتاً عذراء و ٤٥ ـ ٥٠ روبلاً إذا كانت أرملة.[١]

تجديد واحد أجفل المواطنين من المبادئ التي أدخلت في قواعد السلوك بايغدير) كانت الوصية التي تفيد بأن على الأيزديين فتح مدارس وتعليم أطفالهم فيها القراءة والكتابة وتعلم شؤون الدنيا، هذا المبدأ نفذ شروط تفاهم فاوض بشأنها إسماعيل مع الكنيسة الأرمنية التي وافقت لمد حمايتها على الأيزديين إذا ما دخل أطفالهم المدرسة ثم الاتفاق على التفاصيل عندما زار إسماعيل الذي كان يبلغ من العمر عشرين عاماً، المطران ماثيون الثاني الأرمني الذي كان في الأربعينيات من عمره في الدير العريق أكميازدين شمال أيغدير عندما ألح إسماعيل بأن القرويين لا يملكون المال لفتح المدارس، أجاب المطران: (أنا على استعداد لفتح سبع مدارس في القرى الأيزدية وسوف أتولى المسؤولية لتلبية كل احتياجاتهم). [٢]

يساعده المطران وفريقه الديني، كتب إسماعيل التماساً إلى الكونت الاريون فورونتسوف راشكوف النائب عن القيصر في القوقاز، وذلك بالنيابة عن اثنتين وسبعين قرية و ٣.٥٠٠ بيت يطلبون الاعتراف الرسمي بالدين الأيزدي والحماية ضد تحرشات المسلمين، الالتماس أجريت عليه التغييرات لست مرات قبل أن ينال رضاهم،

(١) المصدر نفسه، ص ١٢-٢٠. د. أ. در، مقال في Anthropos، العددان ١٢-١٣، ١٩١٧-١٩١٨، ص ٥٥٨ و ٥٧٤.

(٢) جون س كيست، تاريخ الايزيدية، ترجمة عماد جميل، دار سبيريز دهوك ٢٠١١، ص٣٦٩

وأختتم بدعاء يفيد (أن السيف الروسي في يوم من الأيام سوف يحكم جبل سنجار، وينقذ أهاليه من اضطهاد المسلمين).[١]

غادر إسماعيل إلى تفليس بالقطار (وهي أول مرة يركب فيها القطار) وأقام في مركز المطرانية الأرمنية، وتم ترتيب موعد له مع نائب القيصر لتقديم التماسه (يشير إسماعيل في مذكراته إليه باعتباره الملك)، وفي ٣ آذار ١٩٠٩ نقل إسماعيل والذين كفلوه في عربات رسمية إلى القيصر حيث أعجب بالسجاجيد والبسط والأثاث المرصع بالجواهر والتطريز المزدان بالرسوم والصور، استقبل أولاً من قبل (الملكة) ووصيفاتها الخمس، التي قدمت لهم السجائر والبسكويت والشاي، عندها دخل فورونتسوف داسكوف حاسر الرأس، يتمنطق بسيف ذهبي، كان يبدو للعيان كأنه في الخامسة والخمسين من العمر(*) عَدَّد له إسماعيل أوجه التشابه بين الديانتين الأيزدية والمسيحية، وطلب أن يتم الاعتراف رسمياً بقومه كأقلية تحت الحماية الأرمنية، وافق نائب القيصر وعندما علم بأن عدداً من الأيزديين يعيشون في تفليس، أصدر أوامره للشرطة بإحضارهم إلى القصر، حيث تم أخذ صورة تذكارية لـ ٢٧٠ منهم مع إسماعيل، وفي ختام اللقاء أعلن (الملك) بأنه سوف يقدم النصيحة لأخيه الأكبر نيكولاي في بيترسبرك بشأن الأيزديين وحث إسماعيل على البقاء في ما وراء القوقاز كزعيم للأيزديين، فأجاب إسماعيل بأن له أموراً مهمة عليه القيام بأدائها في استنبول والعراق، لكنه سوف يفكر في العرض الروسي. وللوقت الحاضر طلب أن يكون رئيس قرية كالانيان في مقاطعة سُرمالو نائباً عن إسماعيل.[٢]

اصطف المتفرجون على أطراف شوارع تفليس عندما ركب إسماعيل عائداً إلى مقر المطرانية حيث سمح له بالجلوس على عرش الأسقفية واستقبال المراجعين الأيزديين، أفترشوا منديلاً أبيض أمامه وغطوه بالتبرعات التي بلغت ٤٠ ليرة ذهبية

(١) إسماعيل، ص ٢١-٢٣.

(*) كان نائب القيصر في الحقيقة في الواحدة والسبعين من عمره.

(٢) جون س كيست، تاريخ الايزيدية، ترجمة عماد جميل، دار سبيريز دهوك ٢٠١١، ص٣٧٠

(٣٦جنيهاً ستـرلينياً)[١] ومن بين الذين ابتهجوا بنجاح مهمة إسماعيل أعضاء البعثة السويدية للعمل التبشيري المكون من الإناث اللاتي كن يقمن بالنشاط الاجتماعي بين أيزديي تفليس، مسجلة يومياتهن ماريا أنهولم التي تذكرت بحزن وكآبة فيما بعد زيارة الزعيم الأيزدي، بوصفه "رجل شاب جدير".[٢]

وصل إسماعيل إلى أستنبول مبحراً من باطوم في ربيع العام ١٩٠٩.

ومسؤلو الكنيسة الأرمنية الذين ينعمون بجو الحرية الذي صاحب ثورة تركيا الفتاة، سرعان ما حصلوا له على فتوى صادرة من شيخ الإسلام اعتـرفت بالديانة الأيزدية وبقدسية معبد شيخ آدي، وحرم التحول القهري للديانة الاسلامية، كما أفادت بأن تتم إعادة المواد المقدسة المحجوزة في بغداد إلى الأيزديين، وأرسل نص الفتوى برقياً إلى الموصل للتصديق عليه من قبل الأمير علي بك، كان جواب الأمير مصحوباً بإعلان موقع من قبل زعماء القبائل مفاده أن إسماعيل لا يملك الصلاحية للتفاوض نيابة عن الطائفة الأيزدية علق إعلان الفتوى، وعاد إسماعيل بخيبة أمل إلى العراق.

كان حدس إسماعيل بأن الباعث وراء تنكر علي بك هو الخشية من أن يستخدم قريبه الشاب هذه الفتوى كنفوذ ليصبح الأمير المقبل للأيزديين (جريدة استنبولية كتبت بأن إسماعيل طلب من الصدر الأعظم إعانة مالية باعتباره وريث الأمير، كما طلب أيضاً بأن يقبل في مدرسة) على أية حال، عند عودته إلى البيت طلب إسماعيل مكافأة على خدماته حصة من المدخولات الأميرية، لكن الأمير وزوجته كانا غير

(١) المصدر نفسه ص ٢٣-٢٥. مقال " Glava Yezidov " Tifissky Listok، ١٩٠٩، العدد ٤٠ (٢٠ شباط) ص ٢. ويشكر المؤلف مدير قسم الأدب الأجنبي بمكتبة كارل ماركس الحكومية بجمهورية جورجيا السوفيتية الاستـراكية لتزويده بنسخة من المقال المذكور.

(٢) م. أنهولم، مقال في Svnsk Missionstidskrift العدد ٧ (١٩١٩) ص ١٥٧.

قادرين أو غير راغبين في ارضاء مطاليبه لذا نشب بينهم عداء بغيض، وفي مذكراته يعتـرف إسماعيل في نقطة ما بأنه فكر في طعن أخته ميان.[١]

اتخذ إسماعيل زوجة جديدة، وهي ابنة عمه عمشة، وأقام معظم الوقت في بعشيقة، وكان منهمكاً دائماً في المنازعات والمقاضاة، واستمر خلاف العائلة الحاكمة، وفي نهاية العام ١٩١٢ أصبح إسماعيل مرة أخرى جوالاً يعيش على ما يجود به كرم المناصرين، وفي إحدى الرحلات إلى طور عابدين سجن لفتـرة بتهمة التآمر مع الثوار الأرمن والجواسيس الروس، وعندما أطلق صراحه أخيراً أعطى قائد الشرطة وصفاً للديانة الأيزدية على شكل مخطوط، مكتوب في اللغة السريانية مع ترجمة عربية كان قد حصل عليه من يعقوبي كان مسجوناً معه.[٢]

قضى إسماعيل تلك الليلة المشؤومة في قرية تدعى خدر الياس، قريبة من الدير القديم لمار بهنام، وتقع على بعد عشرين ميلاً جنوب شرقي الموصل، في طريقه إلى الشمال توقف في قرية كرملس حيث أتاه الرسل بأخبار الجريمة، ومتوقفاً في باهزانى لِملمة مجموعة من الاصدقاء، سارع إلى باعدري وكان القصر محتشداً بأعيان ووجهاء الأيزديين يتشاورون مع سعيد بك ووالدته على صوت الموسيقى الحزينة للطبول والمزامير، وكانت ميان ترتدي ثوباً أحمر رمز المرأة التي تطلب الانتقام الذي لا يعرف الصفح بصورة عامة، كان متفقاً عليه أن يخلف الأمير الشاب والده كأمير للأيزديين، لكن المكافأة الحقيقية كانت منصب الوصاية.

ترشيح إسماعيل أعيق من قبل أخته ومناصريها، الذين أتهموه بالاشتـراك في جريمة القتل، ورتبوا له بأن يقتاد تحت الحراسة إلى الموصل، وفي الوقت الذي تمكن

(١) إسماعيل، ص ٢٦–٣١. La Turguie ٢٣ آذار ١٩٠٩، نقل عنه باسيل نيكيتين في Vostochny sborinik العدد ٢ (١٩١٦) ص ١٢٦.

(٢) إسماعيل، ص ٣٢–٤١. المخطوطة التي ذكرها ربما تكون نسخة من "خلاصة تاريخ الأيزدية".

فيه إسماعيل من تبرئة ساحته من التهمة الموجهة إليه، كانت ميان قد نصبت كوصية على الأمير الشاب ومسؤولة عن إدارة المدخولات الأميرية.[١]

وصل خبر إلى إسماعيل مفاده أنه يوجد بين مجموعة القوالين الذين أرسلوا إلى لالش لحمل سنجاق والتطواف به في القرى الأيزدية، رجلان متهمان وقد صدرت الأحكام بحقهما من قبل المحاكم العثمانية لكنهما لم يعتقلا أبداً، فحصل على جنود يرافقونه من والي الموصل وقطع الطريق على القوالين حينما كانوا يعبرون نهر دجلة، وفي اليوم التالي توقف الجميع في قرية أيزدية قريبة، حيث أمتنع إسماعيل رئيسهم تبرك السنجاق لديه للاحتفاظ به في بيته بينما يعود يقتاد السجناء إلى الموصل. وحالما غادروا، قام إسماعيل وأسرج فرسه وتمنطق ببندقيته وامتطى خيله وانطلق آخذاً معه السنجاق.[٢]

في بعشيقة تجنب مكائد أخته وجواسيسها وتوجه بشجاعة نحو الموصل، حيث تمكن من اقناع اثنين من المبشرين البريطانيين من مجمع البعثات الكنسية هما د. جورج ستانلي والآنسة ألن مارتين بإخفاء السنجاق في صندوق خشبي بمقر البعثة، وسرعان ما اعتقل إسماعيل، لكنه رفض الافشاء عن مكان السنجاق، وأخيراً توصلوا إلى اتفاق تكفل إسماعيل بموجبه بسنجاق سنجار، مما يؤهله حصة من التبرعات التي يتم جمعها في جبل سنجار وشرق الأناضول، فيما احتفظ الأمير سعيد بك بسنجاق شيخان، حلب وموسكو.[٣]

وجه زعيما أيزديي سنجار ـ صديقه القديم حمو شرو وداوود الداوود، زعيم قبيلة مهركان وحفيد عيسى آغا الذي حارب طيار باشا في العام ١٨٤٦، دعوة إلى إسماعيل بالمجيء والعيش في بلد سنجار، ولكن عليه أولاً أن يطوف بسنجاقه في القرى الأيزدية في طور عابدين ومنطقة شرق دياربكر برفقة اخيه ضولو وأربعة قوالين،

(١) إسماعيل، ص ٤٢-٤٣.، كيست ص٣٧٦

(٢) جون س كيست، تاريخ الايزيدية، ترجمة عماد جميل، دار سبيريز دهوك ٢٠١١، ص٣٧٩

(٣) إسماعيل، ص ٤٣-٤٦. ليدي دوروثي ميلز: ما وراء البوسفور، ص ٢١٠.

ولعدم تأكده من مدى ولاء القوالين، استحصل على مرافقة عسكرية حتى ماردين، حيث استأجر حارساً مسيحياً أوصى به ألفس أندروز لكن رغم كل الحيطة والحذر، فقد إسماعيل سنجاقه الذي حصل عليه بمشقة، وذلك في قرية صغيرة تدعى حمدونه (تم تسميتها حالياً قوروقافاق) على السفح المطل على رضوان حيث رأى لايارد لأول مرة السنجاق في العام ١٨٤٩(★).

قائلين لرئيس القوالين ميرزا كلاش بأن إسماعيل يخطط أن يأخذ معه السنجاق إلى روسيا أفلح القوالون بالاستعاضة عن السنجاق الحقيقي وذلك بإزالته ووضع آخر عادي مكانه حينما كان إسماعيل يغط في النوم، في نفس الوقت، شريكهم في ذلك الكافر الغادر ضولو بك سرق حصان أخيه وبندقيته، تجنب اللصوص الملاحقة وعاد بالطاووس إلى سعيد بك ووالدته، وتم تغريم القرية ٤٠ ليرة (٣٦ جنيهاً سترلينياً) ومنها أعطى الوالي إسماعيل ١٠ ليرات. وفي الاخير سجن جولو لجريمته، وأعيد حصان إسماعيل، لكنه لم يستعد السنجاق، فكر إسماعيل ذات مرة مغتماً وحزيناً بالعودة إلى ما وراء القوقاز، لكن بالأخير توسط سليمان نظيف باشا بالموصل في التفاوض في حل الخلاف العائلي مما مكن إسماعيل العيش في بلد سنجار.[١]

في حلم تراءى له راهبان مسيحيان يقدمان مناديل سوداء لمجموعة من النساء، استنتج منه إسماعيل تحذيراً له بأن الحرب والاضطهاد على وشك الوقوع، فحذر الأرمن في ماردين ووعدهم بتوفير الحماية لهم في جبل سنجار إذا ما احتاجوا إليها، كما قدم تأكيدات مماثلة إلى المطران اليعقوبي أكناتيوس السادس والثلاثون عبد الله الثاني.[٢]

في العام ١٩١٤ علم إسماعيل من الياس شكّر مطران اليعقوبيين في الموصل بأن مكتبة المطرانية في دير (دير الزعفران) تملك كتاباً يعني بالشؤون الأيزدية، قدم له

(*) راجع الفصل السابع. كيست، ص٣٨٠

(١) إسماعيل، ص ٤٦-٥٢. لقاء مع سكان قرية قوروكاظاك (حمدونة السابقة) في تشرين الأول ١٩٨٣.

(٢) إسماعيل، ص ٥٢-٥٣.

سليمان نظيف مرافقة عسكرية إلى ماردين، حيث أراه الرهبان المخطوط، الذي احتوى على نصوص عربية للكتب المقدسة مع بعض الأدعية القصيرة باللغة الكردية، قام كاتب باستنساخه له مضيفاً لها أسم الناسخ وزمان ومكان النسخ، مع اسم إسماعيل وقصة سماعه بالمخطوط، وذكر أيضاً أنه يعتقد بأن هذا النص كان قد فقد في العام ١٨٤٩ ولكن أعيد اكتشافه في الهند في العام ١٨٨٩ من قبل المطران اليعقوبي أكناتيوس الرابع والثلاثون بطرس الرابع الذي عاد إلى ماردين، ولم تكن لدى إسماعيل أية دواعٍ لأن يشك في صحة القصة، لكن المصدر الارجح للمخطوط تقترحه إشاعة تعود بتاريخه المذكور ضمن المعلومات المختصة بالنسخة إلى ١٨٨٩ م ٢٢٠٠ سلوقية ١٣٠٥ هـ.[١]

في مايس من العام ١٩١٤ أعلن سليمان نظيف باشا بأنه من الآن فصاعداً سيتم الاعتراف بـ ٦٨.٠٠٠ أيزدي يعيشون في ولاية الموصل، كطائفة دينية مميزة وسوف لن تتم ملاحقتهم أو اضطهادهم بسبب ممارستهم لعقيدتهم، وكجزء من التسوية فإن الطواويس سوف تعاد لهم(★) وأن الأمير سوف يصرف له راتب شهري قدره ٧.٤ جنيه سترليني.

تكشف وثائق دوائر الحكومة المحفوظة في الأرشيفات العثمانية بأن الأيزديين كانوا يطلبون ألف قرش في الشهر، وأنهم في التسوية النهائية وافقوا (على أن ينضموا إلى العقيدة الفرنسية أو الانكليزية) يحمل المرسوم الرسمي تواقيع كل اعضاء الحكومة بما فيهم أنور باشا، وزير الدفاع[٢] وبعد سنوات من المفاوضات، توصلت ميان خاتون إلى اتفاق مع الحكومة في الوقت المناسب، وبعد مضي ستة أشهر تم إخلاء المبشرين الفرنسيين والبريطانيين من العراق، ودخلت الامبراطورية العثمانية الحرب.[٣]

---

(١) منكنه، المصدر السابق، ص ١١٧. لا يذكر إسماعيل في سيرته الذاتية شيئاً عن هذا. كيست، ص٣٨١

(*) من المفترض أن القوالين كانوا في تجوالهم يحملون معهم نسخاً من السنجق وليس السنجق الأصلي.

(٢) الأرشيفات العثمانية، الوثائق ٣١٨٩٢٢، ٣١٨٩٢٢ / ١-٥. ذه تايمز، العدد ١٦ أيار ١٩١٤، ص ٧.

[٣] كيست، ص ٣٤٢

وفي نهاية كل هذا رفرف العلم الفرنسي ذو الألوان الثلاثة فوق دمشق وحلب، وسيطرت بريطانيا على فلسطين والعراق، لكن روسيا انهارت، ودولة تركية الجديدة حكمت استنبول والاناضول بما فيها معظم المناطق التي تنازل عنها عبد الحميد للقيصر.

وعبر فترة الاضطرابات هذه، أنقذت الطوائف الأيزدية في العراق من الهلاك بسبب موقعها الجغرافي وحكمة واتزان ميان خاتون.

بقي إسماعيل بك في بلدة سنجار ينتظر السيف الروسي.

وبينما هم يقتربون من ساحات الوغى القديمة أدركت هيئة الضباط البريطانيين مدى أهمية وستراتيجية جبل سنجار، خطوط المواصلات العثمانية مع جيشهم في العراق كانت تتبع طريق القوافل القديم من حلب إلى الموصل، وكان يوازي حالياً طريق سكة حديد بغداد الذي كان يتقدم ببطء، وكانت مقدمة السكة قد وصلت إلى نصيبين في أيلول عام ١٩١٧، وخلف هذه كانت الوسائل التقليدية للنقل ـ الخيل والبغال والجمال ـ هي الأكثر جدوى، باستثناء السيارات التي كانت قادرة على عبور الصحراء المعدومة الطرق(*).

كان رجال القبائل الأيزديين من موقعهم المتميز على جبل سنجار مسيطرين تماماً على الطرق، وبمقدورهم اغتنام الفرص للاستيلاء على الماشية والملابس والعتاد.[1]

تذكرت طرترود بيل ـ المسؤولة الأعلى في الإدارة ببغداد ـ العداوة القديمة بين أيزديي سنجار والعثمانيين، لذلك وفي آب من العام ١٩١٧ أرسلت شخصاً عربياً حاملاً

(*) في العام ١٩١٦ تمكن أنور باشا وهيئة الأركان من الوصول إلى فاصل موصل ـ سامراء في رحلة تفتيشية مستخدمين الأطواف (الكلك).

(١) إسماعيل، ص ٥٤-٥٥.

رسالة منها موجهة إلى حمو شرو، وكنيتجة لذلك كتب إسماعيل نفسه رسالة إلى البريطانيين الذين ردوا عليها بحرارة شاكرين على إيواء وحماية الأرمن المطرودين الذين تمكنوا الهرب خلسة من القافلة بين دير الزور والموصل.[١]

وفي شباط العام ١٩١٨ قرر أنور باشا بأنه حان الوقت لإنهاء التهديد الأيزدي لخطوط مواصلاته مع العراق، فألفت حملة من المحاربين المخضرمين للجبهة القوقازية والعرب الذين كانوا لا زاوا موالين للعثمانيين وتقدمت إلى تلعفر مع مدافع تسحبها الثيران، وأرسل المبعوثون إلى جبل سنجار بطلب ضرورة أن يتقدم الأيزديون بتسليم اللاجئين الأرمن لديهم والبنادق المسروقة، أو أن يتحملوا النتائج المترتبة على الرفض، قام الرجال القبليون بتمزيق الإنذار، وأعادوا الرسل على أعقابهم مجردين من ملابسهم، ولكنهم أهملوا نصيحة إسماعيل بضرورة إرسال نسائهم وأطفالهم ومواشيهم إلى الجبال، ونتيجة ذلك تكبدوا خسائر فادحة عندما جاء الهجوم العثماني، عندها قرر مجلس حرب أيزدي بأن على إسماعيل محاولة الوصول إلى البريطانيين، وفي الصباح التالي غادر إسماعيل برفقة حارس شخصي ولاجئين أرمنيين (يعرف أحدهم بالبروفيسور، كان قد قام بمحاولة اغتيال السلطان عبد الحميد) مسافرين بمحاذاة أطراف الصحراء ومارين بخرائب وآثار الحضر، وكان العرب المجهولي الولاء يتعرضون لهم بين الفينة والأخرى حتى وصلوا الخطوط البريطانية عند سامراء.[٢]

يذكر إسماعيل في مذكراته الاهتمام الذي أولاه له الجيش البريطاني لدى استقبالهم له، استمع الضباط باهتمام كبير بينما كان إسماعيل يشرح لهم خطته ذات الحدين للهجوم على الموصل، التي كان من المفترض أن يعطي البريطانيون إسماعيل ٣.٠٠٠ بندقية، وخمسة وعشرين مدفعاً رشاشاً، وطائرتين، وقوة من الجنود الهنود.

---

(١) تقرير كرترودبيل في ٨ تشرين الثاني ١٩١٧ إلى المكتب العربي. النشرة العربية (١٩١٧) ص ٥١٤-٥١٥. إسماعيل، ص ٥٥-٥٦. كيست ص٣٨٧

(٢) إسماعيل، ص ٥٦-٦٣. روزيتا فوربس: صراع من أنكورا إلى أفغانستان، ص ٣٢٢.

في بغداد التقى إسماعيل قائد القوات البريطانية الجنرال مارشال ورئيس هيئة أركانه، وأخبر طرترود بيل عن عدد من الاخطاء الطوبوغرافية على خارطتها[1] وحالت حرارة الصيف دون القيام بعمليات كبيرة، ولكن في تموز من العام ١٩١٨ عاد إسماعيل إلى سنجار برفقة قوة استطلاعية خيالة يقودها ضابط الهندسة البريطاني الكابتن هاري هيوستن الذي كان عندئذٍ في الخامسة والعشرين من العمر، يساعده الكابتن كامبل مونرو وهو طبيب عسكري هندي.

وفرت قبيلة شمر جربه العربية ـ الساكنة غرب بغداد ـ قوة مرافقة للمجموعة، مستمرين في الحركة ليلاً ونهاراً، حملتهم جمالهم السريعة الحركة على طول الطريق غرب حوض نهر ثرثار الجاف إلى نقطة جنوب جبل سنجار، حيث ركب كل من إسماعيل وهيوستن ومونرو الخيول متوجهين إلى حيث ملتقى ليلي مع حمو شرو في بلد سنجار. [2]

أوضح الزعيم الأيزدي كيف أن القرى مكشوفة للمدفعية العثمانية وصرح بأن رجال القبيلة لا يستطيعون القيام بأي عمل هجومي دون دعم واسناد، فعاد المبعوثون إلى حيث كانت المرافقة توقفت دون أن يتم اكتشاف أمرهم، وانضمت إليهم زوجة إسماعيل وابنه عبد الكريم وابنته ونسا البالغة من العمر ثمانية عشر شهراً، وعادوا جميعاً بسلام إلى الموقع البريطاني بتكريت[3]، وقبل أن يفترقوا سلم إسماعيل إلى هيوستن وثيقة مكتوبة بخط اليد غير موظبة على الاطلاق، لكنها تشبه إلى حد كبير كتاب تمارين عادي، وأخبره بأنها تفصح عن الديانة الأيزدية، وكانت الكتابة بالعربية،

(١) إسماعيل، ص ٦٣-٦٤. رسالة كرترودبيل في ٢٨ حزيران ١٩١٨ إلى السير هوك بيل. تقرير كروترود بيل في ٩ تموز ١٩١٨ إلى المكتب العربي.

(٢) كيست، ص٣٩٠

(٣) تقرير تانقيب أ. كاميبل مونرو عن زيارة إلى جبل سنجار في تموز ١٩١٨ مؤرخ في ١٥ آب ١٩١٨ ضمن تقرير كرتروويبل إلى المكتب العربي في ٢٣ أيلول ١٩١٨، "مراجعة للإدارة المدنية في ميسوبوتاميا" ص ٥٠. إسماعيل، ص ٦٥-٦٧. رسالة الميجر جنرال هيوستن في ٢٦ آذار ١٩٨٠ والمقابلات التالية مع المؤلف.

وهي غير مفهومة لهيوستن لكنه احتفظ بها بعد أن وصلته الأوامر بإرسالها إلى المقر لأن الأيزديين يطلبونها[1]، ولو كان في إمكانه قراءة المعلومات الموجودة فيها المتعلقة بالناسخ والتواريخ لعلم بأن في حوزته نسخة من مخطوط دير الزعفران للكتب الأيزدية المقدسة. وفي وقت ما أطلع ألفونس منكنه في مانشستر على المخطوط.

وفي ١٠ أيلول من العام ١٩١٨ توجهت قوة عثمانية مجهزة بالمدافع الرشاشة تساندها الطائرات ومدفعا هاوتزر ١٥٠ ملم إلى جبل سنجار لانهاء التهديد الأيزدي مرة أخرى للطريق من نصيبين إلى الموصل، وتم احتلال بلدة سنجار مرة أخرى وهوجمت القرى الكبرى، وفي هذه المرة انسحب رجال القبائل الذين يقودهم حمو شرو وداوود الداوود مع عوائلهم وقطعان مواشيهم، ولجأوا إلى الجبال محتمين بالكهوف إلى أن أدركوا بأن المحتلين قد غادروا فعلاً.[2]

استقال أنور باشا في منتصف تشرين الأول، وبحلول نهاية الشهر خسر العثمانيون حلب، وتم التوقيع على اتفاقية سلام، ودخلت القوى المنتصرة استنبول.

دخل محارب الصحراء الأسطوري الكولونيل جيرارد ليجمن الموصل كضابط سياسي، برفقة مساعده الكولونيل نالدر وإسماعيل بك، وبعد أيام قلائل توجه الثلاثة بالسيارات إلى تلعفر لقبول استسلام الحامية العثمانية فيها، ومن هناك إلى سنجار، حيث (كان وقتاً حساساً في حياة الجبل ووصل الكولونيل ليجمن في الوقت المناسب لإنقاذنا من الهلاك) [3] وذلك وفق كلمات حمو شرو، وفي الموصل دعا ليجمن

(١) رسالة هيوستن في ٢٦ آذار ١٩٨٠ إلى المؤلف.

(٢) l0 L/MIL/17/15/42 تقرير هيئة أركان القوات البريطانية في العراق حول ميسوبوتاميا (العراق): المنطقة رقم ١ (شمال الجزيرة) ١٩٢٢، ص ١٤١-١٤٢. صديق الدملوجي: اليزيدية، ص ٥١٢-٥١٤.

(٣) إسماعيل، ص ٦٧-٦٨. الميجر ن. ن. إي. باري: سيرة ليجمان، ص ٣٦٠. راجع أيضاً ونستن: ليجمان، ص ٢٠٢. ص٣٩٢

جمعية من زعماء الأيزديين إلى عقد اجتماع حضره إسماعيل يرافقه حمو شرو وخمسة وثلاثون زعيماً من سنجار.

بعد قبول تعابير الشكر والامتنان من المطارنة الأرمن والكلدان تشاور إسماعيل مع ليجمن الذي عرض عليه حاكمية سنجار. امتنع إسماعيل عن قبول العرض باعتبار أنه حمو شرو أجدر به، وكان هو يسعى إلى ما هو أكبر !

وفي اليوم التالي وصل وفد من الشيخان مؤلف من الشيوخ والزعماء يترأسهم الشيخ الرئيسي الأعلى والأمير سعيد بك، الذ يصفه نالدر بأنه شخص رقيق ويبدو عليه الضعف والنعومة، وهو في حوالي الثلاثين، وفي الحقيقة كان في الثامنة عشرة من عمره.[١]

أعلن ليجمن بأن حمو شرو سوف يتولى المسؤولية في سنجار، عندها التفت إلى موضوع مَن سوف يتكلف بأمر المدخولات الأميرية، كان هو يميل بإعطائها إلى إسماعيل، وعندما وصلت ميان خاتون وعقدت اتفاقاً مع حمو شرو، توصيتهما المشتركة كانت تنص على تقسيم المدخولات الاجمالية من السناجق بين سعيد وإسماعيل، وبموافقة إسماعيل صادق ليجمن على التسوية.[٢]

في ولاية الموصل دُعيت كل أقلية للتعبير عن رأيها، والبيان الأيزدي الموقع (باسم مجموع الشعب الأيزدي في ولايات دياربكر والموصل من قبل حوالي خمسين شخصاً بما فيهم كل الزعماء الأيزديين) أفاد بأنهم يرغبون أن يكونوا من رعايا بريطانيا العظمى، وأنهم (سوف لن يقبلوا أبداً بأن تحكمنا حكومة عربية).[٣]

عاد إسماعيل إلى سنجار لفترة احتفالات تضم الزيارات، الخطابات والحفلات مُمجدة مجئ الحكم البريطاني.

---

(١) كيست ، ص ٣٩٣

(٢) إسماعيل، ص ٦٨-٧٠. ل. س. نالدر الضابط السياسي في الموصل: تقرير قسم الموصل للعام ١٩١٩. كيست ص٣٩٤

(٣) الحكم الذاتي في العراق، ص ٢٧. مذكرات كرترود بيل لشهر شباط ١٩١٩.

كانت ميان خاتون منشغلة برأب الصدع حيث رتبت زيارة لليجمن لمشاهدة المعبد في لالش، وهو الزائر الأجنبي الأول منذ سنوات عديدة.[١]

ولد ابن لأحد الأمراء الأيزديين فأعطي له اسم ليجمان بك (*).

في مذكراته يسجل إسماعيل فزعه حيث أنه بعد مرور أربعة أشهر على تسوية الموصل ذهب إلى بغداد لإعادة عائلته واحتجزها هناك على أساس أن الأيزديين لا يرغبون في وجوده بسنجار.

غادر ليجمن الموصل بعد أسابيع قليلة، وكتب نالدر الذي خلفه:

أثبت إسماعيل بصورة مطلقة بأنه ليس محل ثقة، وبأنه غير قادر على الامتناع عن إثارة المسائل التافهة من كل نوع، وفي الأخير وجد أنه من الضروري إرساله إلى بغداد، وسعيد بك، يستعيد الزعامة المطلقة.[٢]

وبعد سنوات من الخلافات العائلية لم تبقَ لدى إسماعيل أية شكوك حول ما حدث، فقد تأكد لديه أن فريق سعيد بك قام برشوة زعماء سنجار لتقديم شكاوى ضده، علق تقرير نالدر أن سعيد بك (الذي يدار كلياً من قبل والدته ميان السيدة العجوز المستبدة، ولا أعتقد أن مصالحها الشخصية تتطابق دائماً مع مصالح القبيلة) كانت ميان خاتون في ذلك الحين في الرابعة والأربعين من العمر وكانت في ذروة نشاطها.[٣]

---

(١) إي. س. ليدي دراور: عبر دجلة والفرات، ص ١٨٤.

(*تزوج هذا الأمير من ابنة إسماعيل بك كوثرس (تيمناً بجزيرة قبرص، حيث حطت سفينة إسماعيل في العام ١٩٠٩ بعد عاصفة عنيفة اثر انطلاقها من استنبول). (إسماعيل، ص ٣١. اليزابيث دين بيكت و إي. و. ماكدوال: في أرض يونان ويقطينته، ص ٤٨).

(٢) إسماعيل، ص ٧٠. 2 / CO 696 نالدر: تقرير قسم الموصل للعام ١٩١٩، ص ١٨.

(٣) رسالة إسماعيل في ٢٩ آب ١٩٢٠ إلى هيوستن 2 / CO 696 نالدر: التقرير، ص ١٩.

ناشد إسماعيل طرترود بيل لزيادة الراتب الذي يصرف له، وحاول دون جدوى اقناع بريطانيا بتعليم ابنه عبد الكريم في انطلتـرة، حتى أنه طلب من الكابتن هيوستن حالياً في دائرة الحرب بلندن، فيما إذا كان بمقدوره ترتيب عودته إلى سنجار، رسالته التي كتبها شخص ثنائي اللغة شكرت صديقه لإعادته المخطوط، وعرض عليه إرساله نسخة أخرى، كما طلب منه أن يجلب له في زيارته المقبلة للعراق سيارة على أن لا يتجاوز السعر ١.٥٠٠ روبية، ﴿ ماقيمته ١٥٠ جنيهاً ﴾ أو إذا كان ذلك صعباً فهو يكتفي بدراجة بـخارية.[١]

استغرق نفي إسماعيل سنتين ونصف السنة، عاش خلالها في بغداد مع عائلته على راتب خصصته له الحكومة، وقام أحياناً بزيارات إلى البصرة وإلى معسكر اللاجئين في بعقوبة(*) حيث تعرف على بعض اليتامى الأيزديين الذين تم إنقاذهم من قبل الأرمن في (وان) عندما هرب رجال القبائل المحليين إلى ما وراء القوقاز[٢]، تذكر زوجة قائد المعسكر في مذكراتها هذه الزيارات وتصفه بأنه (كان رجلاً طويل القامة، بلحية طويلة سوداء وعيون وديعة سـمـراءٌ، ويــرتـدي ثوباً فضفاضاً تعلوه عمامة بيضاء وعباءة بنية فاتحة اللون).[٣]

في النصف الثاني من العام ١٩٢٠ تمردت القبائل العربية ضد الاحتلال البريطاني، من بين صفوف الضحايا كان ليجمن الذي قتل في قرية على مقربة من الفرات، وبنهاية العام نصبت بريطانيا مفوضاً سامياً جديداً لميسوبوتاميا السير ثيرسي كوكس الذي أتاح لإسماعيل العودة إلى سنجار في العام ١٩٢١، فاستعاد مستحقاته من حصة

(١) إسماعيل، ص ٧٠-٧١. همفري بوومان: نافذة الشرق الأوسط، ص ٢٢٢. رسالة إسماعيل في ٢٩ آب ١٩٢٠ إلى هيوستن. كيست ص٣٩٦

*) كان المعسكر يأوي مَن بقي على الحياة من الطوائف الآثورية في مناطق هكاري وأورمية، الذين شقوا طريقهم عبر غرب بلاد فارس إلى العراق.

(٢) كان من بين هؤلاء من الجنس الاناثي وبعدما كبرن تزوجن في شيخان وسنجار .

(٣) إسماعيل، ص ٧٠. ستيفنس / براور: عبر دجلة والفرات، ص ١٨٧ و ١٩٩-٢٠٠. بيتي كنليف أوين: عبر بوابات الذاكرة من البوسفور إلى بغداد، ص ١٥٦-١٥٧. كيست ص٣٩٧

المدخولات الأميرية، وبعد سبع سنوات سمى إسماعيل ابنه الأصغر باسم كوكس بك تيمناً بالسيد كوكس.

قاد إسماعيل بك ـ راضياً في النهاية عما كان يستلمه مما يستحقه من المدخولات الأميرية(*) ـ حياة هادئة ورزينة في بلدة سنجار، منزله كان مبنياً على خرائب حامية رومانية، كان يمتلئ بالوجهاء الأيزديين والزوار الغرباء المحبين للاستطلاع من العراق وبريطانيا وأماكن أخرى، دخل ابنه عبد الكريم المدرسة في بغداد، وطفلان يصغرانه في السن هما: ونسا، وأخوها يزيدخان، دخلا المدرسة الداخلية للبعثة الأمريكية في الموصل والتي تمت إعادة تأسيسها تحت رعاية ادموندز ماكدويل وزوجته اللذين بدءا عملهما بمدرسة للفتيات في العام ١٩٢٤.(١)

وفي تموز من العام ١٩٢٤ عرضت قوة الليفي العراقي ـ وهي قوة دفاعية محلية نظمت من قبل البرطانيين من الآثوريين والكرد والمتطوعين الاخرين ـ على الأيزديين فرصة الانضمام إلى خيالة مؤلفة كلياً من قبل الأيزديين، ورغم أن الزي الرسمي كان خاكياً إلا أن رجال القبائل ترددوا في التخلي عن ثيابهم التقليدية البيضاء، وإسماعيل الذي كان قد حمل شارة القوة الجوية الملكية منذ أيام الحملة من العام ١٩١٨ تطوع لفتح الطريق على الآخرين.

مرتدياً الزي الرسمي لقوات الليفي العراقي تمكن إسماعيل من تجنيد ٢٠٠ من رجال القبائل، ولكن بعد فترة أهمل المشروع عندما أدرك البريطانيون أنه رغم كون

(*) ثلث الدخل كان مخصصاً للاغراض العامة، بما في ذلك الدعم المالي المقدم إلى أعضاء عائلة ضول، والثلثان الآخران يقسمان مناصفة بين الأمير سعيد بك وإسماعيل بك. (مقابلات مع الأميرة ونسة الأموي في شباط وتموز ١٩٨٤).

(١) إسماعيل، ص ٧٢. بيكت / ماكدوال: أرض يونان، ص ٢٥-٣٠ و ٤٤-٥٢ و ١٠٥ و ١١٥. BFM، PCUSA التقرير السنوي، المجلد ٨٨ (١٩٢٤-١٩٢٥) ص ٢٥٤-٢٥٥). راجع أيضاً جيرالد رايتلنكر: آثار القرون الوسطى في غرب الموصل، العراق، المجلد ٥ (١٩٣٨) ص ١٥٥-١٥٦ والشكل رقم ٢٦.

الأيزديين جيدين في كيفية التعامل مع الخيل (إلا أنه من الصعوبة تدريبهم ولا يخضعون بسهولة للانضباط).[1]

خلال مشكلة عام ١٩٢٥ أقلقت الحملة المستمرة لإسماعيل الحياة المدنية المحلية، وتعرض القوالون الذين كانوا يطوفون بسنجاق سنجار إلى النهب والسرقة من قبل جماعة استأجرهم أمير آخر من عائلة ضول، وهو نائف بك الذي كانت ابنته متزوجة من الأمير سعيد بك.

شك إسماعيل في أن مغزى المحاولة هو الاخلال بحقوقه، ولكن السلطات البريطانية تحركت بسرعة وفي الوقت المناسب، واستعادت السنجاق بعد تعنيف نائف بك، وجاءت ميان خاتون نفسها إلى سنجار لتشهد احقاق العدالة.

المسؤول البريطاني الذي زار جبل سنجار في هذا الوقت، يتذكر زيارته إلى إسماعيل واصفاً إياه بأنه رجل في حوالي الأربعين من عمره، له لحية سوداء منتشرة بغير اتساق، وتعبير كئيب ملؤه الحزن طالما يلاحظها الزائر على وجوه الزعماء الأيزديين عند لقائهم بذوي السلطة والمسؤولية، كان يرتدي بنطالاً وجوارب الركوب، وقميصاً عسكرياً بريطانياً رمادي اللون، ومعطفاً يصل إلى وسط قامته خاكي اللون، وعمامة بيضاء على الطريقة العربية ملتف حوله عقال أسود، عند دخولنا لمنزله، غير إسماعيل ملابسه بمعطف طويل من النوع القوزاقي، واعتمر بمسدس وخنجر قوقاسي مستقيم. كان أرض غرفة الضيوف مغطى بالبسط والسجاجيد، وكانت كميات غير محدودة من الصور الفوتوغرافية، الكتابات والمسدسات والسيوف وبندقية صيد مركب عليها تلسكوب، وخنجر قوقاسي آخر، وصورة سنجاق محفورة على غمده، كلها كانت معلقة على الحيطان، في زاوية علق كيس يحوي على عدد من البخور التي تحرق في لالش.[2]

(١) براون، ص ٣٣. إسماعيل، ص ٧١-٧٢.

(٢) ادموندز، ص ٥٨-٥٩.

بعد ثلاث سنوات استقبل إسماعيل الصحفي الألماني بول شوتز كان يقود السيارة من حلب إلى تبريز في محاولة فاشلة للعثور على مستوطنات ألمانية في القوقاز، وعند وصوله بلدة سنجار وجد هو وصاحبه الطبيب إسماعيلَ متمدداً على الأريكة في دهليز منزله:

كان وجهه مصفراً، خدوده مقعرة وعظمها بارز، وجمجمته تبرزها لحيته السوداء، مثل هذا الرأس يمكن أن يكون منحوتاً من نفس الخشب الذي نحت منه رؤوس الأساقفة الروس، عيونه السوداء العميقة الرزينة كانت تنم عن الوداعة وتظهر آثار المعاناة والحزن، لا أستطيع أن أتذكر رؤيته وهو يبتسم أو يضحك أبداً.

سعل إسماعيل بصورة حادة، وأشتكى من آلام في الصدر، وبعد وصف دواء لمرضه أقتيد الاثنان إلى غرفتين في أعلى البيت جيدة التأثيث، وبينما هم يتأملون ضياء القمر على منحدر الجبل والصحراء الواسع إلى الجنوب تناهى إلى مسمع شوتز أصوات قريبة من غرفته، فتح الباب ليرى خادمته تقوم بترتيب بُسط لفراش إسماعيل في الممر بالخارج.

في صباح اليوم التالي استقبلهم إسماعيل في غرفة الضيوف، حيث لاحظوا من بين السجاجيد والسيوف والبنادق وصور باهتة مقطوعة من مجلة قديمة للملوك الاوروبيين المخلوعين، لوحة أرمنية تمثل صلب المسيح، وبوستر ملون لدعاية مكائن الخياطة من طراز كرتزنر ومكعبات الحساء الانكليزية.

وافق على التحدث عن الدين الأيزدي، وأخبرهم بأنه (سبق له وأن أملى أسرار مبادئ العقيدة على قس سوري).

يقول شوتز بأن ذلك كان كتاباً صغيراً كتب بالأبجدية العربية، لكن على الارجح في اللغة الكردية، أضاف إسماعيل بأن كتاباً قديماً يقال بأنه يعود إلى ٤٠٠٠ سنة يدعى (الكتاب الأسود) مكتوب باللغة الكردية، تعرض للضياع في هجمات الأعوام ١٨٩٢-١٨٩٣، ويزعم بأن الكتاب الأصل موجود حالياً في ألمانيا، وقد سمع إسماعيل بأن أحد أعيان الموصل يملك نسخة منه.

شعور إسماعيل تجاه ديانته مقلقة على التراث الثقافي الأيزدي يسطع عبر التفاصيل الغزيرة التي دونها شوتز بسرعة، والتي انتقدها لاحقا باعتبارها مُحَرفة ومشوشة وغير منسقة أو متطابقة(*) يتكلم بحزن عن نصف القرن الماضي من مذابح وتغيير الديانة القهري إلى الاسلام، مما أدى إلى انكماش عدد أفراد الطائفة الأيزدية التي كانت في يوم ما طائفة واسعة الانتشار ومزدهرة، نظرته إلى المستقبل كانت ـ على غير طبيعته ـ غير مألوفة وعابسة، أراهم باعتزاز صورة فوتوغرافية لعبد الكريم وهو يرتدي الزي الاوروبي لمعلم من بغداد، لكنه استدرك بأن التعليم يدمر العقيدة، وذلك بتمكينها الجميع على أن يكون لهم آراؤهم الخاصة، خمس الطائفة يرغب في التعليم، والبقية الأخرى باقية على ولائها واخلاصها لديانتهم، ومشيراً إلى ابنه البالغ من العمر عشر سنوات (من المفترض أن يكون يزيدخان بك) قال إسماعيل: إنه سوف يعطيه أسرار الديانة الأيزدية (من القلب) وهو بدوره سوف ينقلها مرة أخرى (من القلب) إلى ابنه.

ساق الرحالة إلى الموصل وكلمات إسماعيل للتوديع ترن في أذن شوتز: دَوِّن مبادئ وتعاليم ديانتنا وأنشرها في كل اللغات الاوروبية، حتى تخلد عقيدتنا قبل أن تندثر![1]

تدخل ميان خاتون في حادث سنجاق سنجار أظهر بوضوح مَنْ كان يأخذ بزمام الأمور في الشيخان، وفي العام ١٩٢٢ سجل كاتب بريطاني بأن:

(سعيد بك، رجل كئيب تظهر عليه الوداعة، وله عينان صافيتان ولحية سوداء، وفم واهن مع التعابير الدالة على عدم قدرته على امتلاك القرار، صفات شخص يُدار ولا يدير).[2]

(*) يشير شوتز إلى إسماعيل على أنه شقيق الأمير سعيد بك (وليس عمه).

(١) باول شوتز: Zwischen Nil und kaukasus ص ١٣٥-، ١٤٢. نقلاً عن كيست، ص٤٠٣

(٢) ستيفنس / دراور: دجلة والفرات، ص ١٩٠.

وبعد مرور سنتين وصف مراسل خاص لـتايمز اللندنية عندما كان في زيارة إلى باعدرى وصف سعيد بك: شخصية ذات مظهر استثنائي مميز، طويل القامة نحيل، له أيدٍ ناعمة ورقيقة، ولحية سوداء متموجة تدريجياً تنتهي في نهاية مستدقة، يظهر أنه أكبر سناً من عمره الحقيقي، حوَل طفيف في عينيه الكئيبتين يضفي عليه انطباعاً ضعيفاً بالشر.

والكاتب الذي قام بزيارة ميان خاتون وصفها قائلاً: امرأة مبتهجة وسيمة، وافرة الصحة، تنتصب واقفة في الفناء العلوي الذي أسوَد من الدخان في القسم الخاص بالنساء، هناك إلى جانب النار المشتعلة، كانت تستقبل زوارها، ولاحظ بأنها (بصورة جلية تحتقر ابنها الضعيف) وبعد سرد الحادث العنيف لمقتل علي بك وجده، تضيف المقالة:

سعيد بك ليس من النوع الذي ينتقم للعداوات القديمة، لأنه مولع بمنظر الشراب عندما يكون أحمر قانياً، وخاصةً العرق عندما يكون أبيض، ومع ذلك فتنة وسحر في سلوكه تلازمه على الدوام، ويبدو أن الثمل لا يفعل غير أن يزيد من حزنه وكآبته الطبيعية.

كما قال الكاتب بأن الأمير كان (المالك المعتز لخمسة سيارات أمريكية) (عند بلوغه السابعة والعشرين كان سعيد بك قد تزوج لخمس مرات) [١].

يقول الدملوجي بأنه قتل زوجته الأولى في العام ١٩٢٥، زوجته الثانية ابنة نائف بك توفيت وفاة طبيعية، لكن زوجته الرابعة التي تركته لتتزوج من جديد في مسقط رأسها سنجار قتلت هي الأخرى، قال سعيد بك مناقشاً مبدأ تعدد الزوجات مع امرأة إنكليزية في العام ١٩٢٩: (عندكم المرأة تتمتع بقوة كبيرة، لذا فإن الزوجة الواحدة تكتفي، ولكن عندنا حيث المرأة لا تتمتع بأية قوة على الاطلاق، فليس للامر أية أهمية). [٢]

(١)كيست، ص٤٠٤

(٢)الدملوجي: اليزيدية، ص ٣٠.

في العام ١٩٣٠ تلقت الحكومة العراقية ومستشاروها البريطانيون شكاوى مفادها أن:

الأمير لم يكن فقط يبذل المدخولات التي لا يعتد بها والتي تتوالى على دائرته على الشراب والراقصات في مدينة الموصل، بل إنه بينما هو ثمل يرتهن القرى الأيزدية مع عصابة من المحامين الصعاليك بمعدلات فائدة عالية ليحصل على أموال أكثر ليبذرها على اسرافه وملذاته.

تم اعتبار إمكانية وضع الأيزديين تحت القوانين المنظمة لشؤون الطوائف المسيحية واليهود، واستفسر آراء الوجهاء والأعيان من سنجار وشيخان.[١]

كان بديل سعيد بك يتوفر في ابن عمه حسين بك بن الأمير ميرزا بك، الذي تم تجاوزه في الخلافة لدى انتقالها إلى الأمير علي بك.

في العام ١٩٢٥ كتب زائر إلى باعدري:

رغم أن ليس لديه أي مطالبة بموقع الأمير، إلا أنه وبصفة غير رسمية يتمتع بقدر من القوة في منزل الأمير، حسين ذو شخصية ممتعة، ويتمتع بالذكاء، له شخصية متزنة، وبمقدور الانسان أن يقول بأنه سيكون زعيماً مثالياً.

لكنه كلما تقدم في السن استسلم لمصيره وفضل حياة الانعزال، تهديد يقل تأثيره على نفوذ ميان خاتون.[٢]

(مذكرة شيخان) التي وقع عليها بابا شيخ والزعماء الأيزديون نظمت لاستخدامها في اجتماع عقد في الموصل في العام ١٩٣٣ مع السير فرنسيس همفريز المندوب السامي البريطاني في العراق، مسؤولو الحكومة لم يجدوا أي عيب في هذه الوثيقة التي كتبت بمهارة، والتي بينت بشكل واضح (القواعد الأساسية) التي يتوجب الالتزام بها من قبل

---

(١) الدملوجي، ص ١٨.

(٢) أمبسن، ص ٩٢-١١٦. ادموندز، ص ٥٣-٥٤. الدملوجي، ص ٣٠. مقابلة مع الأميرة ونسة في تموز ١٩٨٤.

الأيزديين، وذكرت بصراحة أن الأمير "لا يمكن فصله أو إزاحته إلا في حالة الموت الطبيعي أو الاغتيال (لا سمح الله)".

وبعد مداولات كثيرة وافقوا على هذه القاعدة متغاضين عن سابقة تاريخية حيث قام والد ميان خاتون بالتصرف بصفة الوصي، عندما خلع العثمانيون عمها وتم التأكيد على أهلية الأمير للمدخولات الأميرية وذلك باصدار قرار رسمي.[١]

بالترتيب مع والي الموصل كان سنجاق سنجار في جولته للعام ١٩٣١ حول الجبل تحت إشراف حمو شرو، وبعد أن تم جمع التبرعات أعلن الفقير بأنه سوف يسلم السنجاق فقط إلى ابن عم الأمير حسين بك، وفي الحال وحسب الأصول قدم سعيد بك التماساً موقعاً من قبل ٨٠٠ من رجال القبائل تطالب بإعادة السنجاق.

استمر الخلاف لمدة ثلاثة أشهر، بينما احتفظ والي الموصل بالسنجاق في الحجز لحين التوصل إلى تسوية، وفي كانون الأول من العام ١٩٣١ وصلت التعليمات من بغداد بأن السنجاق يعود إلى سعيد بك، وأخيراً أعيد إلى الأمير في أيلول من العام ١٩٣٢.[٢]

وبالضرورة ذكر اسم إسماعيل في هذه الخلافات، لكن اهتماماته كانت قد بدأت تتحول من السياسة إلى المواضيع السطحية كالتي ناقشها مع شولتز، قرر إسماعيل أنه رغم عدم قدرته على القراءة والكتابة وحالته الصحية السيئة، فإنه سوف ينقل مبادئ الديانة الأيزدية إلى الاجيال المقبلة كتابة، وكذلك تاريخ الجبل وتجاربه الشخصية، وعلى مدى السنوات القليلة التالية، قام بإملاء كل ما يعرفه إلى متعاون عربي موثوق به.

---

(١) ادموندز، ص ٨-٩ و ٢٥-٣٠. ستيفن همسلي لونكريك: العراق ١٩٠٠-١٩٥٠، ص ١٩٣. / AIR 23 159.

(٢) عباس العزاوي: تاريخ اليزيدية، ص ٣٩. هـ. عزيز كونل: الأيزدية في التاريخ، أصول الأيزدية وتاريخهم الديني والسياسي والاجتماعي (مخطوطة تركية غير منشورة) ص ١٦٤-١٦٧. راجع كذلك فيلد: الأزدية في العراق.

في العام ١٩٢٩ انخرطت ابنته ونسا ـ البالغة من العمر اثني عشر عاماً ـ في المدرسة الداخلية الأميريكية للبنات في بيروت، وفي زيارة إلى المدينة أصبح إسماعيل مريضاً، لم يبق لديه أي مال حيث نفد ما كان معه فأدخل إلى مستشفى الجامعة الأمريكية وذلك بفضل رئيس الجامعة الدكتور بايارد دودج.

بعد عودته إلى الجبل، أرسل إسماعيل مخطوطاته للدكتور دودج، المذكرات كتبت في لغة عامية واضحة، أكتملت خلال العام ١٩٢٥، تاريخ سنجار لا زال في صيغة مخطط تمهيدي، ينتهي عند العام ١٨٧٥، بينما كان وصفه للديانة الأيزدية خليطاً من التقاليد الشفوية وتعليقات من قبل الخبراء الأيزديين، عندها كان قسطنطين زريق استاذاً مساعداً في الجامعة، أخذ على عاتقه القيام بتحقيق وتنقيح المخطوط الذي نشر في العام ١٩٣٤ تحت عنوان (الأيزديون: الماضي والحاضر).[١]

لم يكن المؤلف في وقت النشر باقياً على قيد الحياة، النجم المذنّب الذي أبهر هذا العدد الكبير من المؤمنين والمتشككين قد خبا لمعانه، في ٩ آذار من العام ١٩٣٣ ذهب إسماعيل بك إلى الموصل للقاء ونسا التي كانت قد عادت لتوها من بيروت، وفي ذلك المساء وبعد تناول العشاء مع سعيد بك توفي إسماعيل وهو في الخامسة والاربعين من عمره.[٢]

في العام ١٩٢٩ انخرطت ابنته ونسا ـ البالغة من العمر اثني عشر عاماً ـ في المدرسة الداخلية الأميريكية للبنات في بيروت، وفي زيارة إلى المدينة أصبح إسماعيل مريضاً، لم يبق لديه أي مال حيث نفد ما كان معه فأدخل إلى مستشفى الجامعة الأمريكية وذلك بفضل رئيس الجامعة الدكتور بايارد دودج.

بعد عودته إلى الجبل، أرسل إسماعيل مخطوطاته للدكتور دودج، المذكرات كتبت في لغة عامية واضحة، أكتملت خلال العام ١٩٢٥، تاريخ سنجار لا زال في صيغة مخطط تمهيدي، ينتهي عند العام ١٨٧٥، بينما كان وصفه للديانة الأيزدية خليطاً من التقاليد

(١) انظر مقدمة الدكتور زريق لكتاب إسماعيل.

(٢) الدملوجي، ص ٢٦.

الشفوية وتعليقات من قبل الخبراء الأيزديين، عندها كان قسطنطين زريق استاذاً مساعداً في الجامعة، أخذ على عاتقه القيام بتحقيق وتنقيح المخطوط الذي نشر في العام ١٩٣٤ تحت عنوان (الأيزديون: الماضي والحاضر).[١]

لم يكن المؤلف في وقت النشر باقياً على قيد الحياة، النجم المذنّب الذي أبهر هذا العدد الكبير من المؤمنين والمتشككين قد خبا لمعانه، في ٩ آذار من العام ١٩٣٣ ذهب إسماعيل بك إلى الموصل للقاء ونسا التي كانت قد عادت لتوها من بيروت، وفي ذلك المساء وبعد تناول العشاء مع سعيد بك توفي إسماعيل وهو في الخامسة والاربعين من عمره.[٢]

إن زيارة إسماعيل بك إلى ما وراء القوقاز في العام ١٩٠٨ ـ ١٩٠٩ وجهوده لتوحيد الطوائف الأيزدية تحت حماية الكنيسة الأرمنية، كانت قد ذكرت في فصل سابق، تكللت بقبول نائب الملك توصية إسماعيل بك بتعيين أحد وجهاء سرمالو زعيماً للأيزديين في القوقاز(، ويظهر بأن مجموعة قواعد السلوك التي أعلنها إسماعيل بك في إيغدير قد نفذت وعمل بها، ترجمة روسية للنسخة الأصلية الكردية وصلت إلى يد المستشرق الألماني أدولف در الذي ترجمها إلى الالمانية ونشرت في مجلة نمساوية في العام ١٩١٩، وليس واضحاً إلى أي مدى وصلت منجزات البرنامج التعليمي للمطارنة الأرمن.[٣]

تأسست المزرعة التعاونية الأيزدية الأولى في عام ١٩٢٨ على الضد من بقية أرمينيا والاتحاد السوفيتي ككل، كان التغيير بطيئاً، وكانت أكثر من ثلاثة أرباع الحقول الزراعية على جبل أراكاتس تفلح في العام ١٩٣٦ من قبل أفراد، وبحلول العام ١٩٤٠ كان كل الفلاحين في المنطقة أعضاء في المزارع التعاونية.[٤]

---

(١) انظر مقدمة الدكتور زريق لكتاب إسماعيل.

(٢) الدملوجي، ص ٢٦.

(٣) كيست، ص٤٢٧.

(٤)كيست، ص٤٢٨.

الاحصائات السابقة تتعلق بالعدد الكلي للكرد في أرمينيا، حوالي العام ١٩٣٠ خسر الأيزديون موقعهم كمجموعة عرقية مميزة ومنذ تلك الفترة عوملوا كبقية الكرد وألغيت ضريبة العشر الدينية، وعانى الشيوخ والثيرة الكثير من الصعاب واختفت طبقة الفقراء حيث تم ضم تلك العوائل في طبقة الشيوخ (وبعد مغادرة القوالين إلى العراق انقطعت اتصلاتهم مع لالش).

حلم إسماعيل بفتح المدارس للأيزديين فيما وراء القوقاز تحقق بينما كان لا زال على قيد الحياة حينما حلت السلطات الشيوعية في ايريظان محل الكنيسة الأرمنية، ولتسهيل التعليمات غيرت الألفباء الكردية من العربية إلى الحروف اللاتينية وذلك في العام ١٩٢٨، ثم إلى الكليريكية في العام ١٩٤٥.

وفي جيورجيا حيث كان الأيزديون يشكلون أقلية داخل أقلية تمكنوا من الحفاظ على مقامهم على هوامش طبقة البروليتاريا في تفليس، الإرسالية التبشيرية السويدية أغلقت أبوابها في العام ١٩٢١، الأمريكي الباحث في علم الإنسان هنري فيلد زار تفليس في أيلول عام ١٩٣٤ والتقى بعدد من الأيزديين برئاسة أحمد ميرازي في نادٍ كوردي محلي، وتمكن د. فيلد من اجراء أبحاثه على واحد وخمسين بواباً أيزدياً، يتذكر زعيمهم رؤية سنجاق موسكوفي وهو في طريقه إلى لالش في العام ١٩٢٨.[١]

★ ★ ★

وفي شتاء ١٩٤٢-١٩٤٣ أعاد الجيش الأحمر السيطرة على ستالينغراد، وانسحبت القوات الالمانية في القوقاز بالسرعة التي وصلت بها، وحينما انتقلت جبهة المعارك باتجاه الغرب بقيت ما وراء القوقاز موضعاً خلفياً في الصراع إلى أن تحققت هزيمة ألمانيا الحاسمة في العام ١٩٤٥. حقق اثنان من الأيزديين ما يميزهم خلال السنوات الخمس والعشرين الأولى من الحكم السوفيتي في ما وراء القوقاز أحدهم يمثل الجيل

(١)كيست، ص٤٣٤ .

الذي مر بمرحلة الانتقال الصعبة من الحكم القيصري إلى النظام السوفيتي والآخر كان نتاج المجتمع الجديد[١].

وشهد النصف الثاني من القرن العشرين انحداراً بطيئاً نحو الهاوية، وسقوطاً مفاجئاً للامبراطورية السوفيتية، كان عهد نظام مستبد قاسٍ تحول إلى إدارة فاسدة لامبالية مكنت الأيزديين من التقدم الاجتماعي والاقتصادي والثقافي أبعد بكثير من أحلام إسماعيل بك.

في أرمينيا الهيكل التقليدي القبائلي للمجتمع الأيزيدي والذي لاحظه باحث روسي في علم الانسان حتى في وقت متأخر كالعام ١٩٥٨، تحولاً تدريجياً إلى طائفة مندمجة وموحدة من الشيوخ والثيرة والمريدين، واستمرت السلطات في تصنيفهم ككورد حتى في احصاء كل الاتحاد الجاري في كانون الثاني العام ١٩٨٩، ولكن منذ ذلك الوقت غادر العديد من الكرد المسلمين أرمينيا نتيجة الخلاف مع آذربيجان، ومرة أخرى عاد الأيزديون يعرفون كمجموعة قومية.

يقدر الآن نفوس الأيزديين في أرمينيا بـ ٥٥.٠٠٠، وهو يضاهي مرتين عدد مجموع الكرد الكلي في الجمهورية الذي تم تعداده في العام ١٩٥٩[٢] حوالي ٥.٠٠٠ منهم يعيشون في ايريظان، بينما يعيش البقية حول جبل أراكاتس وفي منطقة تالين غرب الجبل إضافة إلى ٣.٠٠٠ أيزدي يعيشون في جيورجيا، أغلبهم في تفليس.[٣]

في السنوات الأخيرة للحكم السوفيتي كان هناك تسامح تام تجاه ممارسة شعائر الدين في كل من أرمينيا وجيورجيا رغم القيود الرسمية على المطبوعات الدينية واستخدام المباني لأغراض دينية، الأيزديون اعتمدوا على التقاليد الدينية المنقولة

(١) كيست، ص٤٣٤

(٢) أظهر الإحصاء السوفيتي في ١٢ كانون الثاني ١٩٨٩ وجود ٥٦١٢٧ كردي في جمهورية أرمينيا، ينظر: كيست، ص٤٣٧

(٣) كيست، ص٤٣٧

شفاهاً واستمروا في ممارسة شعائرهم الدينية في بيوتهم، وفي غياب الاتصال بلالش مثل الشيوخ الطبقات الثلاث، بينما حافظ الثيرة على وحدة العقيدة.

وفي العام ١٩٧٧ اختـرق شعاع من الضوء آتٍ من الخارج ظلام العصر ولفتـرة وجيزة.. بايزيد بك ابن إسماعيل بك قام بزيارة إلى الطائفة الأيزدية في ما وراء القوقاز، ويُعرف القليل عن البواعث لدى السلطات السوفيتية للسماح بالزيارة، التي جاءت بعد سبعين سنة من جولة والده الزاخرة بالأحداث، وخمسين سنة بعد أن غادر آخر قوال الاتحاد السوفيتي، لكن لو كان إسماعيل بك على قيد الحياة، لأدرك بمتعة لا يضاهيها شيء بأن السلطات السوفيتية في ايريڤان أجرت ترتيبات خاصة للمطران الأرمني فاسجين لاستقبال الأمير الأيزدي والتـرحيب به في كاتدرائية احمادزين.[١]

اثبت الأمير اسماعيل چول بك، جدارته اثناء الاحتلال البريطاني

اتصل بهم بعد قطع مسافة طويلة من شنكال عبر الحضر الى سامراء، حيث ثكنة القوات البريطانية عرفهم بنفسه كونه امير ألأيزدية، كما شرح لهم الويلات والمآسي التي لحقت بألأيزدية على يد الجندرمة العثمانيين لقرون عديدة وابدى استعداده التام للتعاون معهم لغرض طرد العثمانيين والتخلص من الكابوس العثماني. واصبح محل ثقة ألأنكليز وشارك الأمير في المعارك التي كانت تدور بين البريطانيين والعثمانيين في منطقة حمرين وقد تكبدت القوات البريطانية الخسائر الفادحة لعدم معرفتهم بطوبوغرافية جبل حمرين وكانت هجماتهم المتكرر والفاشلة على القوات العثمانية حالت الى فقدان المعنوبات للجنود البريطانيين، تقدم الأمير اسماعيل چول بك بأقتراح لأحد القادة البريطانيين في كيفية تطويق جبل حمرين من جميع المحاور وتوقيت ساعة الصفر وفتح نيران المدافع والبنادق وتكبيد العثمانيين بأفدح الخسائر وبعد الحصول على موافقة قيادة القوات البريطانية تم تنفيذ الخطة المقترحة من

(١)كيست، ص٤٣٨ .

قبل الأمير حيث ابيدت القوات من بكرة ابيها. وهنا وقف الأمير على ألأشلاء المتناثرة لجثث الجنود العثمانيين وبكي عليهم بحرارة على ألأرواح الزاهقة، لأنسانيته المتواضعة وعدم أ كراهه حتى الأعداءه .مما اثلج قلوب الجنود البريطانيين وعانقوا الأمير بحرارة لاتوصف ومن ثم منح ثقة البريطانيين له كقائد وامير يستحق قيادة ابناء ألأمارة وعن طريقه منح الفقير حمو شرو لقب الباشا.

قراءةٌ في كتاب

اليزيدية قديماً وحديثاً (أميرٌ أكبر من إمارة)

ريوان ميراني.

إنهُ الأمير إسماعيل بك جول، الفترة الزمنية: (نهاية القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين)، أمير الإيزيدية في (سنجار/شنكال)، الذي خرج من مسقط رأسه منطقة شيخان، وجاب الأماكن التي يقطنها الكورد الإيزديين في: (سنجار/شنكال)، و(دياربكر/ ئامەد)، وحلب، وروسيا، وغيرها من المناطق، ساعياً وراء حقهِ في الزعامة والإمارة، حاملاً معه قوانين دينهِ؛ يعطيها لكل من يريد أن يعرف شيئاً عن الدين الإيزيدي من الإيزيديين المتنائين في الشتات، وغيرهم من أتباع الديانات الأخرى.

لقد عاش الأمير طفولته يتيم الأب والأم، فأعالته شقيقته ميان خاتون، إلى أن شب، وتمكن من الاعتماد على نفسه. شحذت شخصيته التي سبقت عصره، نتيجة سفره وتطلعاتهِ باحثاً عن الدعم وحقهِ في الإمارة. فتعرف في رحلته على الأرمن وعن طريق حنكته وذكائه ولباقة تعاملهِ حصل على الاعتراف بالإيزيدية رسمياً في روسيا. واستفاد من سلطة أصدقائهِ من الأرمن والمسيحيين في إستانبول لإسترجاع حقوق الإيزيديين، ومقدساتهم الدينية التي نهبها الفريق (عمر وهبي باشا) بأمر السلطات العثمانية أثناء حملته السيئة الصيت على الإيزيديين في عام (١٨٩٢م). ورغم نجاح الأمير في الحصول على الموافقات الرسمية من استانبول لاسترجاع المقدسات الإيزيدية، إلا أن الأمر لم يتم وباءت محاولته بالفشل نتيجة تدخل ابن عمه (علي بك) وبعض أصحاب النفوذ والسلطة الدينية من أتباع الديانة الإيزيدية، فبات ذلك جريمةً تاريخية بحق الأمير وحق الإيزيديين.

كان للأمير دوره الإنساني المشرف إبان حملة إبادة الأرمن والمسيحيين من قبل الدولة العثمانية، حيث اتخذ الأمير ومعه الإيزيديون في شنكال موقفاً مشرفاً لحماية

الأرمن من الإبادة الجماعية. ورغم ضغط العثمانيين لم يسلموهم الأرمن، بل قاموا بحمايتهم وطلب الأمير من الأرمن تكليف واحد منهم لتعليمهم أصول الدين المسيحي، كما بنى لهم منزلاً وجعله كدير للعبادة وإقامة شعائرهم الدينية. وأصبح هذا العون فيما بعد أرضية جيدة لتوثيق العلاقة بين الإيزيديين والمسيحيين. فتمخض عن ذلك تأييد الإنكليز للأمير في بداية الانتداب البريطاني. وكانت هذه فرصة للإيزيديين للتخلص من الإجرام العثماني. فعلًا شأن الأمير وذاع صيته في العراق. وعُرض عليهِ منصب سياسي في العراق من قبل البريطانيين، كما عرضت عليه مسبقاً مناصب دينية خارج العراق وإغراءات مادية، ولكنه رفض كل ما يتعلق بالمصالح الشخصية، وبقي يطالب بشئ واحد فقط وهو مركز أمير الإيزيديين الذي كان يعتبره من حقه الشرعي. ذلك الحق الذي كانت أخته (ميان خاتون) وابنها سعيد بك (ابن علي بك) قد استولوا عليه وحرموه منه. وأخيراً أصبح أميراً على (شنكال) إلا إنه سرعان ما تخلى عنه أصدقاؤه الإنكليز، ونفوه إلى بغداد ومن ثم إلى (شنكال) بشرط أن يتخلى عن المطالبة بالإمارة، فبقي فيها مكبل اليدين لايستطيع أن يتحرك بسبب فرض شروط الإقامة الجبرية عليه.

يعتبر الأمير أول من شجع على فكرة التحاق أبناء وبنات الديانة الإيزيدية بالمدارس، فبدأ من عائلته، وأرسل أولاده إلى المدارس، وجابه الأعراف والتقاليد السائدة آنذاك. مواكباً روح العصر في التقدم والانفتاح. لكونه قد تعلم من ترحاله، وتجاربه في الحياة أن العلم والمعرفة هما الطريقة الوحيدة للبقاء، والارتقاء والتقدم والتغلب على الأعداء.

ليتخيل معي القارئ الكريم وجود هكذا شخصية في عصرنا الراهن، ذات حنكة ودبلوماسية وخبرة ميدانية وعلاقات واسعة توحد الإيزديين في شتى أصقاع العالم وتمثلهم خير تمثيل في المحافل الدولية، لربما كان الحال أفضل مما هو عليهِ الآن من البأس والشقاء.

لقد ورد في مقدمة الكتاب أن الأمير "أمثلا على أحد الكُتاب قصة حياتهِ وكل ما تعرض لهُ من مواقف في حلهِ وترحالهِ، بالبحث عن الدعم لقضيته، التي آمن بها

وناضل في سبيلها حتى آخر أيام حياته. وأرسلها إلى جامعة بيروت الأمريكية لنشرها كمقالات متسلسلة في مجلة الجامعة –الابحاث، وكان طموحه أن يرى ما كتب لكنه توفي -رحمه الله- قبل أن يتحقق حلمه، فقرر رئيس الجامعة نشر الأحاديث في كتاب وكلف الأستاذ المؤرخ الكبير الدكتور قسطنطين زريق بتحقيقه ومراجعته وتنقيحه وقد ساعدته الأميرة اليزيدية (ونسة اسماعيل) التي كانت طالبة في المدرسة الأمريكية آنذاك، فصدرت مذكراتهُ وما أرخهُ من أحداث، كتاباً مطبوعاً في ٢٥ آب سنة ١٩٣٤".

وبذلك اعتبر الأمير إسماعيل بك جول أول من كتب مذكراته من الكورد الإيزديين وبذلك سَطر اسمه في صفحات التاريخ المشرقة للكورد الإيزيديين كمؤمن صادق خدوم لديانتهِ، تلك الديانة العظيمة، والموغلة في قدم التاريخ، والشامخة كشموخ جبال (شنكال/سنجار) رغم الفرمانات والاضطهاد والقمع والتزيك والتعريب وكل ما تعرضت لها منذ قرونٍ وقرون...

مدينة زاخو

2020/08/3

إسماعيل بك رائد حركة النهضة الاجتماعية الأيزيدية[1]

يعتبر الأمير إسماعيل چول بك الذي عاصر مطلع القرن الماضي بكل تطوراته السياسية رائد حركة النهضة الاجتماعية الأيزيدية، فهو أول من شجع الأيزيدية على الالتحاق بالمدارس والارتشاف من ينابيع العلم والمعرفة، إذ كانوا يمنعون أولادهم من التعليم خوفاً من تأثير الإسلام عليهم. وهو أول أيزيدي كتب سيرة حياته مستذكراً الأهوال والمصاعب التي لاقاها في حياته من أجل قضية كان يؤمن بها ويدافع عنها بكل قوة، ورغم أنه غبن أكثر من مرة من عائلته أولاً ومن بني جلدته ثانياً لكنه لم يتوقف حتى مماته عن نضاله، فالذي يطلع على تاريخ حياة إسماعيل بك يقرأ أحداثاً حافلة عاصرها الايزيديون في بدايات القرن الماضي. ولد الأمير إسماعيل چول بك في فترة حساسة من تاريخ الدولة العثمانية. إذ كانت الإمبراطورية العثمانية او كما سميت آنذاك ب(الرجل المريض) تحتضر في أحضان التطور والنهضة العلمية والسياسية والثقافية الأوروبية. وكانت الأحداث تتلاحق تلو الأخرى و تتعرض الأقليات الدينية في الدولة العثمانية وخاصة المسيحيون واليزيديون لحملات الإبادة، ثم أخذت الأقدار تجر العالم نحو القتال الدامي لتصفى بتقاسم تركة الرجل المريض من أراضي وبقاع الشرق الأوسط مابين دول الحلفاء، وما إن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها حتى تسارعت الشعوب توزع في خرائط وفق معايير مختلفة أما الأيزيديون فلم يكونوا يدركون من العالم الخارجي سوى حملات إبادة وقتل جماعي تعرضوا لها على أيدي العثمانيين وحملات السفر برأ، كانت تطول شبابهم مع الانعزال الذي فرض عليهم فحرمهم من العلم والمعرفة والاختلاط بالناس والمجتمعات الأخرى. في هذه الفترة بالذات ولد الأمير الصغير ولم يفتح عينيه على الدنيا حتى بعد أن صار يتيم الابوين، ورغم أنه كان ابن عم الأمير اليزيدي علي بك وأخو

(١) المصدر https://sematv24.blogspot.com/2018/09/blog-post_19.html

زوجته ميان خاتون لكنه قاسى ما قاساه، فكانت قسوة الحياة هي التي تشحذ شخصيته وكانت فطرته هي التي تقوده الى الدخول في مختلف المغامرات. وذكاؤه يخلصه من شتى المواقف المحرجة التي كتبها في سيرة حياته. لم يقف اليتم أمام رغبته في الحصول على حقه من واردات بيت الأمير ولم تكن وحدته دون سند أو عون لتقف حاجزاً أمام روح التحدي التي امتلكها. ويبدو أن عشق السفر الذي كان يلازمه طوال حياته واحد من العوامل التي شجعته على أن يخوض مختلف التجارب، ولكن ليس هذا فحسب بل سعيه لكي يثبت وجوده في المجتمع الأيزيدي ربما هدفا منه لكي يثبت استحقاقيته في أن يكون الأمير أو على الاقل أن يشارك ابن عمه في قيادة المجتمع الأيزيدي، ولكن يبدو أن المجتمع الأيزيدي الذي كان يعاني مختلف ظروف الجهل والتخلف، لم يكن يستوعب شخصية إسماعيل بك وربما لم يفهم أهدافه ولم ينصفه الأيزيديون إلا ما ندر، ويمكن أن يقال إن إسماعيل بك كان رجلاً سبق عصره بكثير فلم يستوعبه أبناء جيله. ويمكن تلخيص حياة إسماعيل بك في عدة مراحل هامة:

١. مرحلة الطفولة والشباب من شقاء وفقر : لكن هذه المرحلة كونت شخصيته القوية حتى أنه تزوج من حبيبته بالقوة رغم اعتراض أبيها –بسبب فقره- ورغم عدم مساندة ابن عمه الأمير الحاكم له في الموقف لكنه أراد أن ينال ما يريد مهما كانت الظروف.

٢. ثم تأتي مرحلة السفر باحثاً عن الذات حيث نعتقد أن رحلته للبحث عن أخيه الأكبر المريض والسفر إليه إلى سوريا ولبنان مروراً بتركيا، إذ كان سير القوافل والرحلات في أواخر القرن التاسع عشر بذلك الشكل بين سوريا والعراق هي التي أعطته حافز أن وجوده يمكن أن يتثبت من خلال السفر إلى مناطق تواجد الأيزيديين في مختلف بقاع العالم وبشكل خاص في قفقاسيا. فوجد أنه يستطيع أن يكون لنفسه شخصية مستقلة عن ابن عمه وتعامل معه الأيزيديون خارج العراق و تعاملهم مع الأمير.

٣. مرحلة التعرف على الأرمن ونفوذهم: والاستفادة من ذلك النفوذ حيث تم الاعتراف بالأيزيدية رسمياً في روسيا والاستفادة من سلطة الأرمن والمسيحيين في اسطنبول لكي يقوم باسترجاع حقوق الايزيدية، ومقدساتهم التي نهبها الفريق عمر وهبي باشا أثناء حملته المشؤومة عام ١٨٩١. هذا ورغم نجاح إسماعيل بك في مهمته وحصوله على الموافقات الرسمية من اسطنبول يدخل علي بك الخط، وتدخل الأنانية في قلبه والخوف من أن تصبح هذه الحادثة فرصة لإسماعيل بك لكسب قلوب الأيزيديين وكسب تأييدهم للحصول على حقوقه فيمنع علي بك إتمام موافقة استرجاع المقدسات الأيزيدية، وبذلك يرتكب جريمة تاريخية ليس بحق ابن عمه اسماعيل بك بل أيضاً بحق الأيزيدية الذين لم يسترجعوا فيما بعد سوى بعضاً من مقدساتهم والبقية اختفت.

٤. مرحلة إبادة الأرمن والمسيحيين في الدولة العثمانية : يتخذ الأمير إسماعيل بك والأيزيديون في سنجار موقفاً مسانداً وحامياً للأرمن ويخلصونهم من الموت والقتل الجماعي، ما استطاعوا إليه سبيلا، ويصبح هذا العون أرضية جيدة لتوثيق العلاقة بين الأيزيديين والمسيحيين وأيضا سبباً قوياً لاهتمام الإنكليز بإسماعيل بك وسنجار في بداية الانتداب البريطاني.

٥. مرحلة الانتداب البريطاني : يلعب الأمير إسماعيل بك دوراً قوياً أثناء الاحتلال البريطاني ويعمل لصالحهم حاله حال الكثير من رجالات العشائر العراقية من أجل التخلص من الكابوس العثماني، وفي هذه الأثناء تزداد قيمته ونفوذه في العراق وتصبح له أهمية كبيرة بين السلطة الجديدة لكنه يكتفي بالمطالبة بحقوقه من خيرات الايزيدية بعيداً عن ﴿ي منصب سياسي آخر في العراق، تلك الحقوق التي كانت أخته ميان خاتون وابنها سعيد بك (ابن علي بك) قد استولوا عليها وحرموه منها وهنا تصبح قاعدة إسماعيل بك في سنجار ويصبح أميراً هناك لكن عيونه تبقى مشدودة إلى لالش.

٦. مرحلة مواكبة العصر : يدرك إسماعيل بك في هذه الفترة وبعد كل الأهوال والرحلات التي رآها في حياته أن أهم شيء في حياة أي مجتمع هو أن يتعلم أبناؤه

فلا يرسل ابنه فقط إلى المدرسة بل يدخل بناته أيضاً في المدارس، وأينما كان يذهب يشجع ويحلل ذهاب الأيزيدية إلى المدارس بدليل أنه حلل الدراسة في روسيا رغم تحفظ الأيزيديين الذين كانوا الى تلك الفترة يمنعون أبناءهم من الدراسة خوفاً من أن يكون هنالك تأثير للأفكار الإسلامية في عقول الأطفال خاصة وأن معظم المدارس كانت إلى تلك الفترة مدارس دينية إسلامية.

٧. مرحلة النفي : وأخيراً حتى أصدقاؤه الإنكليز يتخلون عنه ويقفون إلى جانب سعيد بك وميان خاتون كانت على معرفة بالمشاكل وبنتيجة وقوف بعض رجال العشائر المتملقين إلى جانبهم ضد إسماعيل بك ليُنفى إسماعيل بك إلى بغداد، ويبتعد عن قضايا الأيزيدية تماماً ويعتكف الأمير إسماعيل بك لاحقا في سنجار مكبل اليدين لايستطيع أن يتحرك بسبب فرض شروط الإقامة عليه، متمثلة بألا يطالب ابن أخته بأي شيء شرطاً للعودة إلى الوطن (سنجار). قصة حياة إسماعيل بك ليست قصة حياة رجل عادي وهي ليست قصة أمير سُلب حقوقه بل هي قصة تحكي جريمة لم ترتكب بحق هذا الرجل فقط، وإنما بمستقبل الأيزيدية الذي لايزال الى هذه اللحظة غامضاً.

دراسة في فكر الأمير إسماعيل عبدي چول بك... فرماز غريبو ١-١-٢٠١٠م[١]

مقدمة :بعد أن أطلعت على ما رواه المرحوم الأمير إسماعيل، وكتبه غيره وعلى لسانه، لأن سموه لم يكن يعرف القراءة والكتابة، وكان هذا قد لعب دوراً كبيراً و كان دافعا قوياً

عنده كي يطلب من الإيزيديين في كل مكان، إرسال أولادهم إلى المدارس والجامعات، لتحقيق طموحه العلمي، وقد وجدت فيما كتب الكثير من النقاط التي تثير الفضول، كي يتعمق المرء فيما قاله وما حدث معه، لذلك توقفت على الأمر وأردت بحث الموضوع من نواح متعددة، والخروج بعمل متكامل لبيان ما يتضمنه و ما تمت كتابته ومن ثم أخذ العبر من عمل وقول، حدث ومع شخص اختبرته الحياة بمرها وحلوها، وظلمه التاريخ وظلمه المجتمع.

لقد قرأت ما رواه سموه جملة جملة، وتأملته جيداً، لأنني صرت أقرأ بعض الشيء بعد أمية طالت، وعندما انتهيت من القراءة، أردت استخلاص بعض النقاط المهمة من ذلك المكتوب وأردت ترتيب ذلك كما يلي:

إن الأمير لم يتصنع قط في كلامه، فقد خرج كل شيء من فمه، بشكل تلقائي وطبيعي دون تملق أو تودد لأحد وإنما أراد أن يقول ما جرى معه وما كان يريده فقط وهكذا:

الصدق في ما قاله :

(١) مصادر البحث :منتدى أنا حرة (عن حياة الأمير إسماعيل چول بك أمير شنكال)

فهو قد روى لنا ما حدث معه دون تغيير أو تبديل، ولم يحاول قط تغيير الواقع الذي

عاشه، لم يقل أنه كان حاكماً أو عالماً أو غير ذلك، وإنما قال الحقيقة فمثلاً قال (لما كنت ولداً كنت للغاية وقحاً) وقصده من هذا الكلام بأنه كان حركاً، وكان بإمكانه أن يمدح نفسه ويرفع من مكانته لأن ذلك كان بيده لكنه فضل قول الحقيقة للتاريخ وللناس الأمر الذي يدل على صدقه وأمانته، كذلك عندما تكلم عن قصة زواجه من زوجته الأولى روشي بنت فقير حسن، لم يقل بأنه كان بإمكانه أن ياخذها بالقوة أو يقول بأنه كان بإمكانه أن يدفع مثل غيره من المال، لكنه قال بأنه قد خطفها وهرب بها، وفي حادثة أخرى قال (بأنه قد أمر بقتل عزير ذلك الرجل الذي أسلم وقد أرجعه للدين الإيزيدي ولكن عزير خانه وأكل ماله، فأمر بقتله، كان بإمكانه أن يقول بأن غيره قد قتله ويبعد الحادثة عنه، لكنه لم يقل غير الحقيقة.

٢ - التمرد على الواقع المعاش :فهو لم يتبع ما كان سائداً وخاصة في وسط عائلتهم، وإنما أراد العيش وسط شعبه كما هم، يأكل ويشرب كما هم، حتى طريقة زواجه لم تكن مثل طريقة وسطه الخاص، ربما كانت الظروف تفرض عليه ذلك، لكنه رغم ذلك، كان مصراً على التصرف هكذا، فقد كان بمقدوره التصرف كما وسطه الاجتماعي، لكنه لم يفعل ذلك، وهنا برزت نقطة هامة هي، وقوفه ضد ما نعانيه الآن ولم نستطع إيجاد حل له للوقت الحاضر، وهو رفضه للمهر فقد رفض دفع ذلك المهر الذي كان من الواجب أن يدفعه لوالد زوجته، بينما كان غيره سيدفعه، وبذلك رفض ذلك الواقع المفروض، حتى لباسه كان متواضعاً ولم يختلف عن لباس غيره من الإيزيديين.

٣- العمل بكل إخلاص لخدمة الإيزيدياتي :فقد وضع أمام عينيه خدمة الإيزيديين من دين ومجتمع، بكل مكان وزمان، في العراق وسوريا وتركيا، قطع المسافات الشاسعة وتوجه إلى دول روسيا، تجول بين الإيزيديين هناك، وتعرض للسجن والإهانة من السلطات هناك، حتى أن بعض زعماءالأكراد من عشيرة الأومرية في السجن بتركيا، كانوا يشتمون دينه، وكما أن أحد المسلمين قد عرض عليه الزواج من

بنت أحد الوزراء في استانبول، لأجل أن يكسب منصباً ومالاً، لكنه رفض ذلك وبشدة ووقف في وجه ذلك الرجل ووبخه، وقال له: عمله وهدفه هو خدمة الدين الإيزيدي، كانت حياته في خطر في كل مرة، في تركيا وروسيا، وكمثال عندما اشتكت عليه عائلة سرحان في تركيا ولهذا تم سجنه بتهمة التجسس لصالح روسيا، وبقي في السجن مدة ثم خرج، وكذلك في روسيا عندما تم سجنه مع بعض زعماء الإيزيديين هناك، بعد ضرب وإهانة من الأمن هناك، لكنه لم يتراجع عن هدفه في خدمة الإيزيديين، وبذل كل ما كان باستطاعته لخدمتهم، فقد نظم الأمور في روسيا وأرمينيا، وثقف الإيزيديين هناك، على الرغم من أنه كان أمياً ولم يدخل أية مدرسة، كما دوّن لهم قوانين الدين الإيزيدي على الرغم من أنه لم يكن خريج كلية الحقوق، وحمل معه تلك القوانين وأعطاها لكل من يريد أن يعرف شيئاً عن الدين الإيزيدي، في روسيا وتركيا.

في تركيا وصل إلى البرلمان والصدر الأعظم وطالب بالمقدسات الإيزيدية التي صادرها وهبي باشا العثماني وكاد أن يسترجعها لولا تدخل الإيزيديين ضده في عفرين بسوريا وقف ضد تصرفات الناس هناك، وطلب منهم تطبيق ما هو سائد عند الإيزيديين أصولاً، وكان قد فعل ذلك في روسيا وأرمينيا ووضح لهم بشكل جيد وما يوجد في الدين الإيزيدي وكما هو دون تزوير أو تبديل.

٤- الحنكة الدبلوماسية :كان سموه دبلوماسياً من الطراز الأول، ولولا ذلك لكان مصيره غير ذلك المصير، فعندما كان في تركيا كان المسلمون يكرهون الإيزيديين بشدة، وعندما مر على قبائل الكورد من الكوجر (الرحالة والذين كانوا من الكورد)شاهد كيف كانت عقولهم في تخلف شديد، لذلك تعامل معهم كما يجب فقد قال لهم بأنه من طرف عبد القادر الكيلاني أو على طريقته المذهبية الدينية، وهو يعرف مكانة عبد القادر الكيلاني عند المسلمين هناك، حتى أنه صار يصلي بهم كإمام ولكنه كان يشتمهم في أقواله، وكان هؤلاء يظنون بأنه يتلو آيات من القرآن.

في روسيا وصل إلى أناس في مراكز عالية في السلطة، واستطاع التأثير عليهم وبشدة حتى جعل الدين الإيزيدي ديناً معترفاً به هناك، عقد صفحات من الاتفاقيات

بين الإيزيديين والأرمن، وبنى جسوراً من الصداقة بين الطرفين، ليس في روسيا وأرمينيا فقط بل في تركيا والعراق وسوريا أيضاً، وكما ذكرت سابقاً فقد استطاع الوصول إلى البرلمان العثماني في استانبول، ومجلس المبعوثان، وحصل على الكثير هناك، وفي العراق لعب دوراً كبيراً أيضاً، أثناء مذابح الأرمن واتصل بالإنكليز واستطاع بحنكته الدبلوماسية، أن يحصل على دعم الإنكليز ومساندتهم ضد العثمانيين وجلب الكثير من الدعم والمساندة للإيزيديين.

٥- حبه للخير والمحبة والتآخي: ففي كل تاريخه كان يهدف إلى عمل الخير، ليس بين الإيزيديين فقط وإنما بين الأرمن والمسلمين أيضاً، ففي منطقة شنكال، عندما كان هناك خلاف بين عشيرة الفقيرة، قام وبمساعدة حمو شرو بإصلاح ذات البين بين أهالي طيرف ومسقورة، فعل ذلك في منطقة عشائر الجيلكا ومنطقة باكوك، ومن ثم في منطقة ولات خالتا في تركيا، عبر ذلك المكان إلى أرمينيا وقام بالشيء ذاته هناك و بين الإيزيديين وغيرهم وخاصة الأرمن. لم يبين في أي وقت أو أي مكان بأنه يكره غيره من الأديان الأخرى، بل كان يدعو دائماً إلى الأخوة، وكمثال عندما كان في أرمينيا وكان ضيفاً عند بعض المسلمين، رأى الناس هناك لايصلون فسألهم عن السبب وأخبره الناس بأنه لايوجد من يعلمهم، فطلب منهم ممارسة أمور دينهم كمسلمين ولم يقل لهم اتركوا دينكم، وعندما جاء الأرمن إلى شنكال طلب منهم تعيين واحد منهم لأجل تعليمهم أصول الدين المسيحي، وبنى لهم منزلاً وجعله كدير أو كنيسة للتعبد.

عندما قام الأتراك والأكراد بقتل المسيحيين عموماً وكذلك الأيزيديين، قام الأمير مع حمو شرو وداوود داوود بحماية الأرمن الذين هربوا من تركيا وتوجهوا إلى شنكال، ورغم ضغط العثمانيين لم يسلموا الأرمن للمسلمين كي يذبحوهم.

٦- حبه للعلم والمعرفة :لقد تأثر الأمير وبشدة، بالوضع السيئ الذي كان يسود المجتمع الإيزيدي من ناحية العلم والتعليم، لذلك أصر على أن يتعلم الإيزيديون، وكان يحرض الإيزيديين في كل مكان، على إرسال أطفالهم إلى المدارس والتعلم، لأنه رأى بنفسه ما كان عليه الإيزيديون وما كان عليه غيرهم، ولاحظ الفرق في ذلك، وأحس بمرارة الوضع، ولكن للأسف بدل تحقيق آماله اصطدم بما لم يعجبه ؟

ورغم ذلك بقي مصراً على أن يتعلم الإيزيديون، بدل الخوف من أن يضيعوا بدون التعلم والتعليم، حيث كان معظم الإيزيديين يظنون أنه لو دخل أولادهم المدارس فإنهم سيتركون الدين الإيزيدي، وقد لاحظ التخلف عند قبائل الكوجر كذلك.

٧- إنه رجل تاريخ ومؤرخ :فهوأول من كتب سيرة حياته، وكتب ما حدث معه في مسيرته التي تشبه مسيرة الباحثين عن العلم والمعرفة، وكذلك الرحالة الباحثين عن الحقيقة، وبحيث لم يحدث من قبل أن فعل غيره ذلك، وكان ذلك قد شكل دافعاً للكثير لأجل العمل كما عمله، في الوقت الذي كان الإيزيديون عموماً يقولون إن التعليم خطرعليهم، وربما يؤدي إلى ضياعهم. كتب عن سيرته الذاتية، من طفولته وحتى زواجه ومن ثم تابع ذلك حتى مماته، وما حدث معه في حياته من أمور ودوّنها.

٨- حبه للإيزيدياتي : كان في كل مكان وكل وقت، في السراء والضراء، يحب دينه وكان يذكر الله وطاووسي ملك وشيخادي في كل كلامه، قال ذلك للإيزيديين في ولات شيخ وفي ولات خالتا وفي باكوك وفي سوريا وتركيا وأرمينيا والقفقاس، في كل مكان تواجد فيه، قال ذلك للغرباء وللمعروفين، للإيزيديين ولغير الإيزيديين ولم يسمح لأي كان من التقرب من معتقده بسوء، بل كان يقف وبحزم ضد كل من يريد الإساءة إلى الإيزيدياتي.

٩- عدم ظهور ما يدل على التملق، أو التقرب من الغير، فلم أجد في كلامه المكتوب، كلمة واحدة يقول فيها بأنه تركي أو أرمني أو عربي لكنه لم يقل سوى أنه كوردي أيضاً، وظهر ذلك عندما تحدث مع الأرمن، فقد سألوه عن العلاقة بين الإيزيديين والكورد فردّ عليهم بأن تعاليم الدين الإيزيدي، تختلف عن تعاليم الكورد من المسلمين، ولكنه لم يقل بأنه غير كوردي، ولم يقل بأنه من قومية أخرى مما يدل على أنه كان يصر على الناحية الدينية وهي الإيزيدياتي.

عندما كان بين الكورد الرحّل (الكوجر)لم يقل بأنه عربي ومن نسل محمد أو غير محمد ولما قال بأنه من قوم الملك إيزيد وأومية، فكان قصده الدبلوماسية، لأنه

لاحظ الوضع وكيف يجب التعامل معه، فلم يقل سوى ذلك، وعندما كان في حلب وألقى العرب القبض عليه، لم يقل بأنه عربي لأجل التخلص وكان بإمكانه قول ذلك، وكان سيحصل ربما على الكثير من المال بسبب ذلك لكنه قال بأنه طبيب، وعندما ألقى العرب القبض عليه في منطقة شنكال بالعراق، لم يقل أنه عربي وكان بيد العرب الذين عرفوا بأنه إيزيدي، وكان من المحتمل قتله هناك لكنه تمسك بمبدئه الذي لايغير من حقيقة الأشياء.

١٠- حبه الإطلاع على وضع الإيزيديين بكل مكان: فقد وضع أمام عينيه وكهدف أساسي، الاطلاع على وضع الإيزيديين، ليس في العراق فقط، وإنما في خارج العراق، فقد زار سوريا وتركيا وأرمينيا وروسيا، ولم يفرق بينهم في ذلك فكلهم كانوا إيزيديين عنده، لافرق بينهم من شنكال كانوا أم من ولات شيخ، من باكوك أم ولات خالتا، ومن كانوا ومن أية عشيرة، ولكن إن وجد في شنكال فهذا كان بسبب أمور عائلية، وخلافات خاصة في البيت الأميري وفق اتفاق حدث بينه وبين أخته الأميرة ميان ومسؤولين بالدولة، على الرغم من أنه لم يكن يحب ذلك، والدليل على ذلك هو توجهه مراراً إلى ولات شيخ وحبه السكن هناك، لكن الأمور لم تكن مناسبة له لأجل ذلك وقد زار أماكن سكن الإيزيديين في خارج العراق، ولمرات عديدة.

١١- الجرأة وعدم الخوف: من سيرته الذاتية، يتبين أن الأمير إسماعيل بك، لم يخف يوماً، في مطالبته بحقه الشخصي أو بحقه كإيزيدي، ففي كل مكان طالب بحق الإيزيديين وفي قفقاسية، عندما تم إلقاء القبض عليه، في تركيا وبرلمانها، في العراق والإنكليز، هذا وعندما كان مسجوناً في تركيا، وكان لوحده بين المئات من المسلمين، لم يتنازل عن صفته كإيزيدي، وقد هاجمه آغوات الكورد من الأومرية وشتموا دينه، فقام وشتم دينهم، دون الخوف من المسلمين هناك، وللأمانة ذكر بأن حاجو الذي كان موجوداً في السجن قد وقف إلى جانبه، وفي تركيا عندما اشتكوا عليه لم يستسلم، وفي استانبول وكما ذكرت، رفض كل الإغراءات

التي قدمت إليه من قبل كل من نظيف باشا وعبدالقادر باشا وأوصمان بك، مقابل التنازل عن دينه والانتقام من معارضيه، لكنه رفض كل ذلك وبقي وبشجاعة

يطالب بحق شعبه وبحقه الشخصي أيضاً، و حتى آخر يوم من حياته ظل يطالب بحقه في ميراث والده وجده، في كل شئ، من الإيزيدياتي وميراثه وما يتعلق بذلك، ولكن كل ذلك وفق أساليب الحل الديمقراطي والسلمي، ولم يتبع أية أساليب عدائية في ذلك، ورغم اتهامه بكثير من الأمور، لكنه أثبت بكلامه أن كل ما ما لفّق كان اتهامات باطلة، ولم يتم إثباتها، ولكن ورغم كل العقبات بقي على ذلك المبدا، مطالباً بما كان يعتقد بأنه من حقه.

١٢- رفض كل ما يتعلق بالمصالح الشخصية والمناصب :كما يبدو لقد وضع الأمير وكما ذكرت، نصب عينيه شيئاً واحداً، هو خدمة الدين والمجتمع الإيزيدي، رافضاً الإغراءت والمناصب كلها، رافضاً الألقاب، وبقي يطالب بشيء واحد فقط وهو مركز أمير الإيزيديين، وكان ذلك عنده كل شيء، كل مال الدنيا وكل المناصب، وكل الجاه، ولو أراد شيئاً غير مركز الأمير لكان من الممكن الحصول عليه في مكان آخر، مثل سوريا أو تركيا أو أرمينية أو أي مكان آخر، لكنه رفض الإغراءت كلها وبقي متمسكاً بالإيزيدياتي فقط، دون كل المال وأطماع الدنيا، وبذلك سطر له اسماً في التاريخ.

كان وصول إسماعيل بك من مركز الإيزيدية، من عائلة الأمير شيخان، حدثا عظيماً في حياة الايزيديين في سرحد. وصل إسماعيل بك إلى الإيزيديين في روسيا عبر تركيا في نهاية عام ١٩٠٨ وقضى وقتا طويلاً (بضعة أشهر) بين الأيزيديين في أخباران وقرس وسورميلي حتى بداية عام ١٩٠٩. في دار يوسف بك، كان زعيم جميع الإيزيديين في روسيا ضيفًا لفترة طويلة. تظهر من خلال كتابات الصحف الأرمنية ورسائل الأمير أنه كان هناك تعاون بين الأمير ويوسف بك، التفاهم الروحي، وتقارب العقل والإيمان. كان إسماعيل بك يثق كثيراً بـ (يوسف بك) ويحترمه كشخص بالغ.

كان الشاب البالغ من العمر ١٨ عاماً ذكياً جدًا وتقدميًا في السنوات منذ توليه منصبه. استمع إلى نصيحة بك والمشورة والنصيحة خلال زيارته. وذكّر الشيوخ أن إسماعيل بك، عندما ذهب إلى الأماكن الضرورية لقي اهتمام أهل الدولة، كان يتشاور دائمًا مع يوسف بك أو يذهب معاً. وفقاً لتقديراتنا، وصول الأمير بين الأيزيديين في روسيا، ورحلاته وتنظيم رحلاته بين الشخصيات والأديان الأرمينية، وزيارته

للكنيسة الأرمينية العظيمة، وزيارته لمدينة تبليسي (تبليسي)، وزيارته الرابعة لروسيا من قبل فورونسوف داسكوف (Voronsov Daşkov) تمت جميع هذه الزيارات بمشورة يوسف بك الهسنياني (الحسني).

ننظر إلى الأماكن التي ذهب إليها إسماعيل بك، وأصبح ضيفًا، جميعها تمثل أصدقاء يوسف بك. استندت كلمات مير ورغباته على قراءة وتطوير المجتمع الايزيدي، بالإضافة إلى حقيقة أن يوسف بك ووالده الراحل حسن آغا، كانا نشطين لسنوات وقاتلا ضد الأعداء المتخلفة. كان واثقًا جداً من بك لدرجة أنه كان يأمل في أن يتم الاعتراف بيوسف بك من قبل فورونسوف داشكوف، السفير الروسي الرابع في القوقاز، كقائد للأيزيديين في روسيا، في جميع الأمور (حتى المسائل الدينية).

إسماعيل بك، عندما انضم الأيزيديون في روسيا.

بعد عودته، لم ينس إسماعيل بك مستشاره يوسف بك وكرمه وكرم الشعب الأرمني، في رسائله، المرسلة في ١٩١٦ و ١٩١٨ و ١٩١٩ باسم بك، كشخصية كردية إيزيدية ضد الإبادة الجماعية للأرمن، تناول المسألة الأرمنية وكتب عن الأرمن الذين من أجلهم سُفكت دماء الايزيديين في (سنجار)، وتم إسكانهم في قرى الأيزيدية.

في عام ١٩١٩، جاء ممثلو مجلس الديانة الأيزيدية إلى أرمينيا من لالش وسلموا رسالة الأمير إسماعيل إلى أرمينيا بيد يوسف بك. وتم تسليم الرسالة رسميًا إلى عضو الجمعية الأيزيدية الأرمينية يوسف بك. كما أن يوسف بك سلم الرسالة إلى رئاسة الأرمن، وتتم قراءة رسالة في البرلمان بمشاركة جميع الممثلين والوزراء الأرمن.

نسي الأرمن هذه الرسالة الثمينة في أرشيفات الأرمينية ماتنادرانا.

الدكتور كارلان جيجان، في مقاله الذي يحمل عنوان "القربة بين الأرمن والأكراد"، تناول كارلين تشاشان هذه الرسائل من إسماعيل بك begsmail Beg، لكنه لم يذكر اسم يوسف بك في بحثه.

تم الاحتفاظ بوثيقة في أرشيفات عائلة بك. أرسل الإمبراطور ألكسندر الثالث الوثيقة إلى المتحف الروسي في ٢٤ مارس ١٩١٣، لرئيس القوقاز الايزيديين الأكراد (يوسف بك بن حسن بن تيموروف).

الوثيقة عبارة عن رسالة شكر أرسلها رئيس المتحف، القس الكبير جورجي ميخائيلوفيتش بك. يتم التعبير عن قدر كبير من الرضا عن هذه المساعدة، وهي مساعدة منحها البك في العام الماضي لموظفيهم لأداء عملهم ذوي المعرفة أندرو لوريس ميليكوف لنجاح العمل الذي قام به. تم إرسال العلماء من قبل المتحف لدراسة الكائنات الإثنوغرافية وتصويرها واستكشاف المواقع والتماثيل القديمة في مقاطعتي يريفان وقرس لإجراء البحث العلمي[1].

[1] . Esker Boyk, Firmana Resh, 2011 l 68

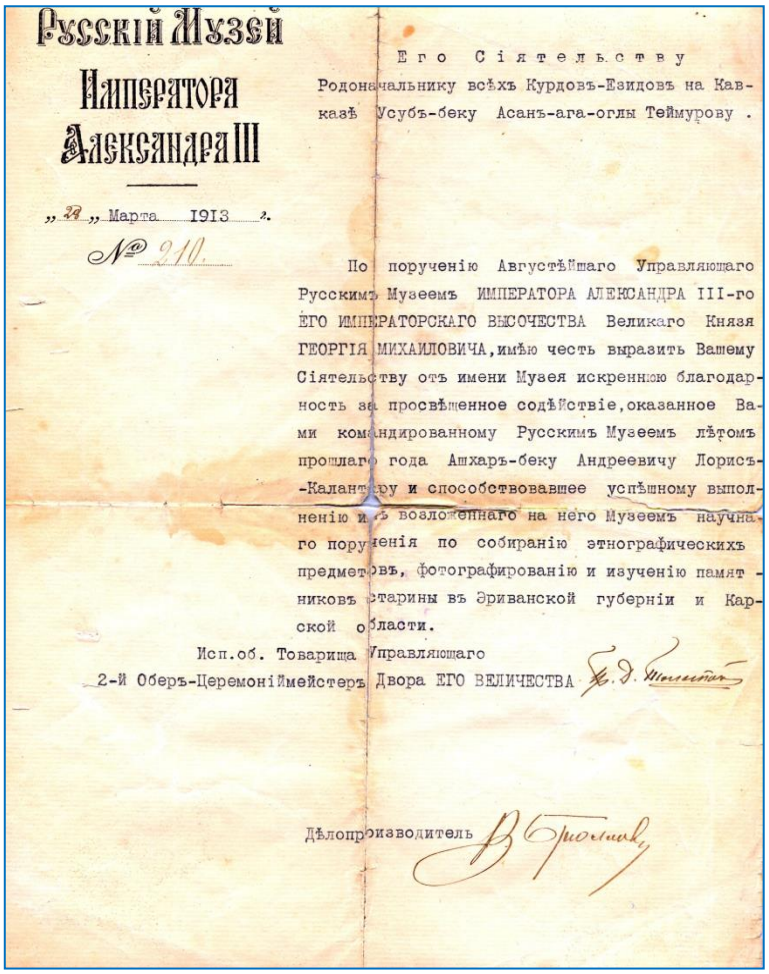

Русскій Музей
Императора
Александра III

„29" Марта 1913 г.
№ 210.

Его Сіятельству
Родоначальнику всѣхъ Курдовъ-Езидовъ на Кавказѣ Усубъ-беку Асанъ-ага-оглы Теймурову.

По порученію Августѣйшаго Управляющаго Русскимъ Музеемъ ИМПЕРАТОРА АЛЕКСАНДРА III-го ЕГО ИМПЕРАТОРСКАГО ВЫСОЧЕСТВА Великаго Князя ГЕОРГІЯ МИХАИЛОВИЧА, имѣю честь выразить Вашему Сіятельству отъ имени Музея искреннюю благодарность за просвѣщенное содѣйствіе, оказанное Вами командированному Русскимъ Музеемъ лѣтомъ прошлаго года Ашхаръ-беку Андреевичу Лорисъ-Калантару и способствовавшее успѣшному выполненію имъ возложеннаго на него Музеемъ научнаго порученія по собиранію этнографическихъ предметовъ, фотографированію и изученію памятниковъ старины въ Эриванской губерніи и Карской области.

Исп.об. Товарища Управляющаго
2-й Оберъ-Церемоніймейстеръ Двора ЕГО ВЕЛИЧЕСТВА

Дѣлопроизводитель

Belgeya wê spasnameya Muzeya çarîtiya Rûsyayê

تحت النص (التحية) أسماء وعناوين رئيس المحكمة ومدير المتحف.

هذه الوثيقة، التي نجت من اضطهاد مئات السنين، هي شهادة على أن الضيف بيك بك كان عالماً ومثقفاً ومعروفاً وذكيًا في ذلك الوقت، وصديقًا للكتاب والفنانين والعلماء. إعادة kiriye. أنا مقتنع بأنه إذا تم فحص وثائق أرشيف أرمينيا والقوقاز

وروسيا عمداً، فإن أموال الكتاب والسياسيين سيتم النظر فيها وسيتم العثور على الكثير من المعلومات حول تلك العائلة وخاصة يوسف بك.

تم العثور على كتاب مانوك موراديان "Isib Beg" في الأرشيف الوطني لأرمينيا. د عسكر بويك.

تعرض الأكراد اليزيديون للقمع المزدوج في الإمبراطوريتين العثمانية والإيرانية. لاسباب قومية ودينية. لقرون لم يتم الاعتراف بحقوقهم ولم تحميهم الدول الحاكمة من اضطهاد المسلمين. لذلك كانت أعينهم دائمًا على تلك البلدان التي لم يتعرضوا للقمع فيها، وخاصة الدول المسيحية.

في القرن الثامن عشر كانت جورجيا هي أقرب دولة مسيحية مستقلة.

في عام ١٧٧٠، أقام الملك الجورجي كارتلي وأكسراكل Kartilî û Kaxêtê Îraklî yê II. علاقات مع الايزيديين في شمال كردستان من خلال المطرانية الآشورية اليسوعية ،، حيث دعمه الإيزيديون عسكريًا، مما سمح للإيزيديين بالحكم في أراضيهم. يشكو الملك الجورجي للزعيم الإيزيدي جوبان أغا من أنه إذا نجحت خطتهم، فسيمنحه حصن خوشاب. ﴿١١﴾ هذا التعاون لم يكتمل، لكن لا تزال ٤٠٠٠ عائلة إيزيدية تهاجر إلى جورجيا وتستقر في مدينة تبليسي.

لكن الهجرة الكردية إلى القوقاز بدأت بأعداد كبيرة في القرن التاسع عشر، عندما أصبحت جزءًا من الإمبراطورية الروسية. بعد الحروب الروسية الفارسية (١٨٠٤-١٨١٣ و ١٨٢٦-١٨٢٨) وخاصة بعد معاهدة تركمنشاي (١٨٢٨)، تم ضمان حقوق خاصة للأكراد والأرمن، حيث تمكنوا من الهجرة إلى أراضي الإمبراطورية الروسية. بحلول عام ١٨٠٧، استقرت ٦٠٠ عائلة كردية في ناغورنو كاراباخ.

عندما انسحب باسكيفيتش، القائد الأعلى للجيش الروسي، من بلاد فارس عام ١٨٢٨ أو من مقاطعة يريفان، لم يكن هناك إيزيديون عند مصب نهر إيريز. كانوا من القبيلة الشرقية ولا يزال أحفادهم يعيشون في تلك المنطقة، وفي ذلك الوقت كانت

هناك قريتان إيزيديتان على المنحدرات الغربية لجبل إلكز. لكن السكان الايزيديين في أرمينيا الحالية يجب أن يكونوا أكبر سناً.

توجد مقبرة إيزيدية في قرية ريا تيزي (قوناكسازا سابقًا)، إحدى القرى الإيزيدية ا الـ ١١ في منطقة إيليج، شمال جبل إيلكز، والتي يعود تاريخها إلى القرنين السادس عشر والسابع عشر. ﴿١٣﴾

ومع ذلك، هاجر معظم الأكراد الايزيديين إلى أرمينيا الحالية بعد حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٥) والحرب الروسية العثمانية (١٨٧٧-١٨٧٨). في غضون ذلك، في عام ١٨٧٤، هاجرت قبيلتان إيزيديتان، هما روجكي وسيبكي، إلى مقاطعة قارس التي تحتلها روسيا.

في عام ١٩٠٨، كتب متسول منزل الأمراء الإيزيديين، إسماعيل تسول تشول، رسالة إلى نائب الإمبراطور في تبليسي، الكونت فوروسوف-داشكوف،

ارسل ممثل الامارة الايزيدية إسماعيل چول بك رسالة الى نائب القيصر في تبليس (كراف فروسوف داشكوفgraf Vorosov-Daşkov) سنة ١٩٠٨م لغرض مساندة المجتمع الايزيدي، كانت هناك ٧٢ قرية يزيدية في الإمبراطورية الروسية في ذلك الوقت، حيث كانت تعيش ٣٥٠٠ عائلة[1].

سنوات الحرب العالمية الأولى هرب جميع الايزيديين على الحدود (الذين يطلق عليهم الإيزيديون أيضًا زوزاني) إلى أرمينيا الحالية وانتقل بعضهم إلى جورجيا. (من لم يفر من اليزيديين، أجبروا فيما بعد على اعتناق الإسلام).

عندما انسحب الجيش الروسي من القوقاز في نهاية عام ١٩١٧ (بعد ثورة أكتوبر)، دخل الجيش التركي المنطقة وقتل عشرات الآلاف من الإيزيديين. لسوء الحظ، كان للأكراد المسلمين أيضًا دور في تلك المذبحة.

(1). توسني رشيد.

سيرة إسماعيل بك (ما دونه عن سيرته)

الولادة وكنيته

إسماعيل بك بن عبدي بك بن (علي بك الكبير، قتل في سنة ١٨٣٢م)على يد أمير راوندوز في الفرمان الذي وقع على الأيزيدية[١].

علي بك الكبير هو أخو حسين بك وسليم بك.

أولاد علي بك هم :

١_عبدي بك _ والدي توفي سنة ١٨٨٨ لديه ولدين چول بك توفي سنة ١٩١٩ واسماعيل

٢_حسين بك _ أولاده كل من حسن بك وميرزا بك وعلي بك وبديع وسليم بك وهادي بك.

٣_ (سليم بك _ حمزة بك) لم يكن مقتدراً على أعباء الإمارة فانتقلت إمارته إلى أخيه الأصغر حسين بك.

عندما توفي حسين بك بعد حكم دام ٢٥ سنة انتقلت الإمارة إلى والدي عبدي بك وكان ميرزا بك ولي عهده. و توفي والدي بعد أن حكم ست سنوات ليتولى بعده ميرزا بك.

---

(١) لعل إسماعيل يشير هنا إلى المذبحة الكبرى التي قتل فها عدد كبير من أيزيدية الشيخان حين هجم عليهم أمير راوندوز سنة ١٨٣٢ على رأس قبائله الكردية فلم تستطع قوى علي بك أمير الأيزيدية، أن تصمد أمامه فانهزمت إلى الموصل ولكن الأكراد أدركوا ذلك قبل أن تدخل المدينة ومزقوها شر تمزيق، راجع Isya Josef، Divel Worship (بسطن، ١٩١٩) ص ٢٠٦-٢٠٧ و W. A. and E. T. A. Wigram، The Cradle of Mankind (لندن، ١٩٢٢) ص ٢

عند وفاة والدي كان عمري ستة أشهر وفي ذلك الحين تولت والدتي رعايتي وفق الطريقة الأيزيدية ثم وافت المنية والدتي بعد والدي بثلاث سنوات وبذلك بتُ يتيم الأبوين، فتولت كل من شقيقتي ميان خاتون وأختي الآخرة نورا خاتون مسؤولية تربيتي ورعايتي، إلا أن نورا خاتون توفيت في سنة ١٩١٠ بعد سنة من وفاة أخي چول بك، فبقيت تحت رعاية شقيقتي ميان خاتون، في صغري كنت كبقية الأولاد ولداً وقحاً.

جده (چول بك)

يصفه الشاعر بكر بك الارزي بانه كان يمتلك المئات من الفرسان وثروته هائلة لكن تمرد على أمير بهدينان في العمادية فقتله مع اثنا عشر من رجال حاشيته سنة ١٨٠٥م

بەيتا چول بەگ [١]

گەلي خەلکێ خاس وعام گوھ بدەن نەسحەتێ

جوندي و خەلك وخولام بساخي بکەن خلمەتێ

ھوين قەنج بکەن يا تەمام قەد نەکەن خيانەتێ

* * *

غەيانەتێ قەد نەکەن لەو کو خولام د ئەمينن

ھەکە لبەر خو بەرزەکەن دێ خۆ برستێ ڤەبينن

دەردێ چۆل بەکێ نەکەن دا ھوين حوکمي نەبينن

(١) عبدالكريم فندي الدوسكي، ديوانا بةكر بةطىَ ئةرزي، مطبعة الحوادث، بغداد ١٩٨٢، ص ٥٣

* * *

چۆل بەگ دين بەتال وجودا وي چو نەبوو

پاشاي بۆ چێكر ئغبال مەرتەبا وي زێدەبوو

دانێ چەك و سەد ريال هندي وي دل لگەل هەبوو

* * *

سەبەب پاشاي ودلێ حەفت سەد سوار وي هەبوون

كۆما ئاغاييێ ملي بەرانبەري وي نەبوون

شێخا تەيا وموسلێ دبن كالۆمي ڤەبوون

* * *

..... موتيع بوون فرمانێ

مەسيانێ وشنگارێ حزر دبوون دەهانێ

پاشاي ئەو كربوو خونتكار بۆ هندي ئێزيدخانێ

* * *

خونتكارێ ئێزيد خانێ هەمي بوونە سلاڤ كێش

ژ بەر پاشاي و فرمانێ كەسێ نەدان چو ئەندێش

ژ داسنيا هەتا وانێ بۆ هاتن زێر و پێش كێش

* * *

زێر و پێش كێش وەرگرتن ژ خودانێ دەستووري بوو

خولام ب ئاغا د خـــــورتن دەولەتا سەرێ وي بوو

پاشاي دەست لێ راگرتن هەتا ئەو قەنج هەيي بوو

* * *

هەكو ئەو رەنگ هەيي بوو خرابي لێ بوو موصەلەت

ئەو ژ پاشاي كويڤي بوو ل دلي گێرا خيانەت

هورێ گوهداري وي بوو هەتا سەري بر دەولەت

* * *

دەولەت سزي بێ قرار وەختێ ئەڤ رەتكە زاني

ل ديڤ خۆ ديتن هند سوار چۆ دويف فكرا خرابي

خەلك ئاخفتن چار كنار بو مفسدێ زەماني

* * *

درێ بر و رەزلاند وەك شێخي بەر سيسي

ئەوێ د سويل دا فراند عەجەل ل ئەنيێ نڤيسي

ئەو ڤ پصميرا راگەهاند .....

* * *

ژ ناگ چۆنە دەر پسمير هێژ ئەوێ ل دويف گەرياي

....

..... ئەڤجا دلێ پاشاي

* * *

پاشا لبەر ڤەوەستا صەبرێ تەبیعەت مەلك

زوي ب زوي نەچۆنێ ب دەستا رژدێ لسەر كێشا گەلەك

هەتا كو سەر تێ وەستا ژ فعلێت صەیێ دویف خەلك

* * *

صەیيێ خائن لەغەر پاشا لبەر ئازري

ژ بیا نۆكێ كر وەغەر پەیا بو ل قەسرا گري

فرمان ڤرێكر سەر بێت و قەد خۆ نەكري

* * *

فرمانا شاهێ موختار نازل بوو سەر كو بەگي

ژ قەول و قراریت هەرجار كازي كره ئێشەكی

ژ ریز و تەرنیفێت هەر جار پسیار كر بو ژ كۆچەكي

* * *

كۆچەك وشێخ وپیرا گۆتێ هەره چو نینه

عەشیرەت وپسمیرا هەمیا دگەل خۆ بینه

بكه جدید ل زێورا پاشاي چۆ د گەل ته نینه

* * *

گوهدا پیر و كۆچەكا هەمي دبن زنجادا دەركەتن

سواربوون ل مەعركا سيتاري ڤ بەرێ كەتن

بو برقه برقا چەكا ڤ پێش ئۆردیێ كەتن

* * *

دیاربون ل مەهەتێ .....

پاشا جزايي بدەتێ خەزا یەكا تماما

قەدیێ نادەت مۆهلەتێ گازي كره غولاما

.....

گازي كرن دەست ڤەكر بۆداگرتن شەش خانه

نیشادان جھ و چەپەر بەر كولەك و كڤانه

كت كت رونشتن لبەر .....

* * *

روینشتن بەر میریت خاس تفنگێت راتب دروست

وي عەزازیلێ چو ناس .....

دێ چاوا ژ دەستي بن خلاس .....

* * *

....

كوما خو قەنجیا كري ئەو دەریحەت و تەنابوون

ئەو كو خودێ ژنك بري شێخ هەموو ژنك ئینابوون

* * *

شێخ ئینابوون ژ بن .....

دێ لسەر چالا پەیابن چکلاندن ریێت بقەسەب

پاشا دگەل وي بو دژمن داریێتە سەر وي بغەزەب

* * *

بغەزەب داریێتەسەر سەرخۆ لازم کر کوشتن

ژ مەعریفەتێ کرە دەر کەسێ نەگۆت مخابن

....

* * *

....

عیتابا ڤێ حاکمي هاتە سەر ئێزید خانێ

خولام راوەستان هەمي پاشا بکەت فرمانێ

* * *

فرمان راکە و دەرەنگە یێ مەزن گەهشتە

ئاگر بەردا تڤەنگە لێ صۆر کرن تەنشتە

دگەل بریسیان و دەنگە گەڤزین بەران پشتە

* * *

لسەر سنگا گەڤزتن وان داریێتن بشەش خانا

گر گره ژێ ئێخستن وەکو لەشێت بەرانا

روح د جەسەدا گوهزتن موفسدێ جهێ میرانا

* * *

بسیاسەت هەل دراندن جانێت جەهەنم جەزا

پیل و مل لێ فراندن .....

خائن ژ ناڤ براندن پاشاي پیرۆزبت غەزا

* * *

پاشاي پیرۆزبت مکان هەتا ژ ناڤ چۆنه دەر

هێلان تەرمێت کویەکان دوانزده لەش بوون ب دەفتەر

..... خەزا فەچایێ ئەکبەر

* * *

خەزا فەرزا قورئانێ خولام پێکڤه بەزینێ

لبن دەرجا دیوانێ بو فزِه فزِا خوینێ

هەر وەکي قەساب خانێ لەش گەفزین ل شوینێ

* * *

ئادي بەك ڤەگەڤزي لگەل تەرمێت هەڤالا

یێ مەزن لوکوزي هەتا گەهشته چالا

شەرەڤا ددیڤدا بەزي هێت و بیل کردوەر حالا

* * *

رەڤين بوونه تويري ڤ وان قەسيلا كەتن

خولاما دەست دا شيري هەمي ل دويف دەركەتن

هەتا گەهشتنه زويري كەس بكەسي نه كەتن

* * *

ئاخر بێ مەفتەلابوون دا بۆچي خۆ كويڤي كەت

خودێ لەو حاكم دابون دا ڤي حوكمي سپەهي كەت

....

* * *

بەكر ب حەد و هژمار گڤت وگۆيه ل دەولەتێ

دوو صەد ه بيست وهەزار[1] ئێت بۆرين ژ هجرەتێ

ئەڤ حوكمه بو بەڤ اجرار تقديره ژ بۆ نصحەتێ

(١) مقابل ١٨٠٥ م ويتبين من القصيدة الشعرية للشاعر بكر بك الارزي بان حاكم العمادية قد قتله مع اثنا عشر من رجاله وفر البقية وتم ملاحقتهم لان چول بك لم يطيع الحاكم في الآونة الأخيرة ويتصرف دون مشورة حاكم بهدينان في العمادية

الزواج

كبرت وأصبحت شاباً وأحببت روشي بنت حسن فقير متولي معبد الشيخ عادي، وكان ذلك في عام ١٩٠٦ وكنت قد طلبت يدها من والدها إلا أنه لم يستجب لي ورفض طلبي، وكان آنذاك علي بك أميراً في المنطقة والذي بدوره رفض زواجي لأني من وجهة نظره لم أزل صغيراً على الزواج ومسؤولياته. وكان والد حسن فقير قد وعد أحدهم أن يزوجه ابنته مقابل (١٥٠) ليرة ذهب نقداً في حين أنني لم أكن أملك شيئاً، وكانت روشي تريدني فأخبرتها أن والدها لن يزوجها لي وأن علي بك لن يساعدني على الزواج منها وصارحتها بأنني مستعد لخطفها فيما لو أعطتني مسبقاً الموافقة والقبول بي زوجاً لها.

وهكذا تم الاتفاق بيننا فخرجت صباحاً إلى البرية لرعاية الغنم والتقينا هناك ومن ثمَّ توجهنا إلى قرية مامزديني التي تبعد سفر حوالي ساعتين عن باعذرة، وكان في ذلك الوقت طاهر آغا كبير القرية فتوجهنا إليه فأكرمنا وخصص لنا مكاناً خاصاً لإقامتنا فمكثنا هناك قرابة شهرين. بعد ذلك اصطحبني طاهر آغا وزوجتي روشي إلى علي بك لإجراء الصلح مع أهل الفتاة. إلا أن حسن فقير والد روشي رفض الصلح بدون مقابل و مبلغ من المال حيث كان يقول ثمة من أعطاني ١٥٠ ليرة ذهب[١] بينما أنت أخذت البنت دون أي مقابل ولذلك هددني بالقتل و مهما حاولت معه فض الخلاف كان سعيي عقيماً بلا جدوى كان يرفض الصلح[٢]. وهذا ما جعل علي بك يحنق ويتذمر مني لخطفي روشي دون إخباره وصار يعاملني بقسوة وبعداوة.

---

(١) كثيراً ما كان الآباء من الأيزيدية يطلبون مبالغ طائلة من راغبي الزواج من بناتهم كما يروي Layard، Discoveries among the Ruins of Nineveh and Babylon (نيويورك، ١٨٥٩) ص ٧٠

(٢) راجع ما ورد عنه في كتاب W.A. and E.T. A. Wigram، The Cradle of Mankind في معرض وصف زيارتهما له، ص ١٠٦-١٠٩

حينها أدركت أن لا مكان لي في باعذرة فأخذت زوجتي ورحلت إلى شيخكة التي تبعد حوالي النصف ساعة عن باعذرة، وسكننا عند درويش شيخكي الذي كان وكيل الأميرعلي بك ومكثنا عنده ستة أشهر غمرنا فيها بالحفاوة والإكرام.

بعد ذلك أرسلت شقيقتي ميان خاتون زوجة علي بك تطلب مني العودة إلى البيت فرجعنا عملاً بمشورتها ونصحها إلى القصر مركز الإمارة في باعدرة [1].

ولادة الطفل البكر

في عام ١٩٠٨ وفي صباح عيد الميلاد الأثوذكسي أنعم الله علي بمولود ذكر أسميته عبدالكريم إلا أنه وبعد أربعة أشهر وبالتحديد في يوم الأربعاء المصادف ١٣ آذار كانت روشي والدة عبد الكريم قد توفيت، وكان عبد الكريم لايزال رضيعاً وبالمصادفة ثمة امراة كانت ابنتها الرضيعة قد توفيت قبل يوم من وفاة زوجتي، فأرسلت في طلبها لترضع ابني اليتيم مقابل كل ما أملكه من مال فوافقت على الفور.

الحلم العجيب

وبعد شهرين راودني حلم غريب حيث رأيت في منامي شيخاً مسناً شعره أبيض وقف أمامي وأخرج أسنانه ولسانه من فمه ووضعه في فمي وحملني على ظهره وطار بي في الهواء حتى وصلنا مصر، إلى بيت رجل قسيس حيث قام وألبسني قميصاً طويلاً وفوق القميص ألبسني لباس الرهبان المسحيين، ثم رأيت نفسي في قصر والدي وهناك أعطاني رجل ورقة وقال لي ستسافر إلى بيري جيسن فأفقت فجأة وأدركت أنه كان حلماً.

---

(١) بلدة تقع على بعد نحو ستين ميلاً في الشمال الشرقي من الموصل، وهي من أهم مراكز الأيزيدية في قضاء الشيخان إذ فيها مركز أميرهم الذي له السلطة العليا في أمورهم الزمنية والروحية. راجع وصفها في Luke، Mosul and ist Minorities (لندن، ١٩٢٥) ص ١٣٠-١٣٣ و Empsom، Cult of the Peacock Angel (لندن، ١٩٢٨) ص ١١٤-١١٦ وكتاب Wigram المذكورأعلاه ص ١٠٦- ١٠٩

أول زيارة إلى سنجار والصلح بين الفقراء والمسقورا

بعد مرور شهرين من هذ الحلم سافرت إلى سنجار[1] بسبب مرض أخي الكبير چول بك الذي سافر إلى حلب وبيروت للعلاج. وأحضرت معي خمس عباءات رجالية مطرزة بخيوط من الذهب كهدايا إلى أعوان سنجار، وكانت هذه أول زيارة لي لسنجار. فلم يسبق لي أن عرفت جبل سنجار. فذهبت إلى بيت أحد الفقراء في قرية اشكفتات الذي أكرمني كما فعل أهل القرية، وفي الصباح أعطوني ليرتين ذهبيتين كهدية وكانت هنالك آنذاك عداوة بين عشيرة الفقراء وبين عشيرة الموسقورا. فقد كان قد قتل ثلاثة من آغوات الموسقورة. فطلب مني الفقير أن أتدخل باعتباري من بيت أمير الشيخان لدبّ الصلح بين الطرفين من حيث أنه سيكون لكلامي وزنه و وقعه الإيجابي في دبّ الصلح بين الطرفين. فذهبت إلى بردحلي ونزلت بيت حمو شرو[2] وهو كبير الفقراء حيث جمعت الفقراء هناك وطلبت منهم التصالح مع الموسقوريين و أكدت عليهم بأني سأحرم كل من يرفض الصلح من طاوس ملك والشيخ عادي فاستجابوا لطلبي. وفي اليوم الثاني ذهبت إلى قرية الطيرف مركز الموسقوريين ونزلت بيت رشو علي الذي كان قتل أخوه فجمعت الموسقوريين وأخبرتهم أنني هنا لعرض

---

(١) منطقة جبلية في الشمال الغربي من العراق على الحدود بينه وبين سوريا. وتعتبر بجبالها وتلالها وكهوفها المنحوته في الصخر أحد معاقل الأيزيدية الحصينة زارها ووصفها لنا عدد من الرحالين والعلماء الغربيين راجع بنوع خاص Sachau، Reise in Syrien und Mesopotamien (ليبزك، ١٨٨٣) ص ٣٢٢-٣٣٥ وHeryfeldSarreß، Archiologische Reine in Euphratß und Tigris Gebiet (برلين ١٩١١) م ١، ص ١٩٩-٢٠٤. راجع أيضا عن أيزيدية سنجارPognon، Sur les Yezidis du Sindijar“ Revue de l’Orient Chretien„ م ٢٠ (١٩١٥-١٧) ص ٣٣٩-٣٣٧)

(٢) كبير فقراء بلاد سنجار. رفعته الحكومة البريطانية إلى منصب "رئيس الجبل" أو "وكيل بلاد سنجار" فأصبح له المقام الأول في تلك المقاطعة. راجع Gertrude Bell، Review of the Civil Administration of Mesopotamia (لندن ١٩٢٠) ص ٥١

إجراء الصلح مع الفقراء. فوافقوا أيضاً. وتم الاتفاق على أن يكون الجمع بين العشيرتين في مزار الشيخ أبي القاسم.

وهكذا تم اللقاء بين العشيرتين عند المزار وجرى الصلح بينهما،فأهديت عباءة لرئيس كل عشيرة وبالمقابل أهداني رئيس عشيرة السموقرة فرساً كانوا قد سرقوها من الفقراء وبدوره رئيس الفقراء قدم لي ست ليرات ذهبية.

زيارة إلى جبل الطور[1]

وهكذا قضيت زياراتي في منطقة جبل سنجار التي استطعت أن أجمع فيها مقدار ثلاثين ليرة ذهب إضافة إلى الفرس. والتحق بي اثنان من الخيالة من اليزيديين كمرافقين دائمين معي.فذهبنا إلى منطقة سكن الأيزيدية في جبل الطور. وهناك أقمنا عند دودو آغا من عشيرة الداسكان الذي اتخذني أخ الآخرة له، وأهداني حصاناً شبوة وخنجراً مفضضاً. كنت خلال ذلك أتفقد حال الأيزيدية هناك وأسعى إلى إتمام الصلح بين المتخاصمين. فأهدوني عشرين ليرة ذهبية وثلاثة خناجر مفضضة وحصاناً.

توجهنا بعدها من قضاء مدياد إلى قضاء فارقين. وهناك أيضا أقمت الصلح بين بعض المتخاصمين وقدموا لي بعض الهدايا. ثم ذهبنا إلى ديار بكر ومنها توجهنا إلى ويران شهر انتظار الكروان. هناك اضطررت إلى تبديل ثيابي بملابس عسكرية تجنباً للمتشددين الذين يضطهدون الأيزيدية ويبغضونهم ولاسيما وأنني بقيت لوحدي بعد أن رجع الرجلان اللذان كانا برفقتي إلى ديارهما.

---

(١) مقاطعة في تركيا شمال شمالي نصيبين. راجع الخريطة المفصلة التي وضعها لها القس Andrus من الإرسالية الأمريكية في ماردين وهي نتيجة ما قام به من الرحلات والدروس في تلك الديار O.H. Parry، Six Months in Syrian Monstery (لندن، ١٨٩٥) مقابل ص ١٦٩

زيارة إلى سوريا

ومن ويران شهر سافرت إلى ماردين ثم إلى حلب وفي الطريق طلب مني صاحب الكروان أن أقرضه عشر ليرات على أن يعيدها إلي في حلب فاقرضته المبلغ، ووصلنا إلى أورفه للراحة. كان علي أن أتدبرأمري فركبت حصاني وبدأت أتجول في البلد، وعند الظهيرة أردت الخروج من البلدة فاستوقفني اثنان من الجاويش عند باب البلدة يطلبان مني تذكرة الخروج، فأحسست بأنني في ورطة وتداركت الأمر بسرعة وأخبرتهما بأني من سكان البلدة ولدي بعض الأعمال في البساتين القريبة التي أقوم بإنجازها قبل العودة، وبناء على ذلك سمحا لي بالمرور والخروج من المدينة ومن هذا المازق ومعالجة ظهر حصاني الذي كان يتألم، وقضيت الليلة هناك وفي الصباح طلبت الكروان فإذا به قد تركني و توجه إلى حلب.فبقيت وحيداً لا أعرف شيئاً، ثم استفسرت عن طريق حلب فدلوني عليه فسرت على المسار الذي وضحوه لي حتى وصلت وقت الغروب إلى قرية اسمها وردية الواقعة بين بلاجوك وأورفة. ولم أستطع إيجاد مكان للمبيت فأهل القرية مساكين فقراء الحال ويتعرضون بين الحين والآخر إلى غزو اللصوص لهم، فاضطررت إلى قضاء الليلة وإلى إخبارهم بأني كاتب الأوردي (الجيش) وأني أتيت مبكراً وسيتبعني العسكر ويجب أن يجدوا لي مكاناً للمبيت عندهم وإلا سوف يتحملون عاقبة عدم استضافتهم لي، فاضطروا إلى استضافتي وجهزوا لي العشاء واجتمعوا حولي يطلبون بعض الأدوية والعلاجات وبالصدفة كنت أحمل معي بعض الأدوية فأعطيتهم إياها و وصفت لهم طريقة استعمالها، ففرحوا وجهزوا لي مكاناً للمبيت وبقي اثنان منهم يحرسان فرسي.وفي الصباح خرجت من القرية قاصداً حلب عن طريق سفينة بنج، وكان هنالك رجلان من الشركس سألاني عن وجهتي فأخبرتهما بأن أخي بيك باشي في حلب وأنني متوجه إليه، فأوصياني بأن ألتمس الحذر من الأيزيدية قطاع الطرق الذين يقتلون ويسلبون المسافرين مالديهم، ثم وصفوهم بأنهم مختلفون عن بقية البشربأن لديهم أذناب. وعند وصولنا إلى السفينة تركاني وشأني وذهبا إلى وجهتهما، فما كان لي سوى أن اتخذت طريق

الشامية واستغرق الوقت معي أربع ساعات إلى أن حل الغروب، وهنا اضطررت لأن أسأل جماعة من العرب مبيت ليلتي عندهم فرفضوا في بادئ الأمر، ولكن عندما أخبرتهم بأنني طبيب ومعي أدوية قبلوني عندهم، وجلبوا مرضاهم لي وبدأت أعالجهم بما أمتلك من خبرة ومعلومات، كنت قد سمعت بها، ثم أعطيتهم بعض الأدوية فأكرموني جداً. وفي الصباح خرجت من عندهم متوجهاً إلى منبج، وبعد الراحة والغداء مضينا إلى بلد بابا وهناك توجهت إلى الخان للراحة. كان هنالك رجلان من العسكر قد أخبراني بأنهما متوجهان بعد الغروب إلى حلب وسألاني فيما إن كنت أود مرافقتهما فوافقت، وبعد الغروب ركبنا الأحصنة وخرجنا سوية، وبعد مسير نصف ساعة أسرع الرجلان وتخلفا عني فناديتهما لكنهما لم يلتفتا نحوي وبقيت وحيداً لا أعي وجهة مسيري إلى الأمام أم الخلف؟ ثم التفت يميناً فرأيت من بعيد ناراً مشتعلة مالبثت أن توجهت نحوها، وعندما اقتربت ظهر لي رجل يحمل بندقيته وصوبها نحوي فقلت له : أنا صديق. فاستقبلني الرجل ومكثت عنده وقدم لي العنب من بستانه وقضيت الليل في بيته، وفي الصباح سألته عن طريق حلب فدلني عليه وباشرت السير حسب إشاراته، وبينما أنا في الطريق وبعد مسير نصف ساعة رأيت الكروان –القافلة- الذي تركني في أورفة فسألني صاحب الكروان عن حالي وسلامتي وعن كيفية وصولي إليه فأخبرته بما جرى، ثم واصلنا المسيرإلى حلب وسلمني العشر ليرات التي كان قد اقترضها مني.

في حلب سألت عن قرى الأيزيدية وعن أخي چول بك، فأخبرني بمكان تواجده وأخذني إليه حيث التقيته[1].

في ذلك الوقت كان خط سكة الحديد قد أنشئ بين بيروت وحلب وكان الناس فرحين بهذا الإنجاز. ثم اتجهت وأخي إلى بعض القرى الإيزيدية حيث احتفوا بنا وأكرمونا. بعدها توجهنا إلى عين تاب وكلس ومكثنا فيها ثلاثة أيام. ثم رجعنا إلى

(١)(١) زار ابن چول بك شقيق إسماعيل بك معبد لالش سنة ١٩١٧ ضمن وفد (أطباء الكورد) وحينها القيت محاضرة عن تاريخ معبد لالش

بيرة جوك ومنها إلى وايران حيث مكثنا شهراً وبعدها إلى نصيبين ثم فيشخابور ومنها إلى الموصل حتى وصلنا إلى الشيخان في شهر تشرين الأول.

العودة إلى الإمارة ومن ثم إلى تركيا وسوريا

ومكثت في دارنا في قصر الإمارة إلى وقت الحصاد في حزيران من السنة التالية.عندها توجهت مع أحد المرافقين لي إلى سنجار، وكان في ذلك الحين آصف أفندي العمري قائمقام سنجار. وهناك رحب بنا الأيزيدية وأكرمونا، ثم توجهت بعدها مع مرافقي إلى جبل مدياد والطور ومن هناك إلى ديار بكر. كانت معي سبعون ليرة حولتها إلى أرضروم عن طريق تاجر مسيحي اسمه يعقوب قسطو موصللي، بالإضافة إلى فرسين بعناهما في ديار بكر و بديلاً عنها استأجرنا بغلين مع كروان، وكان يعقوب قد أوصى صاحب الكروان بأن يهتم بنا إلى حين وصولنا إلى (لجي). وبقينا يومين في لجي ثم توجهنا عن طريق الجبل إلى قضاء جيافجول ومكثنا فيها ليلة، وفي الصباح غادرنا إلى زوزان وكان فيها كوجر ومحل شرف الدين ومحل لمرعى أغنام الكوجر، وهناك اشترينا منهم أغناماً للذبح. وبعد مسير خمسة أيام في جبل زوزان وصلنا إلى بيك كول وسرنا بعدها يومين حتى وصلنا إلى زوزان ومن ثمَّ توجهنا إلى أرضروم حيث مكثنا ليلتنا هناك في أوتيل كول باشنداه، وقد كنت قد حولت سبعين ليرة إلى صاحب الأوتيل أحمد أفندي فاستلمتها منه. وفي الصباح تعالت الأصوات والهتافات مع أصداء الموسيقى وصوت منادٍ ينادي عدالة أخوت، وعند سؤالنا عن الأمر قالوا لنا إن السلطان عبد الحميد قد أعطى حرية وعدالة ومشروطية.

زيارة على الحدود العثمانية الروسية

يذكر جون س كيست : وفي العام ١٩٠٨ قرر اغتنام الفرصة في ظل الحرية التي وفرتها ثورة تركيا الفتاة وذلك للقيام بزيارة الأيزديين في ما وراء القوقاز.

من بين ١٣٠ مليون مواطن روسي حسب تعداد النفوس للعام ١٨٩٧، كان هناك ١٤.٧٢٦ أيزدي في ما وراء القوقاز، أحسَّ اسماعيل بك بالفرصة الفريدة للذهاب إلى رعيته البعيدين، و أخذته رحلته وأسفاره إلى تجمعات أيزيدية مبعثرة في شمال شرق الأناضول، في قرية على مقربة من (وان)، كان مضيفه يستعد لإقامة احتفال منتصف النهار على شرفه عندما وصل خبر أن غريباً يبحث عن المؤن والزاد والعلف، وأن هناك برفقته مسافرين آخرين على طرف القرية، وبعد التحقيق تبين أن هرمز ـ شقيق المطران (الآثوري) مار شمعون بنجامين التاسع عشر ـ كان يطوف في أطراف قومه برفقة القس وبطرام، الذي قام مؤخراً بتغيير مكان البعثة التابعة لأسقفية كانتربري في (وان) بعد أن انشق معظم رعاياها وانضموا إلى الكنيسة الروسية، وأصر وفد من القرويين على أن يأتي هؤلاء المسافرون المميزون "لتناول الغذاء".

في كلمة ترحيبية استشهد الأمير الأيزدي بالاحترام والتقدير الذي يكنه الأمير علي بك لمارشمعون ـ من المؤسف أنهما لم يلتقيا أبداً ـ واستذكر أن الزوار الأيزديين لمنزل المطران كانوا جميعاً متأثرين بالانطباع الجيد الذي تركته رؤيتهم للطاووس الأليف، اغتاظ ويطرام من التأخير ـ ساعتين ونصف الساعة ـ الذي سببه الاحتفاء ولكن نفاد صبره هدأ بحادث غريب وقع في نهاية الوجبة بعد أن شبع الضيوف المسيحيون وبعض الأيزديين من وعاء الحساء، أفرغ الأمير حاوية من الفلفل الأحمر في الوعاء وشرب الحساء إلى آخر قطرة.[١]

حصل إسماعيل على أوراق سفره في أرضروم واتجه بثقة بمحاذاة الطريق الرئيسي المؤدي إلى الحدود، ولكن على الرغم من أن القوالين عبروا الحدود الجبلية الصعبة دائماً بين الإمبراطوريتين العثمانية والروسية دون أن يتم اكتشاف أمرهم، كانت الأمور أكثر صعوبة لإسماعيل الذي سافر في موكب يضم الخدم، وحقائب تحتوي على معاطف مطرزة بالذهب وكرات الصلصال من معبد الشيخ آدي.

(١) ما سجله ويكرام ونشر في QP العدد ٨٠ ـ تموز ١٩١٠ لا يذكر تاريخ هذا الحدث سوى أنه "كان في الخريف" ويذكر أن اسم هذا الأمير الأيزيدي الذي لم يذكر له اسماً هو أخ مير علي بك.

على نقطة الحدود الروسية قرب أورغان كانت أوراق المسافرين منظمة حسب الأصول، لكن رجال الجمارك طلبوا ٥٠ ليرة ذهبية (عندما كانت تساوي ٤٥ جنيهاً ستـرلينياً) كضرائب على الثياب والمعاطف، وردوا عرض اسماعيل باستعداده لدفع ١٥ ليرة ذهبية لشخصه، رجع إسماعيل وخدمه إلى نقطة الحدود العثمانية، حيث أخبره صاحب خان بأنه قد أشفق عليهم وطمأنهم بوجود طريق عبر الجبال و بأنهم حالما يعبرون الحدود إلى داخل روسيا فإن الفيزا الروسية التي سبق وأن ختمت أوراقهم بها سوف تسمح لهم بالإقامة القانونية، ولكن الطرق محفوفة بالأخطار للأيزديين، لأن القرويين الكرد كانوا مسلمين متطرفين.

ويقول الأمير في مذكراته : في اليوم التالي أخذت جواز سفر باسبورت من حكومة أرضروم مصدقة من قنصل روسيا. فاستأجرنا عربة إلى لواء حسن قلعي وبقينا هناك يومين ثم استأجرنا عربة أخرى إلى كوتك وهناك صدقت الباسبورت عند القائمقام التركي عند البيك باشي، ثم توجهنا نحو كبورتين الواقعة على الحدود الروسية، وهناك صدقوا جواز سفرنا وفتشوا أمتعتنا وكانت هنالك ثياب مطرزة بالسرمة ومجموعة عباءات رجالية وساعة ثمينة ضمن أمتعتي فأجبروني على أن أدفع خمسين ليرة جمركاً عليها رغم أني أوضحت لهم أنها أغراضي الشخصية، وكان هذا المبلغ كثيراً، فحاولت أن أرشوهم بعشر ليرات لكنهم أخبروني بأن حكم روسيا يختلف كلياً عن حكم الأتراك بني عثمان، وأن الرشوة فيها ممنوعة. فأخبرتهم بأني أود العودة إلى كوتك فسمحوا لنا بذلك. و في أثناء رجوعي إلى المقهى الذي غادرت منه رآني صاحب المقهى فاستغرب ذلك مني لكني أخبرته بما جرى معي. فقال لي: لامشكلة فما دام باسبورتك مصدقاً من الحدود فإنك تستطيع أن تسافر عن طريق الجبل وتذهب إلى محل إقامة سليمان بك أمير الحميدية، وهو من عشيرة جمال دينا لكن لاتخبره أن كلاكما أيزيدي، فأخذت ذبيحتين وغادرنا وبعد مسير تسع ساعات وصلنا إلى مقر سليمان بك، فاستقبلتنا والدته لأنه كان مشغولاً بأمور حكومية في روم واحتفت بنا ثم سألتنا عن هويتنا ومكان قدومنا، فأخبرتها بأننا من أتباع الشيخ

عبد القادر الكيلاني[1]،فظنت أني متوليّ مرقد الكيلاني فأكرمتنا كثيراً وجهزت لنا الاستقبال اللائق، ثم قدموا لنا الشاي والقيمر والعسل وأحضروا لنا إبريقاً للوضوء، وطلبوا مني أن أصلي معهم جماعة فأدركت أنني ومرافقي قد وقعنا في ورطة كبيرة وعلي أن أتصرف دون لفت نظر أو إثارة انتباههم، فأخذت الإبريق و توجهت خلف المنزل وأفرغت الإبريق ثم عدت إليهم ووقفت أمامهم لأصلي معهم، وبما أنهم لم يكونوا يعرفون الكلام العربي ما كان لي سوى أن تمتمت بكلمات عربية وكنت أدعو من طاوس ملك والشيخ عادي أن يساعدانا على اجتياز هذه المحنة بينما يصغون ويستمعون إلي دون أن يفهموا ما كنت أقوله في نفسي. وبعد الصلاة أتوني بالمرضى وبكل من لديه علة مستجدين بركتي لأجل الشفاء، كما طلبوا مني أن أبصق على المرضى والنساء وفي كأس ماء ليشربها المرضى ذوو الأسقام والصعوبات ففي اعتقادهم أن المراة العاقر لمجرد أن تشرب من الماء المبصوق فيه ستتبرك ببصاق الشيخ وتحمل وتنجب، والمراة التي لايحبها زوجها سيحبها بعد أن تشرب منه، وكانوا يطلبون مني حفنةً من تراب الكيلاني وخيطاً مباركاً بلمسي له، لشده على عنق الطفل فيحفظه من كل سوء وضر فيسلم، وهنا اضطررت لتلبية طلباتهم وأعطيتهم من تراب الشيخ عادي الذي كان معي وشددت الخيوط حسب رغبتهم الخيوط وبادرت إلى بعض الشعوذات والخزعبلات التي يؤمنون بها.

وفي الليل اجتمع أهل القرية حولنا جميعاً وبينهم جماعة من الصفوية والروحانيون للحديث والاستماع إلى الحديث القائم، وسألني بعضهم: هل يحل قتل المسيحيين من الأرمن شرعاً؟ وقد كنت أحمل معي روزنامة وبعض الأوراق وقلم رصاص فقلت لهم: أمهلوني لحظة لأرى وأريكم ما يقول الكتاب بهذا الشأن، مع العلم أنني لم أكن أجيد القراءة مطلقاً وبالمقابل كانوا أميين لا يجيدون القراءة والكتابة، لذا كان من السهل عليَّ أن أملي عليهم بما أشاء من الإجابة فيقتنعون دون جدال. أمعنت النظر في

(١) عبدالقادر الجيلي (الجيلاني)، محي الدين أبو محمد بن أبي صالح (٤٧٠-٥٦١ ه، ١٠٧٧-١١٦٦ م) أحد مشاهير الشيوخ الصوفيين ومؤسس الطريقة القادرية كان له ولايزال تأثير كبير في نفوس عامة المسلمين خصوصاً في العراق.

الكتاب ووافيتهم بالإجابة من أن الشيخ عبد القادر الكيلاني يمنع القتل منعاً باتاً وأن من يحاول قتلك ماعليك سوى قتله، ومن يضرك لمرات عديدة يمكنك إلحاق الضرر به لكن إياك أن تضر أو تقتل سواه، يضرك مرة ومرتين في الثالثة يمكن ان تضره انت لكن اياك ان تضر عيره او تقتل عيره. ويحرم عليكم أن تعتدوا أو تلحقوا القتل والأذية بمن لم يؤذكم أو يضركم بشيء، فهذ لا يرضى به ولا يقبله الشيخ عبد القادر ولا الرسول محمد.ثم سألوني عن جماعة تسمى بالأيزيدية قاتلي الحسن والحسين، هل يحل قتلهم ؟ فأجبتهم بالكلام السابق ذاته، وكررت: من يحاول منهم قتلك أو أذيتك اقتله لأن الشيخ عبد القادروالرسول محمد لايحللان إضرار الناس وإنما يدعوان إلى الخير والمحبة والسلام. فانقسم الجماعة إلى قسمين قسم اقتنع بكلامي وآخر لم يقتنع، فوجدت نفسي أمام عثرة محاولة إقناع الطرف المشكك بكلامي وواصلت حديثي حتى تمكنت من إقناعهم بأقوالي وإجاباتي وأدلتي.

ثم جمعوا لي مبلغاً من المال وطلبوا أن أمكث عندهم مدة أطول فيزورني ويلتقي بي جميع أهل القرية، نجتمع ونجمع واردات وخيرات الشيخ عبد القادر الكيلاني، فمنذ مدة طويلة لم يزرهم أحد أو يقصد مزار الكيلاني. إلا أني اعتذرت لهم وأخبرتهم بأنني على عجلة من أمري وعليَّ أن أغادر وأتجه إلى روسيا حيث يقيم أخي ويعاني من وعكة صحية تفرض عليَّ أن أكون معه في أقرب وقت، وبذلك تمكنت من التملص والتخص منهم.

كانوا يكنون البغض والحقد العميق على الأيزيدية للغاية حتى أنهم إذا أرادوا أن يبعدوا أو يطردوا كلبهم قالوا له: اشت يزيدي.

وفي الصباح حين أفقت كانت بحوزتي مسبحة ناجين فيها مائة غرزة ناعمة أهديتها إلى الخاتون والدة سليمان بيك وقلت لها: هذي من مزار الشيخ عبد القادر الكيلاني طهرتها بماء زمزم في الحج، فأمسكت بها و أخذت تقبلها ثم وضعتها حول عنقها للتبرك وأمرت بأن يرافقنا اثنان من الخيالين إلى صاري قاميش، كما زودتنا بما نحتاج وبفرسين نمتطيهما ونغادر مواصلين سيرنا.

في طريقنا وقبل أن نصل صاري قاميشمررنا توجهنا إلى قرية تسكن فيها ابنة الخاتون أخت سليمان بك وهناك أيضاً اجتمع بنا أهل القرية وطلبوا منا الخزعبلات والشعوذات والبصاق وكان ولك يكن زوج خاتون موجوداً في القرية فاستقبلتنا بنفسها و احتفت بنا وأكرمتنا وقدمت لنا ست مجيديات، وألح أهل القرية علينا بالبقاء وقضاء تلك الليلة عندهم إلا أننا اعتذرنا بأننا على طريق سفر طويل وعلينا أن نصل، وكانت المسافة بين قرية سليمان بك و قرية أخته تقع على ما يقارب الأربع ساعات سفراً بالإضافة إلى ما في الطريق من مخاطر وصعوبات كثيرة حيث تنتشر فيه الضواري و الوحوش المفترسة.

فغادرنا بعد مشقة كثيرة حتى وصلنا إلى عشيرة جمال دينا التي تبعد مسافة سفر ساعة عن صاري قاميش، وهناك حططنا رحالنا للاستراحة فاجتمعت النساء أيضاً حولنا استجداء لبركتنا، وصرن يقبلن يدي ويطلبن مني أن أتضرع وأطلب من الشيخ عبد القادر الكيلاني شفاعته واستجابته للعاقر التي لم تنجب بعد، ولمن تعاني من عدم حب زوجها لها، ولمن لديها ولد وحيد أن يحفظه ويحميه، وللمرضى الشفاء والسلامة، و بدورهم أيضاً طلبوا مني أن أبصق عليهم وأعطيهم من حفنة التراب التي كانت بحوزتي، فرحوا بنا كثيراً وامتنوا لصنيعنا وعملنا بينهم واحتفوا بنا وأكرمونا بكل ما لديهم.

ثم وصلنا إلى صاري قاميش وكانت الخاتون أخت سليمان بك قد أرسلت خادمها لمرافقتنا وأوصته بأن يوصلنا إلى بيت أحد أصدقائهم من أهل تلك القرية الذين كانوا من المسيحيين، يقال لهم ملاكان ويحرمون على أنفسهم التتن "التبغ" ولذلك طلب منا الخادم الامتناع عن التدخين عند المكوث بينهم. بقينا في صاري قاميش قرابة ساعتين، وغادرناها الساعة الواحدة ليلا، وواصلنا السير طوال الليل حتى ظهراليوم الثاني حيث وصلنا قرس ولم يكن هناك سيارة تنقلنا إلى روسيا، فأشار إلينا أحد الرجال وكان مسلما أن ننزل في فندق للإسلام وألا نقرب أوتيل النصارى، لأنهم أرمن فدائيون لا يتورعون عن قتل النزلاء وسرقة ممتلكاتهم، فعملنا بنصحهم ونزلنا في أوتيل للأتراك المسلمين، كانت معي آنذاك ليرات ذهب تركية أردت تصريفها وتحويلها

إلى العملة الروسية، فذهبت إلى محل للصيرفة، وفي تلك الأثناء جاء رجل طويل القامة حالك الذقن من الجانبين ترك لحيته في الوسط فقط وسألنا عما نملكه، فأخبرته بأنه لدي ثلاث ليرات تركية وأودُ تحويلها إلىالعملة الروسية، فقال: لنا سأحولها، ثم أمسك الليرات وقبض عليها وفر هارباً، لحقت ومرافقي رشو به. دخل الرجل داراً كبيرة وأمام الباب كان هنالك رجل يقف استوقفنا بينما كنا نريد اللحاق بخاطف الليرات الهارب منا، فأخبرناه، وقال لنا إن هذه الدار الكبيرة جمعية فدائية وحذرنا من دخولها وتتبع الهارب لأننا قد نتعرض للقتل والموت فيما لو فعلنا، وأشار إلينا بأن إخبار البوليس أجدى وأكثر أماناً، فعدنا أدراجنا وقدمنا بلاغاً لدى البوليس الذي دخل الدار وتحدث مع الموجودين بخصوص ما حدث معنا واستطاع أن يستعيد الليرات المسروقة ويعيدها إلينا.

وفي الليل أخذنا القطار من قرس إلى كومري والتي كانت تسمى الكسندره بور ووصلنا الى كومري الساعة الثامنة مساء ثم توجهنا إلى أوتيل للمبيت فيه. وفي الصباح تجولنا في سوق المدينة وسألنا عن أماكن تواجد الأيزيدية فدلونا على صاحب محل للخيول والسروج[1] للاستفسار والسؤال عما نريده، فقصدناه وسألناه، و أخبرنا بأن هنالك قرية لليزيدية اسمها أخباخان بين كومري وولاية إيراوان تبعد مسير ثمانٍ من الساعات، فأرسلنا لهم خبراً بأن شيخهم اسماعيل بك بن عبدي بك أمير الشيخان موجود في كومري و يريد المجيء إليكم. وفي اليوم الثاني حضر لاستقبالنا خمسة عشر خيالاً من آغوات وأكابر الأيزيدية ورافقونا إلى قرية اسمها ميركي في عربة بايتون[2] ثم توجهنا إلى بيت زركان آغا من بيت جوبان آغا وبتنا هناك في تلك الليلة. وفي الصباح توجهنا إلى قرية (جرجيس) وقصدنا بيت مدير الناحية شومي

---

(١) يبدأ المؤلف هنا بوصف رحلته في بلاد القوقاز وأعماله بين اليزيدية في تلك البقاع وقد أتى على ذكر هؤلاء اليزيدية ووصف أحوالهم المؤلف الروسي Haxthausen في كتابه Vom Mittelmeer zum Persischen Golf ،Transkaukasien Von Oppenheim (راجع - برلين، ١٩٠٠-م٢، ص ١٤٨) على أنني لم أستطع الوصول إلى هذا البحث لمراجعته.

(٢)(٢) لعلها محرفة عن التركية "فايطون" وهي عربة مفتوحة يجرها جوادان

آغا وابنه عمر آغا من الأيزيدية. وكان الأيزيدية هناك لايعرفون القراءة ولا الكتابة فأعطيتهم الرخصة ليتعلموا ويعلموا أولادهم في المدارس وبقينا هناك عشرة أيام حيث كان دار مدير الناحية مركزنا، وكان الأيزيدية والمسيحيون والأرمن والمسلمون الساكنون في المنطقة يسألوننا عن الحكومة وأحوال البلاد وعن معيشتنا وكنت أجيبهم عن استفساراتهم، كما كانوا يأتوننا بالهدايا من مبالغ مادية وأشياء عينية.

يذكر كيست: بعد ذلك بأيام قليلة، وبعد استقبالات مماثلة في سلسلة القرى، أن المسافرين كانوا قد وصلوا إلى ألكساندروبول (المسمى سابقاً كومرو) وكشفوا عن هويتهم الحقيقية، وأن إسماعيل كان قد أقنع المسؤولين هناك بأنه لا نوايا عدوانية لديه، فسمح له بالتجوال بين القرى الأيزدية حيث نشر قواعد وقوانين الشيخ آدي، ووجه الخطاب القاسي والتوبيخ لهؤلاء الذين تأثروا وتبنوا عادات جيرانهم المسيحيين.

وفي كانون الأول ترأس إسماعيل تجمعاً للوجهاء الأيزديين في المدينة الصغيرة الحدودية أيغدير وأعطاهم قواعد تخص سلوك المؤمنيين من بينها: قرر إسماعيل ألا يتجاوز مهر العروس كحد أعلى المئة روبل (كانت عندها تساوي ١٠ر١١ جنيه سترليني) إذا كانت بنتاً عذراء و ٤٥ ـ ٥٠ روبلاً إذا كانت أرملة.[١]

توصيات دينية للمنطقة

وكان يحيط بموقعنا حوالي عشر قرى فكان يحضر آغوات وأكابر تلك القرى عندي، وأخبروني أنه قبل حوالي خمسين سنة وقبل الحرب بين الترك والروس في قرص[٢] كان قد زارهم أحد الأمراء وهو ميرزا بك بن حسين بك، ومنذ ذلك الوقت لم يزرهم أحد من بيت الإمارة، وسألوني عن سبب زيارتي، فأجبتهم بأنني قد جئت

(١) المصدر نفسه، ص ١٢-٢٠. د. أ. در، مقال في Anthropos، العددان ١٢-١٣، ١٩١٧-١٩١٨، ص ٥٥٨ و ٥٧٤.

(٢) لعل المقصود حصار الروس لمدينة قرس في حرب القرم واستيلاؤهم عليها في تشرين الثاني ١٨٥٥

من أجلهم وأنه قد ورد على أسماعنا أن فيهم من تجاوز بعض حدود الديانة، لهذا أردت أن أجمعهم كي أوضح لهم بعض أصول وحدود ديانتنا.

وحددت يوماً لعقد هذا التجمع الديني. وفي اليوم المحدد حضر الجميع صغيرهم وكبيرهم للاستماع، فقمت بهم خطيباً وأخبرتهم بأني من بيت أمير الشيخان ومن نسب الشيخ عادي والسلطان يزيد وأننا من بيت الأمارة في الشيخان خدام تربة الشيخ عادي، واني أصغر واحد من سلالة الشيخ عادي ومن عائلة أمير الشيخان، وقد حضرت بينهم نيابة عن طاوس ملك والشيخ عادي والسلطان يزيد وأمير الشيخان علي بك والشيخ الكبير البابا شيخ.

كما أخبرتهم بأننا نعبد االله، أن الله واحد أحد وهو جالس على كرسي الحق ومقسم الأديان وكل الأديان تعبده.

وأن ديننا مقسم إلى مرتبات دينية، كل مرتبة لها وظيفتها وكل واحد منا له دور حسب رتبته. وقلت لهم: عليكم أن تجعلوا الله في قلوبكم وتدعونه يومياً صباحاً ومساءً حسب طريقتنا وديننا الأزلي.

وعليكم أن تتجنبوا الكفر والزنا فهو محرم في ديننا، وأن الله خلق هذا الكون والبشر والحيوانات والاشجار لغاية ما. وأنه بإمكانه أن يجعل البشر كلهم أمة واحدة على دين واحد، لكنه خلقهم مختلفين ليمتحن البشر ويختبرهم بأعمالهم خيرها وشرها.

وأن الله الذي خلقنا من أمة الأيزيدية وعلينا أن نشكره ونصلي له وعلينا أن نحافظ على ديانتنا وعلى قوانينها وطقوسها وعاداتها على مدى الحياة ويتوجب علينا أن نتبع تعاليم ديننا ونطيع الله وطاوس ملك والشيخ عادي وأن نقوم بالأدعية والصلاة كل يوم مرتين،

ويجب أن تكون قلوبكم نقية وصافية تتكاتفون وتتآخون وتحرصون على الود والسلام فيما بينكم. وتجنبوا الحسد والبغضاء بينكم فلا يعتدي أحدكم على كرامة وشرف الآخر، ولايغدر أحدكم بأخيه ولايخونه. وعليكم ألا تقربوا الحرام مع اي كان من الأديان الأخرى.

يجب أن يكون في كل قرية من قراكم شيخ ينادي بينكم كل ليلة أربعاء باسم أحد الخاسين والأولياء ثلاث مرات في القرية ليذهب الجماعة إلى بيت المجيور يأكلون عنده على أن تكرموه من مالكم. وعلى المجيور أن يحضرمجالس العزاء في القرية مدة سبعة أيام.

ويجب أن يكون هنالك شيخ كبير لكل خمس قرى يسمى البيش إمام تراجعه القرى التابعة له ويقوم بأعمالها ويراجع عنهم الحكومة المحلية في جميع الأمور والنزاعات التي تحدث بين الجماعة.

ويجب أن يكون الأربعاء يوم عطلة باسم الله. وطاووس ملك.

حرام عندنا الزواج بامراة الأخ وأي رجل يأخذ امرأة أخيه فإنه مرتكب للكفر، والأمر كذلك بالنسبة لزوجة العم وزوجة الخال.

حرام عندنا إقراض المال بالفائدة، إذ لايجوز إعطاء المال بالسلف والربا، كما ينبغي عليكم العمل في أراضيكم وزراعتها وجني محصولاتها بعرق جبينكم فلا تأكلون خبزكم إلا حلالاً، وواظبوا على الأعمال الصالحة والمبادرات الخيّرة.

لقد شاهدت البعض منكم يلبس اللون الكحلي بصبغ النيل، والبعض منكم زيق قميصه مفتوح، وهذا حرام عندنا، فنبهتهم أن يلتزموا باللباس وفق ديانتنا.

كذلك أخبرتهم بأن أراضيهم مزروعة بالخس واللهانة فأمهلتهم مدة عشرة أيام للتخلص منها ومن كل المحرمات وتنقية مزارعهم منها.

وعليكم إطاعة حكومتكم ودولتكم أينما كنتم ، وأن تكونوا مستعدين للتضحية من أجل الوطن والأرض وعليكم أن تعرفوا أن الأيزيدية فيها مراتب دينية من شيخ وبير ومريد وكل واحد عليه أن يتزوج من طبقته، ومن يخالف فقد كفر وارتكب الإثم والخطيئة، وعليكم أن تعلموا حكومتكم بذلك وسأقوم بدوري بإبلاغها بهذه القوانين والمراتب الدينية حتى تنظم شؤون أموركم وفق هذه الأسس الموضوعة في ديننا.

عندها سألوني: هل الخمور محرمة أم حلال؟ فأجبتهم بأنها غير محرمة عندنا، فشكروني في النهاية وشعروا بالرضا وقالوا: الحمدلله الذي أرسلك إلينا لتعطينا هذه

النصائح التي لم نكن نعرف عنها شيئاً ولم يسبق أن أبلغنا أحد بها، فالقوالون لم يعلمونا بهذه النصائح وكانوا فيما سبق يأتون لأخذ الفتوى منا ثم يرحلون، حتى عندما زارنا ميرزا بك قبل خمسين سنة لم يبين لنا ماهية الحدود وأصول ديانتنا، كانت أعيننا عمياء عن كل ذلك وبحضورك بيننا بتنا نبصر الأشياء، الحمدلله الذي نورنا وهدانا على يد أحد ملوكنا. ثم بدؤوا بتداول كلامي ونشره بين الناس كلها وصار بعضهم يعلم الآخر، ومضوا يعملون وفق التعاليم التي أعطيتهم إياهم وشربتها قناعاتهم..

ثم قمت بكتابة هذه القوانين وسلمناها إلى الحكومة فقبلتها وصادقت عليها وصارت كالدستور الذي يحكم الأيزيدية بها، وصار لليزيدية كيان رسمي لدى الحكومة. وعينت يوسف بك بن حسن بك رئيس الهسنية الذي كان يسكن قضاء إيكدل ولاية إيراوان ليكون ممثلاً للأيزيدية والأيزيديين لدى الحكومة والبلاد.

كما عينت كل من يوسف آغا بن خدر آغا في قضاء (قاقزمان) وناحية (حقدورلك وفقير عبدو) ليكونا متوليي الجماعة بالأمور الدينية، كذلك عينت علي آغا بن عمر آغا رئيس عشيرة السيبكية من ناحية ديكور. وعمر آغا بن شومكي في ناحية أخبخان في قضاء كفتالو لواء كومري للأغراض ذاتها.

غضب قائممقام كفتالو وليون آغا

في أحد الأيام كنا جالسين في بيت عمر آغا بن شومكي آغا وإذا بخمسة عشر نفراً من العسكر يأتون إلى تلك القرية مع مفوض التحقيقات، نزلوا بيننا وأحضروا لي ورقة من قائم مقام قضاء كفتالو وفيها يمنعني من أن أدور بين جماعة الأيزيدية أو أن أذهب إلى محل القائم مقامية، ظناً منه أني أتعامل معه في أمور سياسية، فذهبت إلى القائمقام مع خمسة رجال من آغوات وكبار الأيزيدية ودخلت عليه وهو جالس على الغداء، و ماإن رآنا حتى انتفض غاضباً وقام بضرب الآغوات كل آغا خمسة عصي، ثم قال : أنتم أيضاً جماعة الأيزيدية تقيمون جمعيات سرية وقد حضر هذا

شيخكم لأجل هذه الأمور لذا ينبغي ألا ينزل في هذه المنطقة أو يتجول في الأماكن، ولابد من إرساله إلى حدود تركيا ومن هناك يعود إلى بلاده، فصعب علينا هذا الأمر جداً وأجبناه أما من صلاحية يمكن من خلالها أن نراجع اللواء والمتصرفية وقنصل تركيا فأجاب : نعم، فتوجهنا من هناك إلى كومري وكان معي عمر آغا بن شومكي آغا وشيخ ميرو ونزلنا في بيت ليون آغا، ولم يكن موجودا في البيت فاستقبلنا أهله وأكرمونا إلى أن حضر ليون آغا وعرضنا عليه مسألتنا فأجابنا وهو يضع يده على شاربه قائلاً :هذه الشوارب لن تكون علي إن لم أعزل هذا القائم مقام من منصبه وإلا لن أقبل بالبقاء في هذا المكان، فشكرناه، وأخبرناه بأنه كان قد طلب منا خمسين ليرة رشوة، وقلت له أني رجل مسكين ألتمس الإحسان والصدقات من المقتدرين (١٧) في الجماعة فكيف لي أن أعطيه هذا المبلغ ؟!

مراجعة المتصرف

فسرعان ما ركب العربة وتوجه إلى المتصرف صباحاً وأفاده بذلك، طلب المتصرف أن يحضروا إليه الساعة الثانية بعد الظهر لمقابلتهم، فأتى ليون آغا كبير الفدائيين و ذو المكانة المرموقة في الحكومة، وأفادنا بأنه ينبغي علينا أن نتوجه بعد الظهر بساعتين إلى المتصرف، في وقت محدد، وهذا ماحدث حيث انطلقنا بعربة بايتون ذهبنا لمقابلة المتصرف الذي بعد أن استقبلنا ورحب بنا كثيراً قال: بلغنا أنك قد أحضرت معك صناديق ذهب ويقصدك الناس من قرى حدود العجم، مسلمون ونصارى وأرمن، وتقسم عليهم الدراهم وتقيم جمعيات سرية، فأجبته : نعم. قدمت من بلاد تركيا لأنقذ الجماعة وأرشدهم إلى أن يكونوا طائعين لحكومتهم وأن يدافعوا عن حقوق الحكومة وألا يكون بينهم حسد أو بغضاء، وحثثتهم على إقامة العلاقات الودية المتآخية القائمة على أساس المحبة والتعاون فيما بينهم وسوى ذلك من وصايا الخير، وكل خطبي فيهم كانت تهدف إلى الطاعة والعفة وإلى إرشادهم إلى الأعمال الحسنة وردعهم عن المحرمات والزنا والاعتداء على حقوق وأرواح الآخرين من الناس

والأبرياء. فأجاب حينها بأنه سيراجع الكوبرناد أي والي إيراوان ويوافيه بكل ذلك، وهذا ماقام به وانطلاقاً مما أفاده به أمر الوالي باستحضارنا لمقابلتنا.

مقابلة والي إيراوان

أرسل ليون آغا معنا رجلاً من الفدائيين اسمه جلال وقال أنه يعرف اللسان الروسي جيداً ورؤساء الأرمن الموجودين هناك وأنه بإمكانه أن يساعدنا بصورة جيدة، وعند سيرنا في الطريق سألت بعضاً من مرافقيَّ: أيُّ الأتيلات (الفنادق) الأفخر في هذا المكان ؟ فأجابوا إيروان، ولكنه فندق باهظ الثمن، فأجبتهم لابأس فعلينا أن نقضي مهامنا و أشغالنا، نحن أربعة أشخاص، وكانت تكلفة الفندق عشرين ماناط يومياً [1] أي مايعادل عشرين روبية. وأما الرجل جلاد فقد كان على صلة مع أناس من وجهاء الأرمن الذين كانوا على تواصل أيضاً مع الوالي، كما أن ترجمان الوالي ينتمي إلى الأرمن، وكان جلاد كثير الدأب والاجتهاد في تسيير الأمور إذ أخبر الوالي بحضوري (١٨) فحدد الوالي موعداً للقائه ومقابلته في اليوم التالي بعد الظهيرة بساعتين، والتزمنا التوقيت وحضرنا في الموعد المحدد إلى بيت الكوبارناد الذي لم يكن موجوداً، إلا أن امرأته قامت باستقبالنا، سلمنا عليها وجلسنا في غرفة الاستقبال لنستريح، فأتتنا بابنتها وقالت: هذه ابنتي الوحيدة، مريضة وأرجو أن تضع يدك عليها لعل الرب يقبل دعاءك، فوضعت يدي وطلبت : يارب يا شيخ عادي أطلب منك وأستجديك شفاءها وأدعوك لئلا ترد طلبي ودعائي وأنا في هذا الموقف والمهمة إزاء هذا الرجل وامراته، أدعوك أن تبرئ هذه الفتاة من سقمها ووجعها.

وبعد أن انتهيت من دعائي وذهبت الخاتون مع ابنتها، دخل الوالي وجلس معنا يحادثنا بلطف وودٍ، وسألني عن ديانتي وحكومتي وعن معتقدات الأيزيدية، فقدمت له ورقة مدروجة فيها جميع القوانين التي صرحت بها سابقاً، أولها ما يخص الجماعة

(١) Moneta في الروسية تعني العملة أو النقد بصورة عامة، ولم أستطع تحقيق النوع الخاص من النقد الذي يضعه المؤلف هنا (مناط).

والحكومة، وقلت له هذه قوانينا وهذا إقرارنا في الناس، فنحن دائما نوصي وننبه الجماعة إلى أن يسلكوا هذا الطريق، فقام الوالي بإخراج أوراق كانت بحوزته، وقال : تسلمت هذه الأوراق التي تدلي بأنك قد جئت إلينا جاسوساً من تركيا، و أنك تعمل على إنشاء جمعيات سرية فماذا تقول بهذا الخصوص ؟ كذّبتَ الادعاء وقلت : إذا استطاع أحد أن يثبت شيئاً واحداً مما ورد في هذا الادعاء فليفعل وأنا جاهز للمواجهة و الرد ومسؤول أمام الحكومة، و سأتقبل وأرضى بكل ما تأمر به الحكومة، قبل الوالي كلامي قبولاً مشروطاً بأن أبقى في إيراوان سبعة أيام لحين إرساله فريق تحقيقات إلى الأماكن التي كنت بها، وسلم كومري تيلغرافاً، وطلب منهم أن يرسلوا مفتشاً إلى ناحية أخبغان ليسأل عن أحوالي هناك وعما تكلمت به، وهناك سألوا بعض المسيحيين الأرمن والمسلمين والأيزيدية عما صدر عني من الكلام والحديث والوصايا، فكانت إجابات الجميع أنهم لم يسمعوا مني سوى النصائح والإرشادات التي تهدي إلى الخير وتبتعد عن كل ما يخص أمور الدولة و شؤون السياسة.

عزل القائمقام من قبل الوالي ومنحي إقامة سنة

وبعد مرور سبعة أيام وردت الأخبار الدالة على حسن سيرتي وتعاملي الإيجابي مع الناس وموقفي الحسن من الحكومة، فأمر الوالي بعزل القائم مقام وأمر بأخذ النيشان منه فحط من قدره ومكانته، وأعطاني ورقة أمر بيورلدي[1] لسنة يمنحني فيها صلاحية التجوال بين جماعتي والحكم بينهم بحسب أصول وديانة الأيزيدية فقط، و ضمنها محاذير عدم التعاطي أو التدخل في أمور البلاد والسياسة وبعد نهاية السنة أستطيع تجديد الرخصة فيما لو أردت البقاء في روسيا، وأعطى أمراً تيلغرافياً إلى جميع النقاط التي تتواجد فيها جماعة الأيزيدية بأنه متى وحيثما صادفوني عليهم إلقاء السلام والتحية عليَّ و التصرف معي كرئيس دين له مكانته الجليلة،

(١) بيورلدي : باللغة التركية بمعنى أمر أو رخصة بالمرور أو السفر في أنحاء البلد.

وكانت جماعة الأيزيدية تنتشر في الخارج و تتمدد أيضاً على النقاط والأقضية، وجرت الأمور على هذا النحو والشاكلة فحيثما حللت يصل خبر تواجدي إلى القومندان أو البيك باشى، فيخرج الجميع للسلام عليَّ مع مرافقة صف العسكر، الذين حين ظهرت ذات يوم قام كل نفر منهم برمي ثلاث طلقات من بندقيته، وهذا ما كان يجري ففي جميع الأماكن التي كنت أنزل فيها. ثم رجعنا إلى (أخباران) إلى قرية (جرجيسي) إلى بيت عمر آغا ومن هناك ركبنا في عربة بايتون وتوجهنا إلى قرية (قونتد غصاص) حيث اجتمع فيها جماعة الأيزيدية وقامت الأفراح الكبيرة عند جميع الأيزيدية في ليلة قضيناها معاً ساهرين حتى الفجر. في تلك الليلة في الساعة الثانية ليلا أتانا رجل من أشراف الأيزيدية قام بتقبيل يدي وطلب مني أن يسأل سؤالاً، وقال: لقد حضر القائمقام التي عزلته وهو يقف على الباب برفقته أناس رفيعو الشأن والخلق و ينتظر أن تأذن لهم بالدخول ولعله يجد عن طريقك عملاً وظيفياً، لعل بواسطتكم تصبح عنده وظيفة، فرفض مقابلته وقال : إننا لم نبادر نحوه بأية إساءة أو تصرف قبيح بل إن الأمر على العكس، من حيث أنه هو من بادر إلى الإساءة إلينا في معاملته لنا، فليعد أدراجه وليرجع من حيث أتى.

زيارة قبيلة سيبكان في قضاء قرس

من هناك سافرت إلى ولاية قرس وقضاء أديكور ونزلنا في بيت علي آغا بن عمر آغا رئيس عشيرة سيبكان وعكية آغا أخ علي آغا الذي تم نفيه إلى بلاد بعيدة عن روسيا، وهناك تزوج من امرأة مسيحية روسية أنجبت له ولدين، وكانوا جميعاً حاضرين على الحديث في ذلك الوقت حتى تمكنت من فهم المسألة والإشكال، فتلك المرأة لم تستطع أن تتأقلم مع ظروف العيش في القرية لكونها كانت تنتمي إلى بلاد أوديسة المتمدنة وكانت تود مرافقة زوجها في تلك البلاد، لذلك طلبت أن تعود إلى بلادها وبيت أبيها ويتزوج بامرأة أخرى أيزيدية، وهكذا جرت الأمور والعمل حسبما شاءت إرادتها ومضت مع ولديها إلى بلادها. وبالمقابل أعطوني عشر ليرات وبساطاً

نفيساً كهدية. وبعد أن مكثنا هناك قرابة شهر وأجرينا اللازم من شروط وقوانين الديانة سافرنا إلى قضاء قاقزمأن وكان هناك رجل من المرداء (المريديين)، متزوج من امرأة ابنة بير وهذا في حكم ديانتنا كفرعظيم، وسريعاً استدعينا الزوجين أحضرنا الرجل وامرأته وسألنها عن سبب هذا التجاوز فما كان رده إلا: سود الله وجهي، وعبر عن استعداده لتحمل مسؤولية وعقوبة ما اقترفه، فأمرت أن يربطوهما سوية ويلقوهما على الثلج وكان ذلك في أوائل كانون الأول حيث البرد قارس، ثم أحضروا لي ستة عشرعوداً انهلت عليهما بها بالضرب، حتى تكسرت العيدان وحكمت عليهما بالحبس، حتى أتاني علي آغا و يتشفع لهما عندي فقام بتقبيل وطلب مني الكف والغفران لهما عندما بدأ جسداهما ينزفان دماً، وقال الحكم هنا روسي و هذا لن يناسب مكانتك ووضعك الوظيفي إن شارفا على الموت، ولن تسكت الحكومة عن ذلك. وبعد أن توقفت وكففت يدي عن ضربهما أمرت بسكب جرتين من ماء بارد وأمرت بحبسهما. وفي الصباح انطلاقاً من رجاء علي آغا أحضرنا قسيساً من المسيحيين ورجلاً مسلماً ورجلاً يهودياً وجماعة الأيزيدية، وكتبنا سنداً أمام جماعة الحاضرين والأربع طوائف بأن هذا الرجل والمرأة لن يقرب أحدهما الآخر بعد الآن. ثم قمنا بإقصاء المرأة إلى قضاء أخبران بينما بقي الرجل في ولاية قرس.

زيارة إلى ناحية تندورك

توجهنا إلى ناحية تندورلك وفي طريقنا قبلما نصل إلى قرية الأيزيدية عبرنا على قرية فيها مئتي بيت من المسلمين وجميعهم أكراد من عشيرة جومكة فخرجوا لاستقبالنا، وكان رئيس وكبير القرية واسمه مرو آغا قد أخذ امرأة لها رجل فقام زوج المرأة للرد عليه وأراد قتله، ثم اشتكاه للحكومة إلى غير ذلك، إلا أن خوف مرو آغا من السياسة دفعه إلى أن يتظاهر بأنه مسيحي فوضع صليباً على صدره، ثم طلبوا منا أن ننزل عندهم ونأكل طعامهم فنزلنا في بيت مرو آغا الذي استقبلنا بحفاوة، ولشدة فرحه بنا ذبح ثلاثة كباش وثوراً كبيراً وأقام وليمة كبيرة وكانت بنا لا توصف. كان معي ما يقارب العشرين رجلا ً من أكابر الأيزيدية وعند العصر كان أهل القرية

مجتمعين عندي وجميعهم من المسلمين فسألتهم الآن وقت العصر أين أذانكم؟ وأين شيوخكم وصلاتكم ؟ فما أرى علامة لذلك ! فأجابوا نحن خدمك لكن إذا صار كبيرنا وآغاتنا مسيحيين فكيف ستكون لنا صلاة وملا وغير ذلك ؟ فرددت: طعامكم علينا حرام وينبغي ألا نمكث طويلاً عندكم، وهنا أمرت رجالي أن يستعدوا للركوب والرحيل وأن يأتوني بفرسي، فأخذوا يرجونني بشدة ويطلبون أن أبقى فأهل القرية غير متفقين، فقلت إذا كنتم غير متفقين كيف لي أن أمكث بينكم أو آكل طعامكم؟! وعلى الفور بادرت إلى توطيد أمرهم وإرسائهم إلى برالاتفاق. كان الجو آنذاك شتاءً بارداً مثلجاً. وقد أرسلوا بطلب الشيخ الذي كان بعيداً عنهم ما يقارب سفر الساعتين فحضر، وحين سألته لم تركت الجماعة؟ فأجاب : لأنهم لا يلتزمون بأوامري ولا يستجيبون لما أمليه عليهم من التوجيه، لا يقومون بواجباتهم ولا يعطوني حقوقي و لهذا غادرتهم ولم أبق معهم. ولذلك قمت بتوجيه أهل القرية إلى أمور : في وقت البيادر أن يجب أن يعطي كل بيت من المقتدرين وزنة شعير والفقير نصف ذلك وفي وقت الدهن أيضاً من كل بيت مقتدر قدر نصف حقة دهن و كذلك الفقير نصف ذلك، والصوف أيضا يتوجب على كل بيت جزة، ويلزم الشيخ أيضاً بمتابعة أحوال وشؤون الجماعة وأن يبقى على قبر الميت الغني سبعة أيام والفقير ثلاثة أيام، وسألت الشيخ كم صار لك منقطعاً عن الآذان والصلاة؟ فأجاب: سبعة أيام. فحثثته على مواصلة الآذان حسب الأصول وتعويض ما فات. ومن ذلك الوقت صار يؤدي مهمته يؤذن ويصلي الأمر الذي أثار دهشة الجماعة و تساؤلاتهم في أن هذا الرجل أمير الأيزيدية ويحثنا على صلاتنا وديانتنا! فدمعت عيونهم وقالوا: نحن تحت حكم روسيا ولا نستطيع أن نجري عبادتنا وطقوس ديانتنا. بعد ذلك بتنا عندهم هناك، وفي الصباح استفهمت من مرو آغا و عن سبب تنصره فأجابني بأنه قد تنصر كسياسة لهدف من أنه كان قد أحب امرأة هي كنة بيت حسين آغا وكان حسين باشا من عشيرة الشاكورية وهو رجل تركي محبوب ومقدم من حكومتي تركيا وروسيا، وحين أحب تلك المرأة تزوجها وهرب بها، فاشتكى علي حسين باشا عليَّ وطالب بشنقي فما كان أمامي سوى أن التجئ إلى المطران الروسي وأُظهِر أنني وزوجتي

مسيحيان وبذلك تمكنت من إنقاذ نفسي، إلا أن حقيقتي أنني مسلم باطنياً ومسيحي ظاهرياً.

زيارة إلى قبيلة الهسنان في ناحية كولافا

غادرنا تلك المنطقة بعد أن قضينا أياماً عند جماعة الأيزيدية وتوجهنا نحو أيكدل ناحية كولافا داخل أيراوان ونزلنا عند يوسف بك بن حسن آغا رئيس عشيرة الهسنان وفي الطريق وقبل أن نقترب من القرية بما يقارب الربع ساعة سفراً قدمت لنا جماعة كانت متواجدة هناك الذبائح نحو ثلاثين رأساً من الغنم مع ثيران واجتمع جملة آغوات الأيزيدية في بيت يوسف بك، وهناك عملنا مذكرة وقلت لهم منذ ثلاث وعشرين سنة وأنا معكم، والآن أحب أن أسافر وأعود إلى بلادي وقد أكملت دورتي بينكم ووضعت لكم القوانين منظمةً حسب ديانة بلادنا وبينتُ لكم قوانين الشيخ عادي ووثقتها جميعاً باللسان الروسي والأرمني، وتركت عند كل عالم ديني كتاباً يتضمن تلك القوانين، وبذلك اتخذوا تلك الكتب مصدرهم الذي أخذوا يتبعونه ويعملون بموجبه. حدثني أحد أكابر الأيزيدية قائلاً : لقد وضعت هذه القوانين والشروط بيننا وتشد رحالك للسفر بعيداً عنا بينما سنبقى نحن جماعة الأيزيدية مشتتين، مقطعي الأوصال تتسع دائرة البعد بيننا، ولسنا محسوبين على قبيلة أو عشيرة أو ملة، ومن الصعب علينا أن نعيش هنا أو ننعم بالأمن والاستقرار على الحدود بين الروس والعجم والترك. فسألتهم: أي عشيرة أقوى هنا وأي طائفة مقدمة؟ قالوا: طائفة الأرمن وبطريركهم في أجميازين[1] فقلت: لكم ما تشاؤون وأنا مستعد لإجراء ما تريدونه وما يصب في رغبتكم.

(١) فرب إيراوان، ودير أجيازين هو المركز الديني الأعظم للكنيسة الأرمنية وفيه مقام بطريركهم Katholikos. راجع وصفة في H.C.Loke.Anatolica (لندن، ١٩٢٤) ص ١٨٨ _ ١٩٤

لقاء البطريك الأرمني وفتح (٢٥) مدرسة للأيزيدية في قرس

توجهنا من هناك مع عشرة من أكابر الأيزيدية وشيوخهم إلى قرية أرقمري التي تبعد عن أيكدل نصف ساعة، ونزلنا في بيت خاجكرل وأفدناه بأفكارنا التي أسعدته للغاية ووافق على وجهة نظرنا ورأينا، وفي الصباح استأجرنا ست عربات وانطلقنا جميعاً إلى دير أجميازين حاملين معنا محفورة جيدة ثمينة كهدية إلى الدير، وحين وصلناه نزلنا فيه ولبثنا يومين عند أهله، حيث استقبلونا ورحبوا بنا معززين مكرمين، ولكننا لم نرَ البطريرك عند وصولنا، وفي اليوم الثالث قابلنا مكرديج الذي كان وكيل البطريرك لأن البطريرك كان قد توفي و كان بطريرك أزمليان[1] في آستانه، وخلال هذه الأيام الثلاثة لم نشعر أننا مسافرون أوغرباء لِما قابلونا به من الترحيب والحفاوة. وعندما دعينا إلى مقابلة وكيل البطريرك "كابطيكوس" واجتمعنا على الحديث سألنا عن أحوالنا ومملكتنا، فعرَّفته على الموصل وسنجار وغيرها من الأماكن، وقد كتبنا له كتاباً حول أمور ديانتنا كالذي سبق وكتبناه للجماعة من قبل، ثم سألني ما الذي تريدني أن أجريه بخصوص جماعتكم؟ فأجبت أنا الآن رئيس جماعة الأيزيدية ، وبما أنني مسافر إلى بلادي أحب وأطلب أن يكون كل جماعة من الأيزيدية في مقاطعة قفقاسية بثلاث ولايات كومري وقرص، وإيراوان محسوبون على جماعة الأرمن إن كان من جهة القتل أو النهب أو السرقة أو غير ذلك؛ فكما تعلمون فإننا لا سند لنا ولا معين، ولهذا أطلب أن تكون معاملة جماعة الأيزيدية كمعاملتكم جماعتكم الأرمن وأن تحافظوا عليهم وتصونوا كرامتهم ووجودهم وتهيئوا لهم السبل والظروف ليتمكنوا من المحافظة على دينهم وديانتهم.

كما أتمنى أن تساعدوهم في الأمور التي تكون مجاري حلولها عند الحكومة سواء أكان ذلك بصورة رسمية أو غير رسمية، هذا كل ما أريده. فأجابني البطريرك: نحن قبل حضورك كنا نحافظ على جماعة الأيزيدية والآن بحضورك قد زدنا إصراراً على

(١) البطريرك مدنوس أزميرليان (أنتخب سنة ١٩٠٨) نصب سنة ١٩٠٩ توفي سنة ١٩١٠

ذلك، ومن الآن فصاعداً سنصونهم ونتابع أمورهم بالاهتمام ولن نسمح بإيذائهم أو إلحاق الضرر بهم أياً كان..

لكن نطلب أن تختموا ورقة بذلك فقد استجبنا للطلب، ثم أجبنا بالإيجاب وختمت والرؤساء الذين كانوا معي وسلمنا على البطريرك وكتبنا أسماء عدة قرى للأيزيدية وهم (٧٢) قرية عن ثلاثة آلاف وخمسمائة دار، وأسماء نواحيهم. فقال البطريرك أشترط عليكم أن تأمروا الجماعة أن يفتحوا المدارس ويعلموا أولادهم القراءة والكتابة، فأجاب الأكابر: في ديانتنا ممنوع علينا أن نفتح مدارس ونعلم أولادنا القراءة، ولكن إن أعطانا أميرنا الموجود رخصة بذلك سنفعل، نحن مستعدون لهذا الأمر. فقلت : في بلادنا في تركيا ممنوع عندنا افتتاح المدارس خوفاً من الإسلام لئلا يجلبوا أولادنا إلى ديانتهم لكن هنا وخصوصاً عند المسيحيين فأنا مطمئن على ديانتي وجماعتي ولا أرى مانعاً في هذا الأمر، ولكنكم تعلمون أن جماعة الأيزيدية ضعفاء بقوة المال وغير مقتدرين على افتتاح مدارس وإعطاء رواتب للمعلمين ؛ فليست هنالك دولة لنا تساعدنا، فأجابني البطريرك أنا مستعد لأن أفتح سبع مدارس في قرى الأيزيدية وأتكفل بجميع لوازمها واحتياجاتها وهكذا صار القرار.

التوجه إلى تبريز واستنبول

طلبت من البطريرك التوجه إلى تبريز[١] و اسطنبول فأراد أن يعطيني توصية إلى أخي الملك نامزنيك [٢] في اسطنبول لأني لم أكن أعرف أحداً، فلعل بعض الأشغال تكون لي أو لجماعتي، ولبى الرجل لي طلبي وقال: سنرسل الآن تيلغرافا إلى تبريز

(١) كذا في الأصل، ولعل المقصود، تفليس، قاعدة قفقاسية الروسية كما يتبين أدناه من أنها مركز حكم روسي، ومن قول قس الأرمن للمؤلف عند قدومه منها إلى باطوم، سمعنا عن أعمالك التي أجريتها في قفقاسية...، أدناه ص ٢٥، وقد أبقيت، تبريز، فيما يلي كما وردت في الأصل ووضعت بجانبها (تفليس) بين حاصرتين

(٢) لقب روسي (namestnik) معناه نائب القيصر أو القائمقامه

(تفليس) وإلى اسطنبول في ذلك، ثم أعطاني ورقة عليها صورة دير أجميازين وكانت تلك الصورة مباركة بحيث أن كل من يراها من جماعة الأرمن سيقبلها فتقضى أشغاله مهما كانت، وبعد ذلك دار القساوس والرهبان الموجودون معنا هناك و زرنا جميع الأماكن المقدسة هناك ومحل الميرون الذي هو قدر من ذهب والمجوهرات والذخائر التي أنعم أنها بالحقيقة محل سلطنة وملوكية، كما أنجزنا جميع أشغالنا وترتيب المدارس إلى غير ذلك وبقينا ستة أيام واطلعنا على المكتب وأهديناه خمس ليرات، ثم رأيت على غطاء قدر الميرون شكل طاووس الذي نوقره نحن الأيزيدية فقبلته مثلما أقبل طاووسنا ووضعت أمامه عشرين ماناط هدية، وبعد ذلك طلبنا الإذن من البطريرك ومن الجماعة الموجودين هناك للخروج والمغادرة وتوجهنا إلى قرس ومن قرس ركبنا القطار (الشمندفير) [١]

مقبلة ملك قفقازيا في تبريز، والاعتراف بالديانة الأيزيدية في قفقازيا

توجهنا إلى تبريز (تفليس) ونزلنا في محل صاطونيان أوبسكوبوس [٢] وكان معي اثنان من أكابر الأيزيدية وقبل نزولنا من القطار استقبلنا قسيسان من طرف الأوبوسكبوس وأخذانا بكل إكرام إلى محل الأبوسكبوس، وهناك أخلوا لنا الدير وسألني الأبوسكبوس فيما إن كانت هنالك حاجة لي عند نامزدين[٣] و أشار إلي: إنه أخو الملك ومهما تطلب وتحتاج سيلبّ لك طلبك. فأخبرته بأني رئيس وشيخ وأمير الأيزيدية وجماعة الأيزيدية الموجودين في بلاد روسيا، إلا أن الحكومة لم تكن تعرفهم، كانت تحسبهم أكراد فقط وتعاملهم كما تعامل المسلمين بينما تخالف ديانتنا ديانة الإسلام. فأوصيت أخا الملك بأن يرعاهم ويهتم بأمورهم ويحافظ على هذه الجماعة القليلة

(١) تحريف Chemin de fer الإفرنجية، تسربت إلى اللغه العامية في العراق.

(٢) Episcopus أي المطران

(٣) لعل هذا هو نامزنيك نفسه المذكور أعلاه، والظاهر أن المؤلف لم يكن مدققاً في تأدية الأسماء الغريبة بالألفاظ العربية.

ويحميها من أي اعتداء أو تجاوز على كرامتها ووجودها وأرواح أبنائها، قلت له : هذا ما أريد إن كانت هنالك لطلبي استجابة. وعلى الفور أعطى خبراً إلى السكرتير الذي كان عند الملك فجاء الجواب برخصة وفرصة في نهارغد لأن يقابل الملك، كما أعطى الأبوسكوبوس خبراً بذلك إلى جميع أكابر الأرمن، واجتمع معهم في تلك الليلة وكانوا نحو اثني عشر رجلاً، أقاموا نقاشاً وحديثاً في كيفية أخذي إلى الملك. وبعد أن شربنا المشروبات الفاخرة وتناولنا الأطعمة اللذيذة جلسنا فكتبوا ورقة بعد أن نقحوها خمس مرات وبالسادسة رتبوا بنودها ومحتواها ترتيباً جيداً وكانت موثقة باللسان الروسي، حيث أشاروا إلي أن أتقدم بها و أدعو للملك بالسعد والنصر وأن يطوي الله سيف روسيا حتى يأتي إلى جبل سنجار، لأن في ذلك حماية كبيرة للأيزيدية من المسلمين الذين يرزحون تحت رحمتهم. وفي الصباح حسب أمر الملك الساعة الثالثة ركبنا عربية مع المطران في بايتون فآخر برفقة جماعة من أكابر الأرمن بست عربات إلى قصر الملك، حيث حضر معنا بعض جماعة الأيزيدية الموجودين هناك، وقبل دخولنا الدار خرج لاستقبالنا صهر الملك "ياورة" ورجل آخر واصطحبانا إلى داخل القصر وأصعدانا إلى حيث مكان الاستقبال، فدخلنا غرفة مربعة ومدورة ومبسوطة بحجر شيح كهرب من الأصفر والأحمر واللازوردي وغير ذلك من الألوان وهكذا الحيطان والسقف وفي وسط الغرفة خوان عليه من أنواع المجوهرات والأنتيكات مالا يحصى، شيء يبهر العقول وحول ذلك الخوان كراسٍ، فجلسنا ريثما حضرت الملكة مع خمس بنات وسلمن علينا بهز الأيدي وقدمن لنا في بادئ الأمر السكاكر ثم الشاي مع البسكويت، وحدثتني الملكة أن هؤلاء البنات هن بناتها وبنات أختها وأقاربها وطلبت مني أن أدعو لهن بالخير فعسى الله يرأف بهن ويسورهن برعايته، وبعد أن مكثنا قدر عشر دقائق، طرقت الملكة بباب تلك الغرفة وانفتح في الحال خمسة أبواب وكل ابنة نزلت من باب وأغلقت الأبواب.

بعد ذلك حضر الملك الذي يقارب خمساً وخمسين سنة من العمر، يتقلد سيفاً مذهباً ورأسه مكشوف وحالما رأيناه تقدمنا لاستقباله وأخذنا يده، وبعد أن جلس سألنا عن أحوالنا وديانتنا فأجبناه لا فرق كبير بيننا وبين المسيحيين وهكذا نحب أن تجعلونا فرقة من فرق المسيحيين فأجابني: نحن إلى الآن ماكنا لنعرف أن هناك ملة

أيزيدية ولانعرف شيئاً عن هذا الديانة الأيزيدية، فقط كنا نعرف أن هذه الملة تتبع الأكراد، والآن قد عرفنا أن لهذي الجماعة مذهبها المخالف للأكراد و المسلمين، فإذا أردت أن تبقى عندنا في قفقاسية فنحن نعطيك معاشاً ونجعلك قاض لجماعة الأيزيدية، فشكرته على حسن التفاتته ولطفه، وقلت له : أشكر إنعامكم ولطفكم لكن يوجد في بلادي من هو أكبر مني ولي بعض الأشغال في اسطنبول، لكن بعد أن أنهي أعمالي في اسطنبول وألتقي بابن عمي الذي هو أكبر مني وأنتهي من أشغالي هناك سأتمكن من الحضور إلى هنا، وعبرت عن امتناني الكبير وأعلمتهم بأني سألبي لهم كل ما يريدونه مني وأني مستعد لفعل كل ما يحتاجونه مني، شريطة أن يعتبروا ديانة الأيزيدية ديانة رسمية ويحافظوا على حقوق أبنائها كما يحافظون على بقية الطوائف. وعلى الفورکتب الأوامر إلى جميع الأقضية والولايات في قفقاسية وغيرها من الأماكن أن يقبلوا ديانة ومذهب الأيزيدية مذهبا رسمياً وأن يحموا أبناءها ويحيطوا الجماعة الأيزيدية الرعاية والاهتمام. ثم سألني هل يوجد في هذا البلد من الأيزيدية؟ أجبت : اعتقد ذلك، فأجرى اتصالاً هاتفياً إلى جميع نقاط الشرطة وسألهم عن عدد الإيزيديين الموجودين في المدينة، وطلب حضورهم عنده في غضون ساعة. بعد ساعة حضر نحو مئتين وسبعين أيزيدياً، كانوا يشتغلون في المدينة جميعهم بين حمال وخادم وسايس وغير ذلك [1] فأوقفهم جميعاً ووضع لي كرسياً والتقط لي صورة بينهم أربع مرات، وقال هذه الصور أريد أن أرسلها إلى أخي الأكبر نيقولا في بطرسبورج وأفيده بأن هذه جماعة الأيزيدية وهذا شيخهم وكبيرهم قد آتى من بلاد تركيا وأننا لم نكن نعرف عن هذه الملة الأيزيدية أوعن مذهبها شيئا، وأننا بحضور

(١) يصف الاستاذ Jackson حالة الأيزيديين الاجتماعية في قفقاسية يقولة:

As to their social status I was infoomed that the Yezidis around Tiflisand and Erivan occupy an inferior position ; and I understand that the same is true elsewhere : their

Occupations at Tiflis are largely menial، as they are employed chiefly in drudgery work and as scavengers ; Persia Past and Present.(نيويورك، ١٩٠٦) ص ١٤

هذا الشيخ وأمير الأيزيدية قد اعتبرنا مذهبهم مذهباً رسمياً في البلاد. فشكرت الملك على ذلك واستئذناه للخروج ورجعنا مع البطريرك وأثناء عودتنا من قصر الملك إلى البطريرك رأينا خانة، وكان الناس محتشدين على جانبي الطريق فقد صار لجماعة الأيزيدية في تلك المدينة اعتبار ومنزلة كبيرة، وعند وصولنا البطريرك خانة شاهدنا جم غفير على الباب لأجل مشاهدتنا، وحضر جماعة الأيزيدية وطلبوا زيارتي فأمر المطران بأن يفرغ الديوان خانة وأجلسني في صدر الغرفة على كرسي كبير رسمي وأوقف رجلين على الباب وصار الإيزيديون يدخلون اثنين اثنين لزيارتي، وفرشوا منديلاً أمامي على منصة وكان أي شخص يحضر يقبل يدي ويضع دراهم إكرامية ويقولون: حمداً وشكراً لله الذي أنارنا بوجود ملكنا اليوم في هذه المدينة خصوصاً بزيارتكم الملك، قد ارتفع رأسنا و أصبحنا نعد أنفسنا من الأشراف وكان المبلغ المجموع من قبل هؤلاء الناس الفقراء نحو أربعين ليرة من الذهب.

زيارة رئيس الأرمن في الباطوم

ومن هناك أرسل المطران تيلغرافاً إلى باطوم رئيس الأرمن أكوب أفندي قازريان بأن أمير الأيزيدية متوجه إليهم ويجب أن يستقبلوه، انطلقنا على سكة الحديد بعد أن بقينا أربعة أيام في تبريز (تفليس) ثم توجهنا إلى باطوم، حيث استقبلنا أكوب أفندي مع مدامه(زوجته) وأدخلونا دارهم معززين مكرمين، وهناك زرنا قسيس الأرمن صحبة أكوب أفندي و قال القسيس سمعنا عن أعمالك التي أجريتها في قفقاسية ونحن شاكرون لك صنيعك للغاية، ثم أهداني زجاجة تشبه شجرة القطن لها من جوانبها ستة فناجين أحضرتها معي إلى بلادنا وأهديتها إلى راجز أفندي مدير الكمرك وأهديت القسيس سجادة تم تطريزها في قفقاسية، وبقينا في باطوم ثلاثة أيام معززين مقدرين، وفي اليوم الرابع زودنا السيد آكوب أفندي من كليجة[1] وغير ذلك من المأكول، كما نزلنا في بابور- سفينة- الماني وحينها قد أرسل أكوب أفندي

(١) فارسية وهي نوع من كعك يصنع خاصة في الاعياد والمواسم

التيلغراف إلى بطريرك خانة الأرمن في اسطنبول وضمنه وصياه، وأبلغه فيه بأن أمير الأيزيدية كان في بلاده وسيتوجه إليهم فليستقبلوه في اليوم الفلاني ويحسنوه استضافته. وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر شباط دخلت اسطنبول وقبل وصولنا إلى اسطنبول دخلنا على صامصوم ونزلنا في بيت قسيس الأرمن هناك ثم تناولنا الغداء وبعد أن أخذ رسمي رجعنا إلى البابور وثم مررنا على طرابزان ونزلنا فيها لبعض الوقت وأخذ رسمي حتى توجهنا إلى اسطنبول. ولما وصلت هذه المدينة العظيمة في نهارٍ ممطرٍ بغزارة بشدة لم أكن أعرف أحداً ليدلني على مكان الأرمن، وبينما أفكر بذلك وإذ بقسيسين يسألان عني، من القبطان ؟ ومن الناس في المركب ؟ وهل يوجد هنا شيخ الأيزيدية ؟ ثم أقبل علي رجل يرتدي عقالاً و قبض علي من كتفي وسألني هل أنت أيزيدي فأجبته : نعم. فقال هذان القسيسان يسألان عنك فتقدما نحوي وأخبراني أنهما مُرسلان من قبل بطريرك الأرمن لأخذي إلى المكان المناسب لاستقبالي؛ وكان معي سبع فردات كواني (أكياس كبيرة) مختومات داخلها سجادات وغيرذلك من أشياء أحضرتها معي من روسيا وكانت إرادة مأمور الكمرك أن يدخل هذه الأغراض إلى الكمرك وأشار القسين إلي أن أبقيها فيه وسنأتي بها فيما بعد، وتوجهت مع القسيسين إلى البطريرك خانة صباحاً فأرسل ورقة رسمية إلى مدير الكمرك يخبره فيها بأن تلك الأغراض هي مفروشات خاصة بالشيخ الأيزيدي، ولأنه رجل روحاني فلا تقربوا أشياءه الخاصة ولا تأخذوا منه شيئاً. وهكذا أعادوها إلي، وماخسرت سوى خمسة غروش حق بول pul.

يطلب من البطريك الأرمني إعادة النواشين التي سرقها الفريق عمر وهبي باشا ١٨٩٢م

وبعد ذلك عرضت على البطريرك أزمليان أن أقدم عندما كان في الموصل الفريق عمر باشا الذي قام بالتعدي على الأيزيدية وأراد أن يجعلهم مسلمين بالإجبار والإكراه

[1] وتعدوا على مكان الشيخ عادي الذي كان مركز العبادة الخاصَة بالأيزيدية، وجعله المسلمون مكاناً للشيوخ، ثم وجعلوه مدرسة [2] وأخذوا نواشين [3]عبادتنا، والآن هم محبوسون في بغداد فإذا أمكن أن تقفوا إلى جانبنا و تمدوا لنا يد المساعدة لتوطيد العدالة وحرية المعتقد والإيمان بالأديان، فأجابني بأن آتيه نهار غدٍ حيث يكون مراد باشا بو باقجان وبهرم باشا فالأول من مجلس المبعوثين والثاني مابين، و في الصباح أحضر البطريرك أربعة أشخاص من المبعوثين والما بين وبين لهم ماعمله الفريق عمر باشا مع الأيزيدية، فكتبوا لي ورقة عرضحال وقالوا نحن لا نستطيع أن نساعدك ظاهرياً لكننا سنساعدك سراً.

مقابلة الصدر الأعظم لإعادة النياشين والمقدسات الايزيدية

أخذت الورقة التي كتبها البطريك وتوجهت بها إلى الصدر الأعظم وقدمتها وجلست في غرفة الدور، أعني المسافر خانة (غرفة الآنتظار) وأرسلت كارت إلى الصدر الأعظم مع ياوره وكان يجلس في تلك الغرفة عدد من الوزراء والولاة ينتظرون مقابلة الصدر الأعظم فجلست معهم وأحضروا لنا الشاي والسكائر والمشروبات، وبينما نحن

---

(١) سنة ١٨٩٢، وكان الفريق عمر باشا قد أرسل من اسطنبول لاجراء بضعة إصلاحات في العراق منها حمل الأيزيدية على ترك دينهم واعتناق الإسلام فلما أبى الأيزيدية أن يجحدوا دينهم نكل الفريق بهم وأعمل السيف في رقابهم وحاول أن يفرض عليهم الإسلام جبراً. راجع وصف I sya Joseph الحوادث هذا الاضطهاد الذي شهده بأم عينية (devil Worship ص ٢٠٧ -٩) وماذكرة الذي كان حينذاك فية الموصل وسمع فيها صدى تك الحوادث (six months in syrian monastery) 263 - 253

(٢) ظل الأيزيدية منفيين عن مركز عبادتهم ست عشرة سنة كان مقام الشيخ عادي آنذاك في يد المسلمين. راجع Wigram; The gradle of Man kind ص ١٠٠

(٣) المؤلف يعني بها، السناجق، والسنجق رمز لطاووس ملك يمثل ديكاً أو طاووساً من النحاس (انظر صورة السنجق المحفوظ في المتحف البريطاني في مقدمة كتاب Empsom; The Gult of the Peacock Angel

جالسون في تلك الغرفة سألني أحد الجلاس وقال : من أين أنت وماهو مذهبك فأجبته بحمده تعالى إيزيدي، فقال أنت هنا في اسطنبول والوقت مشروطية وحرية، والآن أنت تقول بحمده تعالى ايزيدي وقال لقد شهدت وكنت في الوقت الذي أمرنا فيه الفريق عمر باشا بألا يبقى اسم أيزيدي في العالم، المسلمون فقط هم من يبقون ؛ وأنتم منذ مدة وجيزة خرجتم من الإسلام.

وكان هذا الشخص هو (نوري باشا) فأجابه الثاني الذي بعد ذلك عرفت اسمه وهو سليمان نظيف باشا وقال له: لماذا تتكلم هكذا أما من عدالة وحرية في الأديان؟ أما يوجد بالهند أكثر من سبعين ملة من الوثنيين ؟ هل يعارضهم الإنكليزعلى ديانتهم؟ فلماذا تعارض هؤلاء؟ ليكونوا ما شاؤوا. ثم سألتهم عن الفريق عمر باشا هل موجود الآن؟ أجابوا بأن الله قد انتقم منه، وأن ابنه ياسين باشا قد توفي وهو عمي وقد حظي باهإنة عظيمة وانتقم الله منه أيضاً. وبعد خمس دقائق أتى الياور وقال: الصدر الأعظم يدعوك. ولما دخلت على الصدر الأعظم كنت لابساً قامة (خنجراً طويلاً مستقيماً ذا حدين) مفضضاً على صدري ظاهراً، فحالما رآني قام لاستقبالي وأجلسني بجانبه وأمر لي بسيكارة وقهوة وسألني : أأنت شيخ الأيزيدية؟ فأجبته: نعم. فسألني كيف حالكم وحال حكومتكم فأجبته: الحمد لله بخير ومضيت بحمده تعالى ونعمته وعدالته، ثم قدمت له العريضة - العرضحال — وقلت في السنة التي كان الفريق فيها عمر باشا على رأس الموصل كان قد أخذ محل العبادة والتكية التي هي لنا ولآبائنا وأجدادنا، وهي محل الشيخ عادي وأخذ جميع المعابد في الأماكن المقدسة خاصتنا. فأجابني نعم إن الفريق كان قد قام بالتعدي عليكم والتسلط ولدي علم بجميع هذه المسائل وغيرها مما ليس لديك أدنى فكرة عنها، إن شاء الله كل مطالبك سوف تتحقق وتأخذون حقوقكم بمساعدة الحكومة، وعلى الفور شرح على العرضحال وحوله على مجلس المبعوثين وتوجهت إلى دائرة المجلس وهناك صادفت داود أفندي يوسفاني فسألني : ما الذي أتى بك إلى هنا؟ فأجبته قد حضرت لأجل المسألة التي كان قد أجراها الفريق معنا وعلى الأماكن والمعابد والنواشين التي اغتصبها منا الفريق بذلك الوقت، فأجابني لاتفكر أو تقلق، إن شاء الله سنساعدك بما تناله يدنا فسألت داود أفندي عن غرفة الرئيس فأشار لي على غرفة وقال هذه هي

وتوجه إلى عمله، بينما دخلتُ غرفة الرئيس ولم يكن حاضراً لكن السكرتير خاصته احترمني وأكرمني وأمر لي بسيكارة وشاي وقال إن الرئيس في الجلسة الآن، وبعد أن انتهت الجلسة حضر الرئيس فقمت لاستقباله وسلمت عليه وسلمته العرضحال فسألني هل أنت من أمراء الأيزيدية؟ فأجبت نعم وكان مبعوث أزمير رجلاً رومياً واسمه أرسليدي باشا وسألني ما صلة قرابتك بعلي بك ؟ فقلت: ابن عمي وهو رجل أختي فقال: أنا الذي سعيت بإخلاص ووفاء لأجل علي بك وأنا كنت ذلك اليوم في المابين وذهبت إلى سيوان لأجل الراحة واستنشاق الهواء، وهناك صادفت علي بك و بذلت جهدي [1] و هذه المسألة إن شاء الله سنجد لها الحل وسيتحقق كل ما تريده، وهذا الوقت مُواتٍ وجيد لهذه المسألة، وأخبرني بأنه عليَّ أن أحضر في كل يوم اثنين وخميس لأتفرج على المبعوثين وحوادثهم وأعطاني كارت من يده وشرح لي بأن شيخ الأيزيدية مرخص ومتاح له أن يحضرجلسات بدون مانع.

قرار مجلس الصدر الأعظم الاعتراف بالديانة الأيزيدية وإعادة النياشين

وهكذا بعد ثمانية أيام أصدر المجلس قراراً بأن الديانة الأيزيدية يجب أن تعامل حسب القوانين وأن تعطى لهم الحرية وتعاد لهم نواشينهم وقابلني آرسردي باشا وقال : إن مسألتك قد انتهت وتحولت إلى مجلس أنجمان اطلبها من هناك، فتوجهت إلى مجلس أنجمان وهناك استلمت الورقة مصدقة ومحولة إلى شيخ المسلمين، فتوجهت إلى بيت شيخ المسلمين نهار الجمعة وقابلته في داره وعندما رآني احتفى بي وطلب مني الجلوس وأعطاني سيكارة وقهوة وسألني عن جبل سنجار لم وضعه مستعصٍ ولماذا يقتل المسلمون الناس فيه، فأجبت نعم إن جبل سنجار عاص وأما بالنسبة للقتل فيه فإنه يجري منذ حضر الفريق عمر باشا إلى الموصل وأخذ منا معابدنا والأماكن

(١) عندما اضطهد الفريق عمر باشا الأيزيدية وحاول أن يحملهم على اعتناق الدين الإسلامي جحد البعض منهم دينهم ورضخوا للسلطة ولكن أميرهم علي بك ظل ثابتا على مبدئه رغم كل ماقاساه من التعذيب والسجن في سبيله فخاف الأتراك أن يكون قدوة لأفراد شعبه فنفوه إلى تركيا.

المقدسة خاصتنا وقتل الكثير؛ لهذا فقد عصى أهل جبل سنجار وقالوا مادامت الحكومة عملت بنا ذلك واضطهدتنا فإننا سنسكن الشقايق[1] والمغارات ونستمر بالعصيان إلى أن تقضي أمور وشؤون حياتنا وتُنصَف،، فأجابني: هذا حق، والفعل إن عمر باشا كان قد تعدى عليكم وسلبكم حقوقكم وهدد وجودكم وأمانكم، ولذلك علينا أن نمنحكم الحرية والأمن والأمان ثم صادق على العرضحال بقناعة تامة وتعاطف كبير واضح، ووعدني أن يساعدني عند الصدر الأعظم الذي بدوره وعدني بالدعم والمؤازرة وطلب مني أن آتيه بالورقة بعد سبعة أيام وأتلقى تصريحاته وأوامره، وقال أنه قد استخبر من بغداد عما يخص نواشين معبوداتنا وأنها موجودة في بغداد، وأبلغني بأنه عند حضوري بعد سبعة أيام يستلم الأوامر اللازمة وأذهب إلى الموصل ومن هناك سأحصل على مرادي، ثم جئت إلى محلي وأعطيت تيلغرافاً لعلي بك يحتوي على ستين كلمة وقلت له: لقد أتيت إلى هنا أطلب النواشين راجياً أن أحصل على مرادي وأريد أن تساعدني بكل ما أوتيت من مقدرة، وأعطت الصدارة تيلغرافاً من اسطنبول إلى ولاية الموصل وسألت من هو رئيس الأيزيدية، فإسماعيل بك من بيت أمير الشيخان كان قد طلب معابد الأيزيدية والصدارة والمبعوثان مع شيخ الإسلام صادقوا على طلبه.

والي الموصل يتشاور مع علي بك ودرويش شيخكي حول مسألة تسليم النياشين:

أرسل والي الموصل على درويش شيخكي وعلي بك وسألهم قائلاً : ورد لي تعريف من اسطنبول هل لكم شخص اسمه إسماعيل بك يطالب بهذه النواشين وهذه بشارة مفرحة لكم فأجابه درويش شيخكي وعلي بك بعد يومين نعطيك الإجابة. وبما أن ختوم أكابر الأيزيدية كانت عند شيخكي وهو الوكيل من طرف الملة ففكر مع علي بك وقالا: إذا صادقنا على ذلك نخشى أن يحضر إسماعيل بك ويأخذ النواشين باسمه ويأخذ الإمارة وتتبعه جماعة الأيزيدية فأجروا ضبطاً وختموه بختوم أكابر الأيزيدية بأن هذا إسماعيل بك بذاته، المنحدر بيت أمير الشيخان، لكنه ذهب بدون أمرنا ولاعلم لأحد من الأيزيدية به وليس لدينا خبر عنه، ولانرضى بعمله هذا.

(١) الشقيق. (الصخر العظيم المنحدر من الجبل)

وعلى الفور أعطى الوالي زكي باشا تيلغرافاً يتضمن هذا الجواب للصدارة، وبعد سبعة أيام ذهبت لأخذ الجواب من الصدارة فقابلت السكرتير فقال لي: لا حاجة لأن تقابل الصدر الأعظم فقد ورد الجواب من الموصل كذا... يجب أن تذهب إلى الموصل وتأخذ مضبطة من جماعة الأيزيدية هناك وتحضر لتأخذ الأمر، وأخبرني بأن الحكومة ومجلس المبعوثين قد صادقوا على هذا القرار، وأنه ثابت لن يلغى أبداً ومتوقف فقط على تصديق أصحاب الشأن في الموصل، وكنت قد تحولت من بطريرك خانة الأرمن إلى بالوفا أوتيل في محل المسكرجية وذهبت إلى عصمان باشا من بيت بدرخان باشا، وكان أوردي مشيري[1] في الشام وقد حضر برخصة إلى اسطنبول، وكانت والدته أيزيدية من جبل سنجار من قرية كرسي، ولما وصلت إليه أخذ يشكرني ويسألني عن الأيزيدية وعن أحوال سنجار، وأعطاني ورقة إلى عبد القادر باشا الذي كان رئيس الاعيان وقال: لعل هذا يساعدك في عملك. ثم أخذت الورقة من عصمان باشا وأتيت عبد القادر باشا وعرضت عليه حالي وقلت له: هذا ما طلبته من الصدر الأعظم، وهذا ما حققته على صعيد ديننا وفيما يخص أمور ديانتا، فأجابني: بعد ثلاثة أيام عليك أن تحضر ريثما أسأل الصدر الأعظم عن هذه المسألة، وبعد ثلاثة أيام قابلت عبد القادر باشا فأجابني: فيما يتعلق بهذه المسألة، فإنك لن تستطيع أن تأخذ الأمر ما لم تحضر مضبطة من الأيزيدية من هناك، وكان مجلسه يمتلئ بجميع أكابر كردستان ومن العجم فعرَّفني بهم وعرَّفهم بي، وأخبرهم بأنه يعرف والدي وعائلتي وبدأ يعدد لهم سلسلتنا وفروع العائلة وأوصالها، قال : هم من سلالة بني أمية من نسل طاهر إلى غير ذلك وأشار إلى بحديثه : لي أن أشير عليك بمشورة لله، لماذا تتعب نفسك كثيراً بهذه المسائل؟ أنت تدعي هنا شيئاً وهناك بالموصل يكذبونك إلى غير ذلك، وهذه مسألة وبلبلة طويلة لذا أقترح عليك أن تبقى عندي هنا، أدخلك سنة واحدة في المكتب وتتعلم القراءة والكتابة وسأخطب لك ابنة أحد الوزراء وأحقق لك فرصة الحصول على معاش لايقل عن الخمسين ليرة شهرياً لكن أسلم هنا، وبعد ذلك نمنحك رتبة تذهب إلى أولئك الجهلة الكلاب وتفعل بهم ماتشاء. فأجبته لست موافقاً على ذلك، ولا

(١) (فريق) قائد الجيش

راضياً من سعادتكم أن تنطقوا بهكذا كلام مع مثلي، وكان من المفترض أن تحثوا الناس على أن يتمسكوا بديانتهم وعقيدتهم، فأجاب وكأنه أحس بغلطه: أنا أعمل معك ولأجلك فلا تغضب من كلامي، وبعد أن حدثني بود وطيب خاطري وانعطف الحديث والكلام إلى موضوع آخر.. خرجت من عنده.

العودة من استنبول ورحلة مكوكية بعد الفشل في استلام النياشين

عندها تركت الشيخ وغيره واسطنبول وركبت في مركب يوناني وصلت إلى أزمير واشتريت منها ستاً وعشرين وراورا (مسدس) وكاميرا للتصوير الفوتغرافي، وتوجهت من إزمير إلى رودس ومن هناك توجهنا إلى قبرص ثم إلى طرابلس الشام و بيروت، وأتينا إلى عكا وإلى اللاذقية على ساحل البحر، و قصدنا اسكندرونة وفي تلك الليلة صارت الواقعة بنزول عبد الحميد وعزله، ونشب قتال بين الأرمن والمسلمين وبقينا عشرة أيام في اسكندرونة محاصرين لا يستطيع أحد منا أن يتحرك ولا نجرؤ على التنقل فلبثنا مكاننا، حتى صادفت رجلين ألمانيين كانا قد استأجرا عربة بايتون، فانضممت إليهما وأتيت معهما إلى حلب إلى قرية اسمها قطمة بين اسكندرونة وحلب فيها أيزيدية.

مكثت شهراً في قرية قطمة

قضيت شهراً بين أيزيدية قطمة (بين اسكندرونة وحلب) وجدت فيه أن أمور ديانتهم قد فسدت، كانوا أيزيديين بالاسم فقط، فاجتهدت كثيراً كي أصلح أمرهم وسيرهم، لكني لم أتمكن من ذلك، فجمعت منهم عشرين ليرة وحضرت إلى حلب وبقيت ستة أيام تقريباً ثم اتخذت عربة إلى ديار بكر، فأخذوا (المسدسات) في باب الفرج في حلب والعربة بما فيها التي كنت مستعداً للسفربها، وكانت ورقة رخصة الورور وبقيت في اسكندرونة فطالبني الوالي بها ولذلك توجهت مرة أخرى إلى اسكندرونة لأحضرها وقمت بتسليمها للوالي، الذي أعطاني المسدسات إلا أنه سرق منها

اثنين مع ثلاثمائة خرطوشة، فحملت المال الذي كان معي ووصلت إلى ديار بكر حيث مكثت فيها يومين إلى أن وجدت كلك [1]مع عرشة[2]، حيث بعت المسدسات هناك و صارت العرشة بليرتين ونصف وهي مثل الغرفة على الكلك.

المشاركة مع حفيد الأمير الأعور الرواندوزي

سليمان بك حفيد كور باشا راوندوزي كان آتياً من المنفى في الحجاز فاشترك معي بالكلك ورافقنا أيضا محمد بك الأطرش وكان أيضا آتياً من المنفى وهو من شاخي أصلا بوتان، حيث ركب معنا وتوجهنا معاً قاصدين الموصل، ولكونهما كانا للتو قادمين من المنفى ولا يمتلكان المال للإنفاق في الطريق فقد قمت بالصرف عليهما وبتنا نأكل ونشرب سوية، ثم سرنا بالكلك إلى حاوي زمار لمدة ثلاثة عشر يوماً لأن الماء كان يوشك أن ينفذ، وقد حملت الفونوغراف وكنت على امتداد الطريق أنصبه على الكلك فنستأنس به.

وبوصولنا إلى الجزيرة نزل محمد بك الأطرش متوجهاً إلى أهله وسليمان بك حضر معي إلى زمار أما أنا فقد بقيت عند الأيزيدية في سميل وفي تلك النواحي، وأهديت العرشة إلى سليمان بك الذي توجه بها إلى الموصل، بينما نزلت في قرية خانك.

بالاتفاق مع الأيزيدية قدمنا شكوى ضد الأمير علي بك

نزلت في قرية خانك في بيت (حيدر آغا رشو) وهناك اجتمع عندي الأيزيدية الذين كانوا في تلك الأطراف وقالوا: نحن سمعنا بتوجهك إلى اسطنبول ومطالبتك

(١) تركية بمعنى الطوف أو الرمث وهو نوع من السطح الطائف على وجه المياه مركب من قرب منفوخة مشدود بعضها إلى بعض. وهو كثير الاستعمال على دجلة والفرات بنوع خاص منذ أقدم الأزمنة لنقل الركاب والأحمال

(٢) سطح المركب أو ظهره وما يُبنى عليه

بالنواشين وبمحل الشيخ عادي وغير ذلك، فرددت: نعم هذا ما حدث سعيت جاهداً لاستعادة ما سُلبناه حتى حصلت على الأوامر بتحصيل النواشين والحصول على الحقوق الأيزيدية، وكان علي بك وعلي درويش شيخكي متواجدَين هنا، وصار الأيزيدية يتوافدون من القوش إلى قرية خانك ويقفون إلى جانبي وفي صفي فقاوموا علي بك بهذا الخصوص، وحتى المنتشرون على أطراف دهوك وزاخو كانوا معي ويساندونني. ومن هناك بمشورة الجماعة المتفقين معي أتيت إلى الموصل و قدمت شكوى ضد (علي بك) عند والي الموصل و أركان حرب الذي كان في ذلك الوقت (رشيد بك الخوجة)[1] وهو رجل بغدادي ويعدُ الآن أحد النواب في بغداد، وقد اتهمت علي بك بأنه في كل سنة يأخذ من الأيزيدية نحو أربعة آلاف ليرة ذهب بدل أداء الخدمة العسكرية الأيزيدية، فما شأن صندوق الحكومة، هي مدة ثماني سنوات وقد اطلع رشيد بك على الدفتر لكنه وجد أنه لم يصل الحكومة من هذا المبلغ أي شيء من العشرين ألف ليرة، وعلى هذا أحضرت علي بك ودرويش شيخكي إلى المحاكمة وبعد أن خسروا نحو ألف وتسعمائة ليرة أبطلت عنهم السلطة على أن يجمعوا شيئاً من الأيزيدية بهذا الخصوص عوض عملهم معي حين كنت في اسطنبول، كما أدرك الأيزيدية فيما بعد أن علي بك ودرويش شيخكي قد قاما بهذه الخيانة فامتنعوا عن دفع أي شيء إلى علي بك.

السكن والزواج في قرية ختارة

عدت وسكنت في قرية كري بهن القريبة من دهوك، وكان فيها قصر سكنت به وبعد مدة غضب أحد بيوت حتارة التي كانت مائة وخمسين بيتاً من علي بك كان علي بك الذي كان قد حرمهم حقوقهم، و طلب منهم بدلات عسكرية بينما يعلمون بأنه متفق مع درويش شيخكي وأخبروه بذلك، واتفاقهما كان يجري على أخذ دراهم

(١) أحد رجال الحرب والإدارة البارزين في العراق. تقلب في أعلى المناصب الإدارية كإدارة المعارف العامة ووزارة الدفاع وعرفتة سوريا قنصلاً عاماً سنة ١٩٣١- ١٩٣٢

الناس وإعطاء الحكومة نسبة قليلة جداً منها، وبذلك يهضمان المال وينفقانه على أنفسهما ويخدعان الناس الأمر الذي أثار تذمرهم وانزاعجهم، وعلى الفور أحضروا الطبل والزرناية (البوق) وأتوني وكانوا قرابة خمسين رجلاً وأخذوني إلى عندهم على إيقاع الموسيقى والطبل وابتهالات الفرح، وأخلوا لي قصراً لأقيم فيه وجمعوا لي المساعدات لأتمكن من الصرف والإنفاق، وصار الخبر عند من كنت بينهم في حتارة أن أختي ميان خاتون ونورة خاتون قد أقنعتا عمشة خاتون ابنة حمزة بك لتكون لي امرأة وزوجة، و كان آنذاك علي بك في الموصل فأرسلت ميان خاتون خبراً ليحضر خمسة خيالة ويأخذوا الابنة عمشة، في سنة ألف وتسعمائة واثني عشر حيث كان الجو بارداً جداً، والثلج يغطي الأرض بكثافة و نهر الموصل على وشك أن يتجمد ماؤه، وفي اليوم الثالث عشر من شهر شباط ليلة صوم خضر الياس، أرسلت خمسة خيالة من حتارة إلى باعذرى والمسافة بيننا قدر ست ساعات سفراً حيث توجه الخيالة وانتظروا بالبستان إلى أن طلعت عمشة وأخذوها وأحضروها إلي، ولشدة فرحهم أخذوا يقرعون الطبول والزراني لمدة سبعة أيام مع الذبائح. حين سمع علي بك وحسين بك أخو عمشة بذلك انزعجا وغضبا ولكن لم يكن بوسعهما أن يفعلا شيئاً.

الجولة الثانية إلى المناطق الأيزيدية في الشمال

في الخامس عشر من شهر آذار من تلك السنة خرجت من ختارة قاصداً جبل الطور، فكرت في أنه لكوني قد تزوجت فإني سأحتاج الكثير من المصاريف، ولذلك اصطحبت أربعة رجال من ختارة وتوجهنا إلى جبل الطور لأجمع شيئاً من هناك، وبتنا أول ليلة في مشرفة ومن هناك توجهنا إلى أبي وجنة، وكان هناك جماعة أيزيدية من تل الهوى نزلنا عندهم ثم قصدنا عشيرة الميران[1] ونزلنا في بيت حسو آغا رسبي، آغا عشيرة كوجر الميران، وكان له أربعة بنين كبار وقد ولدت زوجة ابنه

(١) قبيلة أو بالأحرى مجموعة قبائل كردية تنقل بين الأراضي التركية والعراقية. راجع طه الهاشمي، مفصل جغرافية العراق (بغداد، ١٩٣٠) ص ٤٤٣

الكبير في ليلة نزولي عندهم في تلك الليلة ورزق ولداً، ولذلك لم يتركنا حسو آغا نغادر وقال: دخولك صارعلينا بركة، ثم هموا بذبح الذبائح، واتخذوا للمولود اسمي "إسماعيل" تبركاً بي. ومن هناك ركبنا وأتينا إلى تل رميلة وكانت عشيرة دوديري قد نزلت في ذلك المكان، فحللنا في (بيت) سليمان آغا وفي الصباح ألبست سليمان آغا زبوناً خلعه وركب معنا إلى قرية ديروني قرب جبل الطور حيث نزلنا في بيت محمد مرعي رئيسهم، ثم سافرنا إلى عشيرة الدهسكان وكانوا في برية نصيبين ونزلنا في بيت دودو آغا الذي أصبح قريباً سابقاً، وبعد أن استذهبنا سألتهم عن أحوال الجماعة، فقالوا: إنها ليست جيدة فالبغضاء تسودها ولامحبة تجمع القلوب وتؤلف بينها، فسألتهم عن السبب فقالوا: في قديم الزمان كنا نرزح تحت سلطة سروخان آغا وجلبي آغا وإلى الآن نبذل أرواحنا ورجالنا وجميع أموالنا ونضع كل شيء في أيديهم، نحن والمسيحيون متفقون لأجل خاطر سروخان آغا وجلبي آغا والآن صاروا يطمعون ببناتنا، فقد أخذ سروخان آغا امرأة من كبار الأيزيدية لنفسه، وهذا ما لاطاقة لنا به ولذلك أن توجهنا إلى حل صعوباتنا و تدبر أمورنا وتفيدنا بمشورتك. فأجبتهم: بما أنكم والمسيحيين والسريان الآرثوذكس متفقون، فإني أرى أن أجمعكم معاً على المواقف وأوحد كلمتكم بما ينفعكم ٦، عليكم ألا تطيعوا آغوات المسلمين وإذا كنتم والمسيحيون متفقين على الرأي والموقف والإرادة فإن الحكومة نفسها لن تتمكن من ثنيكم عن أهدافكم أو كسركم وجبلكم عصي، قال دودو آغا: يجب أن يكون لنا مندوب عند الحكومة يدافع عن حقوقنا فئلا يتعدى أحد علينا أوغير ذلك، قلت: نعم يجب أن نذهب إلى مديات وهناك نقابل كلي أفندي هرمز وحنا أفندي سفر[١] ونوكلهم بأموركم وهؤلاء بدورهم يراجعون الحكومة بكل شيء. وفي الصباح جمعنا واحد والتقينا ورايتي وواربو وباسبرينا وعين ورد[٢] وغيرهم مع القساوسة وعملنا معهم

(١) من وجهاء المسيحيين في مديات. كان حنا سفر كبير السريان اليعاقبة فيها. راجع القصارى في نكبات المسيحيين بقلم شاهد عيان ص٢٩٧

(٢) راجع في شأن مواقع هذه الأماكن وغيرها المذكورة أدناه خريطة جبل الطور التي رسمها القس Anderus في كتاب Parry ; S ixMonthsin Syrian M onastery مقابل ص١٦٩ أو

اتفاق وجعلت علي بطي آغا بديلاً عن سرحان وجلبي وألبسته خلعة زبون أطلس من عندي وما كان اسم لعلي بطي لأنه كان لايزال ولداً، ومن ذلك اليوم اشتهر علي بطي لأنه وهو أيضاً من بيت سروخان، وقد نلت من جماعة اليزيدية قرابة مائة وخمسين دابة غنماً وأربعين ليرة ذهبية. ومن هناك زرنا دير العمر مع جماعة اليزيدية بضرب الرصاص واحتفال شيق ودخلنا بالعز والشرف إلى ديرالعمر، ثم أتينا قرية مزيزخ و نزلنا في بيت صومي آغا وهو من السريان الأرثوذوكس، وفي هذه القرية يسكن جلبي آغا، ثم أرسلنا خبراً إلى كلي هرمز كي يستعد لحضورنا عنده وصباحاً توجهنا إلى مديات مع سبعين خيالاً على ضرب الرصاص مع القساوسة ورؤساء المسيحيين ودخلنا في بيت كلي هرمز، وهناك حضر بيننا حنا أفندي سفر وابنه واسكندر أفندي وابن عمه صومي أفندي، ولما بيَّنا لهم سبب قدومنا أجابوا بأنهم شاكرون لنا ذلك، وأخبرونا بأنهم منذ البداية يحافظون على الأيزيدية لكنهم من الآن فصاعداً سيحافظون عليهم كما يحافظون على أرواحهم تماماً. فقلت لهم بما أنني أمير الأيزيدية فأنا أعطي وكالة من طرفي على الأيزيدية الموجودين في هذه الأطراف بأن يراجعوكم بكل أمورهم من طرف الحكومة حتى تحافظوا عليهم وتصونوهم كما تحافظون على بيوتكم وجماعتكم، فاستجابوا لذلك مع الشكر.

ولما رأى سرحان آغا وجلبي آغا هذا الاتفاق عملوا معي مضبطة وصادق عليها مدير ناحية أحباب ومدير ناحية كربوران ومدير ناحية عين كاف وقائمقام مديات، وأخبروا والي ديار بكر بأن إسماعيل بك الذي حضر من روسيا يتقصد أن يقيم اتفاقاً بين الأيزيدية والمسيحيين ويحرضهم على عصيان حكومة تركيا. وبينما أنا مع الجماعة في بيت كلي أفندي هرمز وليس لدي أي علم أو خبر بما فسروه من تأويل لسعيي في الأمور، أتاني نوري أفندي مركز قومندان ومعه قومسير ونحن على الغداء، وسلما علينا وجلسا بجانبي وسألني نوري أفندي: أأنت اسماعيل بك أمير الأيزيدية؟ قلت: نعم. فقال: إن القائمقام يطلب أن يراك في الدائرة في القشلة، فهممت لرؤيته

الخريطة ٢٥ Mardinمن مجموعة Eastern Turkey in Asia التي أعدها قسم الاستخبارات بوزارة الحربية الإنكليزية (سنة ١٩٠٣_١٩١٥)

ورافقني أخو كلي أفندي هرمز واسكندر أفندي ابن حنا أفندي في السفر إلى دائرة القائمقام، ودخلنا عليه معتزين واثقين، وقدم لنا السكائر والقهوة وبعد المحادثة سألني: من أي البلاد أنت؟ أجبته : أنا من منطقة الشيخان من أطراف الموصل من أمراء الأيزيدية. وفي كل كم سنة نحضر لزيارة جماعتنا، وكان القائمقام رجلاً سورياً وكان القاضي حاضراً معه حيث سألاني عن عبادتنا وديانتنا ونكاحنا وكنت أجيبهم عن كل استفسار، كما سألوني إلى أي ملة تميلون أكثر أ للاسلام أم للنصارى؟ فأجبتهم: إن المسلمين أصدقاؤنا ومحبون لنا لكن المسيحيين لا يتعرضون لديانتنا ولا إلى إعراضنا ولهذا نحن نميل إلى المسيحيين، وقد حضرت الآن مع الجماعة لأقيم معهم اتفاقاً ومحبةً، أوكلت بالنيابة عني حنا أفندي سفر وكلي أفندي هرمز بجميع الأمور التي تحدث بين الأيزيدية، ليراجعا الحكومة بذلك ويراجعهم الأيزيدية أيضا بجميع أمورهم ومشكلاتهم، كيلا يتعرضوا للقتل والسرقة والاعتداء، وغير ذلك من أعمال الفساد، وأكدت عليهم أن يكونوا مطيعين للحكومة، ولله الحمد الآن أوان العدالة والمساواة. وسألوني عن سياحتي في روسيا وفي بلاد روسيا ودخولي دير أجميازين إلى أن أتيت إلى اسطنبول، فلم أخفِ عنهم شيئاً وكان الكاتب يوثق بالكتابة كل ما كنت أقر به دون علمي بتلك التدابيرالتي أجراها علي سروخان، ولما رأى اسكندر أفندي تلك الاستنطاقات وهذا الكلام الطويل، قال: مؤسف أن تمسك الحكومة تمسك رجلاً غريباً و تستجوبه وتسأله لأربع ساعات متواصلة، بينما يجيبكم بمباشرة وبساطة وثقة وليس له علم بكل شيء، فطلبوا منه عدم التدخل والتنحي بعيداً والعودة إلى منزله. وهكذا تفرق جميع من كانوا معي واتجه كل واحد إلى محلة حتى الناس الذين كانوا معي من حتارة أيضاً رجعوا إلى قريتهم وبقيت لوحدي.

دخول السجن لمدة شهرين في ماردين وشهرين في مديات

في ذلك الوقت علمت أنني محبوس وأمروني أن أبقى تلك الليلة، وعند الغروب كان المطر شديداً والجو بارداً، رأيت خمسة عشر خيالاً من العسكر، وقد أبلغني جاويش العسكر في هذه الساعة أنه يجب عليَّ أن أركب إلى ديار بكر لأن الوالي هناك

يطلب مقابلتي فأجبته: الوقت ليل ولا أستطيع أن أمشي في هذا الجو الماطر والبرد الشديد، ولست بقاتل ولا توجد دعوى قضائية ضدي، عند الصباح أينما تريدون سأحضر معكم، فتركوني تلك الليلة ولكنهم خافوا أن يأتي الأيزيدية ويأخذونني رغماً عن إرادة الشرطة فقلت لهم: لتثقوا بي فأنا من بيت أمير الشيخان ولا يمكن أن نقطع تواصلنا مع الحكومة فلا تقلقوا بشأن ذلك أبداً، ثم بتنا تلك الليلة وصباحاً ركبت مع العسكر ووصلنا مساءً إلى معسرتي، وهناك رجع اثنا عشر خيالا وبقي ثلاثة وفي الصباح وصلنا ماردين، حيث أدخلوني في حبس النظارة وكان هناك بالحبس حاجو آغا وآغوات أومريان وآغوات ملية والخلجة وخلف آغا من المحلمية، وفي اليوم الثالث أعطوني ورقة توقيف تتضمن دعوى ضدي بأني قد أثبتُ أني أفتعل مشكلة بين الأديان والمذاهب، والتفت إلي حاجو آغا فصرت آكل معه نحو ستة أيام وفي هذه الأيام كان يوسف وأحمد آغا آغوات الأومريان يمران من أمامي ويسبان ديانتي وطاووس ملك ويقولان إن هذه الحوادث جميعها من طاووس ملك خاصتكم، وكان ذلك السباب يجري أمامي متكرراً عمداً لاستفزازي وإثارة غضبي، إلى حد أنني لم أتمالك نفسي فسببت نبيهم وقلت: بل هذا جميعه من نبيكم، فانتفضوا علي ليقتلونني، لكن حاجو آغا وخليل غزالي وعبد العزيز بن مسلط باشا ودهام ابن أخيه ساعدوني وأنقذوني وقالوا لهما: أنتما الملامان. ولولا تدخلهم لاجتمع علي جميع المحبوسين من المسلمين وأردوني قتيلاً، وفي الحال حضر بعض الشرطة الطيبين فكفوا عني وبقيت شهرين في حبس ماردين وكان عندي رجل يخدمني اسمه خلف من أهالي قرية باجني الأيزيدية قريب مديات، أرسلته إلى نايف دلف رئيس عشيرة الشوحاتية أيزيدي وساكن في سنجق مديات ونصيبين حيث أحضر لي البرغل والدهن والحنطة والجبن.

وبعد أن بقيت شهرين دعاني (أميني باشى) وقال يجب أن تذهب إلى مديات لأن أوراق محاكمتك هناك وهناك ستكون محاكمتك، وأن الشرطي الذي كان مرافقي إلى مديات أراد أن يضع كلبجة (نوع من الكعك) في يدي وحديداً في رجلي، فقلت له: إن تركتني بحريتي فأنا مستعد لأن أعطيك أربع مجيديات في مديات وأعطيك كلام شرف بأنني لن أهرب وعلى ذلك مضينا.. وأظلم علينا النهار ونحن بالبرية ورأيت حلماً أن

درويش شيخكي أمامه شجرة توت وبيده منشار ويريد أن يشقها إلى (أن) قطع وشق منها قطعة وسلمني المنشار وقال: أنا تعبت فتعال شق هذه الشجرة، وأخذت منه المنشار وصرت أشق بموضعه وهكذا انتهيت، ففي الصباح دخلت إلى حبس مديات وهناك وردني من أختي نورة خانم الخبر بأن درويش شيخكي قد مات وبدخولي الحبس طالبني بالأربع مجيديات فطردته وقلت له لن أعطيك شيئاً ومهما تريد أن تفعل فلا تقصر. ولما علمت أختي نورة أنني محبوس في مديات توجهت إلى الموصل إلى مرشان أفندي رجل أرمني وكان صديقي ومحبوبي وأفادته بحالي و حبسي بلا مبرر، وفي الحال أعطاني إفادة إلى محمد باشا الداغستاني الذي كان والياً في الموصل، كما أعطت أختي نورة أرضحالا —طلب - إفادة بهذا الخصوص، فقالوا لي محمد باشا راجع مشير بغداد سليمان نظيف باشا وسليمان نظيف باشا راجع الصدارة في اسطنبول وهكذا بقيت في حبس مديات شهرين آخرين وكرهت نفسي الحياة ؛ لأن محابيس المسلمين كلما كانوا يمرون من أمامي يسبون طاووس ملك وديانتي إلى غير ذلك من الإهانات، وفي ليلة الأربعاء صليت حسب ديانتي وطلبت من الله وطاووس ملك ومن الشيخ عادي أن يفرجوا عني هذا الضيق ونمت على هذه النية. فرأيت حلماً مفاده أنني خارج الحبس ومن حبس مديات أرى جبل سنجار ومحل زيارة شرف الدين ورأيت خيالين ورجلاً فقيراً من فقراء الأيزيدية، وعلى فرسَي الخيالين خرجان من جلد وسألت من يكون ذلك الرجل الفقير؟ فأجابني بأن هذا الذي يحمل أوراق البوسطة والبريد من محل شرف الدين إلى هنا وإلى جميع الدول، وهكذا من جميع الدول ترجع إلى محل شرف الدين لأن جميع الأمور يجب أن تصدر من محل شرف الدين فقلت له: أما تسألهم لم أنا محبوس هنا بدون سبب ؟ أما من عفوٍ لي ؟ هل سأبقى هنا بالحبس ولما سألهما أجابا: نعم وقد تم العفو عنه ونحن قد نسيناه الآن لكن في الدفعة الأخرى سنحضره معنا فلا يكون له أدنى فكر، وأفرغا الخرجين في ذلك المكان وكان محتواه أوراقاً وقاما بملئهما بالذهب والأوراق بينما أرقبهما عن بعد، وبعد مدة حضرا أيضا وبيد أحدهما ملف طويل و ورقة بيضاء وقالا: هذا العفو خاصتك فلا تخف. وصباحاً قمت من نومي مبتهجاً فرح القلب وتيقنت من أن طاووس ملك قد استجاب لي وأمدني العون والفرج، وانتظرت إلى الظهر والعصرفما أفادني

أحد بشيء، وبعد الغروب عند الساعة الواحدة بعد منتصف الليل أتى نفران من الجندرمة وقالا: أين شيخ الأيزيدية ؟ فأجاب: بأنه حاضر فقالا: فليلبس ثيابه وليستعد للحضور في بيت القائمقام فقد حضر مفتشان اثنان من اسطنبول ويريدان حضوره، فهممت للذهاب معهما على الفور وتوجهت إلى بيت القائمقام وقابلت المفتشين، أحدهما كان اسمه يوسف ضياء بك مفتش العدلية في اسطنبول الذي أمرني بالحضور أمامهم، فدخلت ووقفت بالقرب من باب الغرفة وسلمت عليهم بأدب، فقال المفتش يوسف بك: تفضل هنا فقلت: لا ياسيدي مالي حق أنا رجل محبوس لا ينبغي أن أتقدم نحو حضرتكم هذا مكاني، فقال: لا بل تعال هنا إلى جانبنا. ولما خرجت من الحبس في ذلك الليل قال جميع المحبوسين لا يوجد محاكمة الآن في الليل، لابد وأن يأخذوك لتطبيق حكم الشنق.

لكن عندما جلست بجانبهم أمر لي يوسف ضياء بك بسيكارة وقهوة وسألني: لماذا أنت متكدر ولونك متغير؟ فأجبت : كنت أظن أن في الدنيا عدالة وحرية وحق، ما كنت أعلم أن الاستبداد والتعصب الديني والرشوة والظلم أشياء ستستبد بالحياة، فقال: لاتخف الآن سأطلق سبيلك وكان المدعي العمومي خارجاً في الإيوان فأمره أن يكتب تقريراً يبتبرئتي فأجاب: نعم ولكن ألا يمكن أن نفعل ذلك صباحاً ريثما ترون الأوراق التي وجدناها عنده، فقد كانت معي محفظة فيها أوراق وكارتات وصور من الروس ومن الأرمن الفدائيين وغير ذلك، قال المفتش: هل تعطيني ضماناً بحياة هذا الرجل إلى الصباح بألا يحدث له أدنى ضرر أو مكروه؟ عند ذلك خاف وقام بكتابة نص التبرئة وطلب ثمان متليكات حق بول pul فقال لي المفتش: لاتعطه شيئاً ثم سلمني التبرئة.

أسئلة يوسف عن العقيدة الأيزيدية

فقال يوسف : استرح الآن، فأخذت أدعو له بالعز والشرف وقلت الله ينصرك من أي ملة كنت، فقال: لاتخف ليس عليك ما يدينك، وقربني منه وقال لي : أريد أن أسألك بعض الأسئلة عن ديانة الأيزيدية وأموركم، فإذا صعبت عليك الاجابة فلا

تكره نفسك عليها، فقلت: لقد أنقذت حياتي من الموت والقتل فكيف لي أن خفي عنك شيئاً، سل أي سؤال تريده و سأجيبك بما أعرفه. فقال: أنا لم أرَ حتى الآن أيزيدياً لكني كنت أسمع عن الأيزيدية، وأتمنى أن أرى أيزيدياً واحداً ولهذا أحب أن أسأل بعض الأشياء، حتى إذا ما توجهت إلى اسطنبول فإنه ينبغي عليك أن تجيبني عن كل استفسار وسؤال كي أوثقه وأطبعه ومن ثمَّ أقدمه إلى الدولة وغيرها من الأماكن، فأجبته: أشكرك كثيراً لالتفاتتك ولطفك، فسألني هل يوجد عندكم أمير اسمه علي بك فقلت: نعم وهو ابن عمي فقال هل عندكم عادة إذا تزوج أحد الأيزيدية يقوم بإحضار امرأته أول ليله لينكحها الأمير علي بك كهدية وتكون مباركة فقلت : نعم مع ضحكة، فقال : هل عندكم صنم يدخله علي بك ويحكي من داخله والجماعة يقولون هذا ربنا وإلهنا يتكلم من هنا؟ فقلت له: كان والد أبينا إبراهيم يعبد الأصنام، وأبونا إبراهيم قال: أنا لا أعبد هذا الصنم، ولما رأى النجوم والكواكب قال: هذا ربي ولما رأى القمر قال: هذا ضياؤه أشد هذا ربي ولما رأى الشمس قال: هذا أكبر ونوره أكثر شدة فأنا أعبده لكن لما أمطرت السماء واختفت الشمس تحت الغيوم قال: أنا أعبد الذي يجعل السماء تمطر والشمس تشرق ويغيبها وينمي هذه النباتات إلى غير ذلك، فنحن الأيزيدية إذا كنا نعرف هذه الحقائق كلها كيف لنا أن نصدق أن علي بك يدخل الصنم ويتكلم معنا من داخله فنقول هذا إلهنا؟!!. ومن جهة الغيرة والناموس إذا شاهدنا أو سمعنا أن أحداً من الرجال عمل شيئاً خلاف الناموس والغيرة فقتله حلال عندنا، وهكذا إذا سمعنا عن امرأة عملت ما يخل الشرف والناموس نقتلها في الحال، فكيف يليق برجالنا أن يسلموا شرفهم وناموسهم إلى أمير الأيزيدية كان من كان فرد عليه: الآن أصدق ما تقول. وكان معي كتاب عن قوانين الأيزيدية كنت قد أخذته من صومي آغا الذي كان من مزيزخ قد أحضره معه إلى الحبس في مديات وكان معه كتاب سرياني وترجمه إلى العربية وحصلت على تلك النسخة منه، قلت للمفتش أنا أهديك هذا الكتاب أرجو أن تقبله مني بصفة هدية وهذا الكتاب يتكلم عن الديانة الأيزيدية وشرائعها فأخذه مني وقرأه قليلاً وقال: أنا أشكرك للغاية لإهدائك إياي هذا الكتاب وإن شاء الله سأطبعه وأرسل لك نسخة منه. ونادى القائمقام وأمر أن يُلبَّى أيُّ شيء يطلبه ويريده إسماعيل بك. وقال لي : لقد رأيت جميع الأوراق

التي اتخذوها ضدك، قد بنوا عليك بناء كبيراً لكنه كأنما بُني على الثلج لن يساوي شيئاً، وقد ورد عفوك من اسطنبول. وهكذا في الصباح حين أراد أن يسافر لم يسلم على أحد منهم أو يودعه، سلم على إسماعيل بك فقط وأوصى به قبل مغادرته المكان. وفي نهار ذلك اليوم عزمني القائمقام عنده وودعاني في اليوم الثاني نوري أفندي وفي الثالث دعاني حنا أفندي سفر وهكذا بقيت أربعة أيام قضيتها في تلبية دعواتهم المختلفة، فلم يستطع أحد أن يلتقي بي. وكان القائمقام أرسل معي نفرين من العسكر ليرافقاني، ودرت بين جماعه الأيزيدية وجمعت إعانة من الدراهم وغيرها ثم أخذت غنمي ورجعت من هناك إلى داري في الشيخان في حتارة.

الشكوى على الأمير علي بك الثاني

من ختارة نزلت إلى الموصل وقدمت شكوى على علي بك في سنة ١٩١٣ ورفعت دعوى من جهة قصر الإمارة والأراضي المكتوبة باسم والدي عبدي بك وواردات الشيخ عادي و ضمَّنتها أن علي بك قد أخرجني بالإكراه وغصباً من داري و أملاكي، فطلبت مساعدة الحكومة في ذلك حينئذ قامت الحكومة بإحضار علي بك وأقامت إجراءات المحاكمة بيني وبينه، وفي تلك السنة بعد أن بقيت عشرة أيام بالموصل أثلجت السماء ثلجاً عظيماً إلى حدّ أن نهر الموصل قارب أن يجمد، وكنت متفقاً مع أخي جولو بك وحسين بك بن حمزة بك وكان ذلك بولاية (طاهر باشا) أن علي بك خدع أخي جولو بك وحسين بك وأعطاهما شيئاً من المال وأقنعهما واتفقا معه وبقيت وحدي، و قمت بتقديم إثبات وراثة وقدمته إلى الوالي (طاهر باشا) فالوالي سوف يأمر علي بك أن يعطيني داري و يرضيني بالأموال من واردات الشيخ عادي، فرفض علي بك وامتنع عن إعطائي شيئاً، ومكثنا أربعين يوماً في كل يومين أو ثلاثة يقومون بإجراء لمحاكمتنا بالبوليسخانة بينما يرفض علي بك ذلك، وأخيراً فرض الوالي طاهر باشا على علي بك جبراً أن أسكن في دار الإمارة وأن أتصرف به كما أشاء و آخذ ما أريده من واردات الشيخ عادي وأعطاني أمراً إلى مدير ناحية عين سفني مع خمسة أنفار بغالة.

العودة الى الدار في باعذرة

خرجنا إلى ناحية الشيخان مع العسكر ودخلنا القصر واتخذنا ثلاث غرف منه للنزول جبراً، كما أمرت الحكومة علي بك أن يتقدم سند كفالة مفاده أنه إذا لحق أدنى ضرر أو تعدّ بإسماعيل بك فإنه المسؤول عن ذلك، وبالمقابل طلب مني علي سند كفالة أمن فيه على روحه مفاده ألا أبادر إلى قتله أو التعدي عليه، لكونه كان يرتاب مني ويشعر القلق من وجودي قريباً منه فلا يأمن على نفسه، وهكذا جرى الأمر بإعطاء كل منا الآخر سنداً بذلك، ثم جلست وإياه مرغَمَين في فناء واحد لمدة سنتين. وبعد انقضاء مدة قاموا بإلقاء الحجارة عليَ من أعلى السطح في الساعة واحدة ليلا ً، وبالمقابل قمت بإطلاق سبع طلقات عليهم بالمسدس وشتمتهم، وكان عندنا أناس مسلمون، وفي الصباح نزل إلى الموصل واشتكى عليَ فحكمتني المحكمة غيابياً، و توجهت إلى الموصل قاصداً (راجز أفندي) الذي كان صديقي فرافقني إلى المدعي العمومي وإلى معاون المدعي العمومي وأبطل تلك الدعوى لكني حُبست خلالها سبعة أيام ثم خرجت.

السكن في بعشيقة و بحزاني

بعد تلك الحادثة تيقنت من أنه لا مقام لي مع علي بك في بيت واحد. وكان علي بك في تلك السنة قد حرم أهالي بعشيقة من حقوقهم، وكان ساخطاً عليهم، منهم فحولت أهلي وأتيت إلى قرية بعشيقة وبقيت ستة أشهر في بعشيقة معززاً مكرماً، وبعد ذلك حضر القوالون ومعهم الطاووس والسنجق إلى بعشيقة، فخطر لي أن آخذ السنجق من القوالين لكن أهل القرية لم يوافقوا فغضبت منهم وتحولت إلى قرية بحزاني إلى دار رجل مسيحي اسمه الياس بن رشيد، وهناك أفلست وما كان عندي شيءٌ. كان كرامافون معي فاصطحبته وأربعة من المسيحيين واثنين من الأيزيدية.

زيارة أغا الشمامك

توجهت إلى قادر آغا كبير شمامك الأيزيدي الأصل، وعشيرته تسمى عشيرة شيخابك وأهديته الفونغراف وبينت له ظروفي وأحوالي وأعطيته قابوطاً (معطف) مقصباً كنت قد أحضرته معي من اسطنبول، فأكرمني الرجل وأعطاني أربعة عشر حملا حنطة أتيت بها إلى بحزاني، كما أهداني فرساً وقال: على الرغم من كوننا مسلمين إلا أن عظمنا أيزيدي، ولك الحق والتكريم عندنا، وكان رؤساء تلك العشيرة عبد الله آغا ومحمد آغا وزاهر آغا أولاد قادر آغا في كوري.

دعوة من شيخ الطي

لما سمع (حمود الهوار) شيخ طَي بوجودي هناك أرسل في طلبي ودعاني للقدوم إليه، لأنه كان قريباً مني هناك. قال: كانت بيني وبين والدك صداقة ومحبة وودّ، ويسعدني قدومك إلي وحضورك معي فذهبنا مع الآغوات المذكورين وغيرهم من الأكابر وصرنا نحو خمسة عشر خيالاً، وخرج حمود الهوار لاستقبالنا مع خيالته من طريق تبعد ساعة ونزلنا عنده، وعند المساء ذبح ثمان دواب غنماً، ووضعها في جفنة واحدة ورفع الجفنة اثنا عشر رجلاً ووضعوها أمامنا. وفي الصباح أحضر إلي فرساً وأرسل إلى عشيرته ليجتمعوا عنده وأن يكرموني هم أيضاً. فأولاد قادر آغا لم يرضوا أن آخذ منه ومن عشيرته شيئا وقالوا إن ذلك عيب وعار علينا، وهكذا قمنا من هناك الأمر الذي تسبب لشيخ طي بالانزعاج والتذمر، فقد كانت هنالك عداوة بين عشيرة طي وآغوات الأكراد ولهذا لم يرضوا أن آخذ منهم شيئاً، فغادرنا المكان وعدنا إلى بحزاني وبقيت مدة وضاق صدري فيها كثيراً و تكدرت لعجزي أمام سوء تلك الحال.

زيارة مطران قرقوش وكرملس

ذات يوم ركبت فرسي وتوجهت إلى قرقوش وإلى خضر الياس ودخلت إلى الدير وكان هناك الرئيس القس بهنأم قليان وهو الآن مطران في دير الزور، الذي عاملني بمنتهى التقدير والاحترام، وقال: أنت من بيت أمير الشيخان وأي شيء تطلبه سنلبيه لك. فقلت له: إن دعواي قائمة على علي بك وقد شكوته إلى الحكومة لكنها لم تحصّل لي شيئاً، والآن ها قد أتيت ألقي دعواي أمام حضرة الخضر [1] ونذرت له بقرة ثم ألقيت منديلاً من جيبي على باب الهيكل، فوقف المنديل في الحال.

وبقيت تلك الليلة هناك وفي الصباح توجهت إلى قرقوش وإلى كرمليس ونزلت في بيت المختار وكان الرجل قد احتفى بي كثيراً فذبح لنا ذبيحة، وبينما نحن جلوس ومستأنسون بالحديث مع بعضنا البعض، قال لي أحد الجالسين: إن رجلين من بحزاني يطلبانك في الخارج فخرجت إليهما وأعلماني بأن علي بك قد قتل أمس وجماعة بعشيقة وبحزاني يطلبون حضورك ليذهبوا إلى باعذرى وهكذا توجهت في تلك الليلة إلى بحزاني.

مقتل الأمير علي بك، واختيارُ أميرٍ ليكون خلفَه

عند سماعنا خبر مقتل علي بك رجعت من كرمليس على وجه السرعة على وجه السرعة إلى بحزاني، أخذت أهلي وتوجهنا مع الجماعة إلى باعذرى لأجل التعزية مع الطبل والزرناي حيث يقرعونه حزناً، ودخلنا قصر الإمارة وكان هناك جميع أكابر الأيزيدية من جميع الأطراف وبابا شيخ وصارت مباحثة أولاً فيما يخص علي بك وثانياً في من سيتولى الإمارة، البعض قالوا إن سعيد بك بن علي بك ولد صغير

(١) لقد اندمجت شخصية الخضر الإسلامية على ممر الأيام بشخصية القديس إيليا المسيحية فأصبحا شخصاً واحداً، ومقام خضر الياس المذكور هنا هو الآن تابع لدير مار بهنام.

فمن غير اللائق وغير المعقول أن يكون أميراً، فليكن إسماعيل بك وصياً عليه إلى أن يكبر وهكذا حصل اتفاق بين الجميع، إلا أنه في الصباح حضر حسين فقير وأسعد أفندي الرجل المسلم الموصلي وصديق علي بك، وأخذوا ميان خاتون وأدخلوها إلى غرفة وتشاوروا معها فيما إن وافق على تولي إسماعيل بك للإمارة أو الوصاية، فإنه من الممكن فيما بعد أن يطردهم من القصر ويستولي على كل شيء، وأن أختي ميان خاتون كانت تكرهني بسبب نزاع وقع بيننا قبل ذلك سنة وأردت أن أقتلها بالخنجر ولهذا وافقتهم وجعلوا سعيد بك ليكون أميراً الذي كانت أمه ميان خاتون والوصية عليه، ثم قالوا إن اسماعيل بك هو الذي قتل علي بك بينما كنت في تلك الليلة في دير خضر الياس، وهكذا أرسلوا خبراً إلى مدير ناحية عين سفني فأرسلني المدير إلى الموصل مع عشرة أنفار وعسكر، وادعوا بأن إسماعيل بك أعطى ستين ليرة ذهباً لسيد عمرالأشقيا لقتل علي بك، ولما وصلنا الموصل وأوقفوني أمام المستنطق داود أفندي سأل داود أفندي المدير مصطفى أفندي: لماذا أحضرتم هذا الرجل فأجابه أنه متهم بقتل علي بك، فأجابه : كيف له أن يقتله في حين أنه كان في تلك الليلة في دير الخضر، بينما قتل علي بك في باعذرى والمسافة ممتدة الطريق بينهما تبلغ نحو أربع وعشرين ساعة سفراً، فكيف تمكن من قتله و العودة بسرعة البرق، وعلى الفور أمر بإطلاق سراحي وبعد مدة أربعين يوماً من قتل علي بك ظهر القتلة، وهم فتاح وعلي أولاد جولو المماني اللذان قتلا علي بك وقد تم التوصل إلى ذلك من خلال امرأة عجوز من تلك القرية حسنية التي تبعد عن باعذرى نحو سفر ساعة، وكانت قد شهدت بأن عندها علماً أكيداً في أن فتاح وعلي أولاد جولو قد قتلوه. وأن أخا جولو بك قد ذهب مع ثلاثة من رجاله إلى قرية حسنية وقتل فتاح وعلي وأهل دارهم وعدداً الرجال وما نجى منهم إلا ولد واحد و الذي مات بعد مدة قصيرة، ولما فهمت الأمر أرسلت إلى أختي ميان خاتون وداود بك وقلت لهما: الحمد لله قد ظهر قاتلي علي بك وأنا بريء من هذا الاتهام وأريد الآن أن تعطوني طريقاً وتفسحوا لي السبيل لآتي إلى عندكم، ونسكن على عهد المحبة والود والاتفاق، فكان جوابهم: نحن لا نأمن جلوسك معنا لكن تعال واسكن في إحدى قرى الشيخان ونحن متكفلون بمعاشك وإدارتك، فقلت إن لم أسكن في دار والدي ومعكم فإني لن أحضر.

أخذ الطاووس من القوالين وإلقاء القبض عليهم

حدث أن القوالين سليمان خجولة مع أخيه حسن وخمسة عشر من القوالين قد أخذوا الطاووس والسنجق من سعيد بك وميان خاتون و كانت غايتهم أن يتوجهوا إلى سنجار عن طريق جم بركات وحاوي زمار ليعبروا النهر ويتوجهوا من هناك إلى سنجار، لكن قوال سليمان وأخوه قوال حسن كانا محكومين غيابياً خمس سنوات، فنزلت إلى الموصل بسرعة وقدمت استدعاء إلى الوالي (محرم باشا) وادعيت بأن سليمان وحسن خجوله محكومان غيابياً، والآن هما هنا وسيتوجهان إلى سنجار، وأنهما كانا في بلاد الروس و أحضرا معهما مكاتيب وأوراق من هناك، و طلبت أن يأمروا لي بقوة العسكر لألقي القبض عليهما وأحضرهما، وبعد المراجعة حدث أن زودوني بالعسكر من ناحية سميل وذهبت باتجاه النهر مصطحباً من سميل سبعة أنفار من العسكر مع جاويش، و كان القوالون في تلك الليلة في قرية (جم بركات)، فوقفنا صباحاً على حافة النهر ؛ لأن القوالين سيعبرون الماء بالسفينة وبعد نحو ساعة حضر القوالون وأخذوا سفينة ونزلوا بها ليعبروا، فأمر العسكر صاحب السفينة بأن يقدم السفينة نحونا، وعلى الفور فعل، فألقينا القبض على سليمان وحسن أخيه مع خيلهم والقوالين، وحالما رآني قوال سليمان قال ألا تريد السنجق ؟ خذ ماتريد ولكن أطلب ألا تلقيني في الحبس، فأخذت منه الطاووس والسنجق وقلت له لا يوجد بخت الآن، ستذهب إلى الحبس وسألني الجاويش من منهم قوال سليمان وأخوه؟ فأشرت إليهما، فتم قبض العسكر عليهما وكتفوهما وأطلقوا سراح الباقي، وأخذت الخرج الذي كان الطاووس والسنجق فيه، وكان معهم خلع إلى آغوات سنجار من عبي وساعات وزبونات وأشياء أخرى، وأربع شوش عرق فقلت للعسكر: سأعدكم وأعطيكم هذه الأغراض وسآخذ فقط زجاجة العرق، وعليكم أن تقولوا أن إسماعيل بك لم يأخذ الطاووس جبراً وهكذا رجعنا إلى سميل.

وقال قوال سليمان لمدير سميل : سنذهب إلى الموصل لأننا محكومون بالحبس، لكني أطلب أن تأخذ الطاووس والسنجق من إسماعيل بك وتبقيه عندك وسأتكفل لك

خمسمائة ليرة من ميان خاتون وبيت الأمير، فطلب المدير مني أن أسلمه الطاووس لأنه عائد إلى بيت الأمير فرددت عليه : لن أسلمه. فقال إذاً يجب أن أسوقكم سوية إلى الموصل، وهكذا أرسلنا معاً إلى محافظة الموصل ونزلنا في قرية بابيرة في بيت شيخ خدر بن شيخ عبدال الأيزيدي، وطلب الشيخ خدر أن يبقى الطاووس عنده قال : لماذا تأخذه إلى الموصل إلى الحكومة وكل من سيأتي سينظر إليه، هذا غير لائق بحق ديانتنا، أنا سأتكفل في أن أقيم موافقه بينك وبين ميان خاتون وسعيد بك على أن يعطوك حصتك من بيت الأمير، وهكذا أقنعني وأقنع سليمان وأخاه حسن و العسكر، لكن امرأته حلفته بألا يخرج الطاووس من داره حتى يحضر الجواب من ميان ومن سعيد بك و أحضرأنا. وبذلك توجه العسكر مع القوالين سليمان وأخيه إلى الموصل وتوجه شيخ خدر إلى باعذرى بينما بقيت في القرية التي تبعد نحو خمس ساعات سفراً عن باعذرى، وعندما علمت أن الجميع كانوا قد ابتعدوا عن القرية، أسرجت فرسي ودخلت إلى دار الحرم وحملت بندقيتي ووضعت بها رصاصة وأمسكت بالخرج الذي فيه الطاووس والسنجق، وقلت لأهل الدار ولأهل القرية: من يتقدم نحوي أو يتعرض لي بشيء سوف أقتله، فقال الجميع: لا شأن لنا معك، ولا مع بيت الأمير، أنتم تعرفون عملكم. وركبت فرسي و وضعت الخرج على ظهر الفرس وأتيت تلك الليلة إلى تلكيف وهناك نزلت في بيت رجل صديقي اسمه توما، فأحضر لي قنينة عرق وصرنا نشرب وكنت فرحاً من جهة و من جهة أخرى خائفاً ينتابني القلق لأنني لا أعرف ماذا يمكن أن يحدث لي.

وفي الصباح توجهت قاصداً الموصل ودخلت إلى قرية النبي يونس (شمال شرق الموصل) إلى بيت رجل صديق وهناك أمنت الطاووس وتوجهت إلى الموصل اتجسس الأخبار فرأيت أنه لا أحد يبحث عني وأن القوالين دخلوا الحبس فرجعت إلى قرية النبي وأخذت الطاووس والسنجق وتوجهت إلى بعشيقة وقبل وصولي أدرك احدهم بحضوري وخرجوا لاستقبالي فنزلت في بيت صادق رشيد وبقي الطاووس والسنجق في بيت صادق رشيد مدة وبعد ذلك أخبرني أحد الأصدقاء سراً بأن محمود بك بن شريف بك مستعد أن يدفع إلى صادق رشيد خمسمائة ليرة ويأخذ الطاووس منه ويسلمه إلى سعيد بك، في اليوم التالي قلت لصادق علينا أن نخرج الطاووس ونعمده

ونسجد له ونجمع أهالي القرية لعلهم يعطوننا شيئا لأني محتاج، فامتنع أولاً ولكنه اقتنع أخيراً بالكلام الطيب والسياسة إلى أن سلمه لي، وحالما أخذته وضعته على الفرس وامتطيتها ثم توجهت إلى الموصل ودخلت إلى الدكتور ستانلي الرجل الإنكليزي وعرضت له القضية، ثم طلبت منه أن يبقي الطاووس عنده إلى أن أرى كيف ستنتهي الدعوة فأتى معي إلى مس مارتن و وضعنا الخرج في داخل الصندوق وأقفلت عليه وأخذت المفتاح، لكن الدكتور طلب مني ألا يعرف أحد بالأمر والمسألة، فهو رجل غريب أجنبي وألا أتردد إلى ذلك البيت، فرجعت إلى بعشيقة وسألني صادق رشيد: أين الطاووس؟ فقلت له: أخفيته في الجبل. وبعد ثلاثة أيام أتى عشرة أنفار من العسكر من الموصل وسألوني عن الطاووس والسنجق وداروا في بيت صادق ولم يروا شيئاً فقلت: إن الطاووس مخفي عندي فأخذوني معهم إلى الموصل وقابلوني مع الوالي فأمرني أن أحضر الطاووس أو أبقى محبوسا، وهددني بالشنق إلى غير ذلك من التهديدات فقلت له نعم الطاووس عندي وهذه أمور دينية وأنتم لا تقبلون ديانتنا ومع هذا فيوجد خمس طواويس غير هذا فليكن الجميع إلى سعيد بك، وبما أننا أولاد فلا يجوز أن أكون محروماً من واردات الطاووس بينما ابن عمي يلتهم الجميع وكل شيء فأنا أيضاً يجب أن اعتاش بواسطة هذا الطاووس، فأمرالوالي بحبسي بالبوليسخانة -—مركز الشرطة - وهناك بقيت عشرة أيام وفي هذه المدة كان البوليس ومديرهم يهددوني بالقتل والاستهزاء والتحقير، آملين أن يجبروني بهذه المعاملة على إحضار الطاووس إليهم، لكن مدير البوليس خالد بك الأرمني الأصل من ولاية وان كان حين يأيني يقابلني و يلاطفني ويؤنسني ويفيدني بمعلومات إلى الوالي، وبأنه لا يرضى أن يُسَلَّم الطاووس مهما حدث معي من التحقير والإهانة، ولما رأى الوالي أنه لا فائدة من الضغط علي، حول دعوتي إلى رئيس الجزاء وأوعز إلى الحاكم أن يجعل العقوبة كبيرة بحقي ؛ على اعتبار أني رجل مفسد وعنيد وأدخلوني في حبس النظارة وبقيت عشرين يوما بالحبس حيث كان هنالك معي رجل من بيت كشمولة اسمه شوفتلي وآخر اسمه سيد عبد، وفي كل وقت يسبان مذهبي وطاووس ملك أمامي، ويتلفظان بغير ذلك من الإهانات لديانتي، فلما غضبت وسخطت كثيراً قمت بسببً ديانتهم وكفرت بجد السادات جميعهم، كانت غيرة مني على ديانتي وطاووس

ملك التي مهما فعلت في سبيلها إنما هي الغيرة والحمية ومهما أصابني فلن أندم على ذلك، وقام المحبوسون عليَ بالشربات والقواقيب[1] وأرادوا قتلي لكن أنفاراً من العسكر حضروا على وجه الاستعجال وأنقذوني من بين أيديهم، وفي الصباح أحضروني إلى القشلة لأجل المحاكمة وسألني الحاكم أأنت مَنْ أخذ الطاووس ؟ ومع الطاووس بالخرج خمسمائة ليرة.. فقلت: نعم. لقد أخذت الطاووس لكن هل كان القوالون ذاهبين إلى سنجار أم راجعين منها ؟ لأن القوال سليمان وأخيه اشتكيا عليَ بذلك وباقي القوالين كانوا شهوداً لهم، فقلت: إذا كانوا راجعين من سنجار فبلا شك كانت معهم تلك الدراهم وأنا من أخذها منهم، لكنهم كانوا ذاهبين ليجمعوا فمن أين أتت هذه الخمسمائة ليرة؟ إن ذلك ضرب من الكذب والافتراء الواضح، وبناءً على ذلك فإنهم لن يستطيعوا أن يثبتوا عليَّ أية تهمة، وأخبرت المحكمة بأنه يوجد أربعة طواويس، فأنا ابن عبدي بك وسعيد بك بن علي بك بن حسين بك وحسين بك وعبدي بك أخوة، ويجب أن يكون لي الحق الأكبر بالإمارة بين الجميع، ومع ذلك سأرضى بهذا الطاووس ليكون لي أجراً، لأقتات بواسطته فأنا صاحب عائلة وصاحب ضيافة أحتاج إلى المال، يأتيني أناس غرباء وأقارب فمن أين أعتاش وأنفق على أسرتي وأستضيف القادمين مالم يكن لدي إذا دخل وواردات؟ بعد ذلك أخرجونا جميعنا إلى الخارج ومكث المجلس للمراجعة و المذاكرة، وبعد نصف ساعة دُعينا فقال الرئيس: لقد حكمت المحكمة بأن يكون الطاووس الخاص بالشيخان وحلب والمسقوف لسعيد بك والطاووس الخاص بسنجار لإسماعيل بك و منحوني تبرئة وخرجت.

وحضرت إلى بعشيقة بعد أن أخذت الطاووس من الدكتور ستانلي واصطحبت أهلي وعائلتي وأربعة قوالين وأخي چول بك أيضاً الذي قال: سأكون معك ونتفق معاً، ونزلنا سوية إلى الموصل وقدمت استدعاء إلى الوالي بأنني مزمع على أن أتوجه إلى ديار بكر ونصيبين وأريد الأمان في الطريق فعين لي نفرين من عسكر المحافظة.

دعوة من كبار سنجار

في تلك الأيام وردت لي تحارير من حمو شرو ومن داود الداود (من زعماء سنجار) يقولون بما أن الطاووس الخاص بسنجار صار عندك فتعال إلى سنجار وكن أميراً علينا واسكن معنا فأجبتهم : يجب أن أذهب في بادئ الأمر إلى نصيبين وديار بكر ومن ثم أعود إليكم مع هدايا وخلع.

لقاء متصرف ماردين

أخذنا عربة بسبع ليرات إلى نصيبين وقصدنا بوجهتنا ماردين وكان (راجز أفندي) الموصلي قد أعطاني توصية إلى (آصف أفندي) مدير الكمرك والريجي في ماردين فنزلنا في داره، وفي اليوم الثاني أرسل متصرف ماردين مع ياورة طلباً يقول: ليحضر عندنا رئيس الأيزيدية فقابلت المتصرف فقال: يجب أن تذهب إلى جماعتك في أطراف مديات وتنصحهم لئلا يفتعلوا الاغتشاشات والتجسس، وما أحب أن يكونوا مع علي بطي لأن علي بطي كان قد اشتهر حينئذٍ بالشقاوة وأعطاني أيضا ثماني ليرات مع نفرين من عسكر المحافظة و أمراً إلى قائمقام مديات أن يقوم بجميع واجباته، فدرت في أطراف الجبل بين الجماعة وعملت اللازم وأحضرت معي بعضاً من أكابر الأيزيدية بعد أن قمت بالإصلاحات اللازمة، وحضرنا إلى ماردين ودخلنا على المتصرف حيث أصدروا قراراً ينص على أن يكونوا مطيعين لأوامر الحكومة بكل ما تأمر به، وقد أعرب المتصرف عن رضاه عني وشكرني لصنيعي، وكنت قد أعطيته معلومات بأني أريد أن أتوجه إلى نواحي ديار بكر، وهكذا حملت أهلي ومن كان معي وتوجهنا إلى أطراف ديار بكر إلى قرية اسمها (جعفركي) حيث نزلنا في بيت (آقوي حزو) وهو رجل أيزيدي وتركت العائلة مع ولدي عبد الكريم في بيت (آقوي حزو)، ومن ثمَّ التقيت أنا وأخي والقوالين في فارقين والبشيرية، حيث كنا نجمع الخيرات، وبعد أن انتهينا من هذه الأماكن توجهنا إلى ناحية (رضوان) وجمعنا مقدار(٣٠٠)

ثلاثمئة مجيدي ثم قصدنا قرية اسمها (حمدونه) في ناحية رضوان، وكان القوال مراد ورفاقه الثلاثة قد نزلوا في بيت من القرية بينما أنا في بيت آخر، ولما وصلت ماردين تعرفت على المستر أندرس[1] مدير مكتب الأمريكان وأفدته بأنني أخذت الطاووس غصباً و أني لست آمناً على نفسي من هؤلاء القوالين الذين معي، ولذلك أريد أن يدعمني ويحصنني برجل مسيحي يمكن الاعتماد عليه فيحافظ على أمني وسلامتي، فكلف بذلك رجلاً اسمه (جلو بن جعصور)

هروب القوالين ومعهم الطاووس

كنا في قرية حمدونة ولا علم لي بما يدبره ويخطط له القوالون، وكان أخي جولو بك في قرية أخرى، وقد خدع القوالون صاحب البيت وقالوا له : إن إسماعيل بك قد أتى بنا بالإكراه ورغماً عن إرادتنا فبات حالنا حال أسرى عنده، فأطلقوا سراحنا لنمضي في حال سبيلنا وسيكون هو معكم، قال صاحب المنزل: أعدكم أن تذهبوا لكن الطاووس الخاص بإسماعيل بك سيبقى، قالوا: نعم سيبقى، ثم استغفلوا صاحب البيت وقاموا بوضع السنجق في خرج الطاووس والطاووس في خرج السنجق وقالوا: هذا الطاووس يبقى عندك في الصباح سلمه لإسماعيل بك ولما حضرت صباحاً إلى ذلك البيت سألت عن القوالين فقالوا: قد هربا وسألت عن الطاووس والسنجق فأحضروا لي الخرج وعندما فتحته رأيت السنجق فيه، أما الطاووس فقد هربوا به من بيت (مرزا كلش) فانزعجت كثيراً من مرزا كلش وغضبت عليه غضباً شديداً، حتى أنه ظل يحلف ويقسم بأنه ليس لديه علم وأن القوالين استغفلوه و إلى غير ذلك، وأن جلو أيضا كان قد اتفق معهم فالقوالون خدعوه وقالوا له: إذا وصلنا إلى سعيد بك فلن تكون هديتك أقل من خمسمائة ليرة، وعلى ذلك جرى الاتفاق، فأخذ فرسي وأغراضي مع بندقيتي وهرب الجميع، وأما الرجل مرزا كلش فقد أخذ يتوسل و(يتخدع) كثيراً وقدم عشرين ليرة، و قصد القوالين إلى قرب الجزيرة لكن دون

(١) Rov .A.N.Andrus من أعضاء الإرسالية الأمريكية في ماردين.

جدوى، ثم مضيت إلى سعرت وشكوت للمتصرف شخصاً من قرية (حمدونة) لكن شكواي كانت عقيمة دون فائدة، ثم توجهت إلى (بشار جتو) وأفدته بالقضية، فقام على الفور بإرسال شخص إلى القرية وغرمهم أربعين ليرة، أعطاني منها عشر ليرات وأخذ الباقي لكونه الآغا المسؤول عن تلك الأطراف، وشعرت بالحزن والعجز عن فعل أي شيء لا أعرف ما عليَّ القيام به في تلك اللحظة، فرجوعي دون الطاووس مشين لي وعار وانتقاص لحقي، ولم أعرف كيف أتدبر الأمر، فصرت أتنقل من محل إلى آخر في قرى المسيحيين والمسلمين أعالج مرضاهم ؛ فلم يعد بمقدوري أن تلتقي عيناي بعيني أحد أو أنظر في وجه شخص أيزيدي كان شعوري قاهراً، وكنت في وقتها قد أعطيت تيلغرافاً إلى مستر أندرسو الذي أرسل تيلغرافات على جلو إلى نصيبين وإلى الموصل وبعد عشرين يوماً كنت في أزرق، في بيت قسيس أرمني، وإذا بجلو يحضر أمامي وعليه عباءة بكتف، كان قد أهداها له سعيد بك ومعه فرسي وعشر ليرات، فأخذت فرسي وما كان خاصتي عنده لكن الحكومة أمرت بحبسه سنة بينما أنا أفكر بكثير من الأمور، فكرت بأن القوالين الذين في المسقوف قد صار وقتهم وقريباً سيحضرون على طريق وان، فقلت للقسيس سركيس أفندي: سأطلب منك شيئاً أريد أن تكتب إلى مرخص وان أنه متى حضر القوالان إلى وان عليهم أن ينزلوا في خان مانون أفندي، وأخبره أن أشكال القوالين هي كذا.. ولبسهم كذا.. و أيضا يجب أن نعلم بحضورهم، وعلى الفور كتب القسيس ذلك و أكد على ضرورة إعلامهم بهم تلغرافياً متى تحركوا من وان، وبعد شهر من إعطاء التحرير وأخذ الجواب بالإيجاب، وأنا أتردد على بشار جتو وبين القرى فيوما ورد تيلغراف إلى القس يقول: إن الأمانات التي ذكرتموها قد حضروا واليوم تحركوا من طرفنا وبعد ستة أيام يكونون بطرفكم، وحين سمعت أنا بذلك توجهت إلى بشار جتو وقلت له: إن القوالين قد حضروا من بلاد روسيا ومعهم دراهم ومال كثير، فالمال سيكون لك فقط وسآخذ الطاووس، ولكن أحد الأيزيدية أخبر القوالين حين جاؤوا في ذلك النهار بأنه رأى إسماعيل بك ومسألته كذا وكذا.. وأن القوالين كانوا قد أخذوا منه الطاووس، فعندما سمعوا هذا الكلام قالوا فيما بينهم: لنهرب منه لأنه الآن سيتعرض لنا بالسوء ويأخذ الطاووس وما معنا، فتركوا سفرة الطعام وركبوا في الحال وهربوا في ذلك الليل، وركب بشار جتو معي وسبعة خيالة

وطلعنا خارج البلد ننتظرهم لكن دون فائدة لأنهم كانوا قد هربوا منا فلم نستطع اقتفاء أثرهم.

كيف التقيت بـ (سليمان نظيف باشا)

ولما علمت أن القوالين قد هربوا تأسفت جدا وأصابني الحزن واليأس فرجعت إلى (جعفركي) وأخذت عائلتي من هناك وأتيت إلى ديار بكر، ونزلنا في دار رجل أرمني اسمه (خاجو بالكروة). وعرفت أن المدعي العمومي رجل أرمني فقصدت منزله، وعرضت عليه حالي فسألني: هل أنت إسماعيل بك الذي سافرت إلى روسيا وإلى دير أجميازين؟ أجبت: نعم. فقال: بم تريدني أن أقوم؟ قلت: أريد أن تقضي لي حاجة وتحصل لي أمراً من والي ديار بكر أريد أن أتمكن من السفر إلى روسيا مع عائلتي، فاصطحبني معه إلى الوالي (جلال باشا)، وسألني الوالي: ماذا تريد؟ قد غدر بي ابن عمي، وقدمت دعواي إلى ولاة الموصل ولم منهم يساعدني أحد، والآن لا إقامة لي في بلادي ولهذا أودّ أن أسافر إلى روسيا، فقال الوالي: قبل شهر سأل عنك والي الموصل سليمان نظيف باشا ولم يكن لدي علم بأنك متواجد في هذه الأماكن، ونصحني بألا أذهب إلى بلاد روسيا في ذلك الوقت لأن الأمور مضطربة مشوشة بين روسيا وتركيا، وأنه من الأفضل لي الافضل أن أذهب إلى الموصل، وأنه سيكتب إلى سليمان نظيف باشا ليساعدني في كل شيء، ثم أعطاني أمراً وأرسل معي نفرين من العسكر ليقوما بمرافقتي والتنقل معي من مكان إلى آخر ويوصلاني، وحمّلني توصية إلى والي الموصل، فخرجت من ديار بكر وأتيت إلى قرية الداودية وتركت عيالي هناك في بيت المختار (إبراهيم قطي) الأيزيدي، وتهيأت للذهاب إلى الموصل عن طريق ويران شهر، وحضر عندي شيخ سلو وشيخ درويش وشيخ حالو من تل عبوش وأخبروني بأن ولداً اسمه عزيز موجود عندهم كان قد أسلم منذ سنة والآن يريد أن يعود فنرجو أن تحلل له ذلك، فأتوني بليرة ذهبية وتنكة عرق فزورته السنجق وقبلته، فقالوا: نريد أن تأخذه معك إلى الشيخ عادي وهناك يتعمد ويتحلل بماء الشيخ عادي ويخدمك أيضاً، وفي الطريق اشتريت له حصاناً وأعطيته سلاحي وصار يخدمني.

وتوجهنا إلى نواحي ويران شهر حيث يسكن هنالك جماعة من الأيزيدية وجمعت منهم لي ثلاثين ليرة ذهب مع حصان شبوة أصله توسية، كما التقيت قائمقام ويران شهر فأخذت منه نفرين من العسكر خاصَّة المحافظة إلى نصيبين، وفي طريقنا عطفنا على بيت إبراهيم باشا نلقي عليه السلام بصحبة بعض أكابر الأيزيدية، وفي الحال أعدوا لنا الذبائح واحضروا العشاء وعند الغروب قاموا للصلاة، ولما قام الشيخ أمامنا بينهم كفر بمعبودنا فما كان لي حين سمعت هذا الكلام إلا أن أمرت جماعتي (رجال أتباعي) الاستنفار للرحيل، فأتاني محمد آغا إبراهيم باشا الكبير: لم هذا الانزعاج ؟ فقلت : إن طعامكم حرام علينا بما أنكم تجعلون الأيزيدية محسوبين عليكم وفي الوقت ذاته تكفرون بديانتهم ومذهبهم، و طلب كثير مني أن أبقى فما رضيت، وكانت الساعة الواحدة ليلاً، فركبنا وأتينا إلى نصيبين وفيها راجعت القائمقام لأن يعطيني نفرين من العسكر ليوصلاني إلى حكومة سنجار، ثم غادرنا نصيبين وأتينا إلى تل حمدي، وكان هنالك دواس السعدي شيخ الأخرصة (فخذ من عشيرة الشمر) حيث نزلنا عنده، وفي اليوم التالي أتينا إلى السموقة بين الأيزيدية وسألتهم: هل من الممكن أن تجمعوا لي إعانة لأجل مصرف الطريق فأنا أميركم وأنتم جماعتي وأبناء ملتي ؟ قالوا: نعم. وعند الصباح طلبت منهم أن يدفعوا خمس مجيديات إلى العسكر الذين كانوا برفقتي فاحتج مختارهم أحمد أعطو وقال: لن يعطي أحد منا شيئاً وأنا أيضاً ليس عندي ماأعطيه. فقمنا من هناك وقال العسكر: يجب أن نسلمك إلى أقرب نقطة في الجبل، فقلت: هنا نقطة أم الذيبان القريبة من السموقة ما يقارب سفر ساعتين ونصف وبين السموقة وأم الذيبان محل يسموه جريبة وهو مرعى للغنم، وهناك أشعلنا ناراً وأشعلنا ذلك المرعى لأنهم لم يقدروا حقوقي، واحترق عقارهم لساعة من الوقت أو ساعة ونصف، وكانوا قد أدركوا أنني تصرفت معهم بهذه الطريقة لأن أساؤوا التصرف معي، وأما النفران اللذان كانا برفقتي فقد سلماني إلى نقطة أم الذيبان وأخذا علماً بوصولي ورجعا، وفي نقطة أم الذيبان أرسلوا معي من يرافقني من العسكر إلى بلد سنجار. على النحو ذاته رافقني اثنان من العسكر من سنجار حتى وصلنا إلى الموصل ونزلنا في خان الصابونجي.

وقابلت صباحاً الوالي (سليمان نظيف باشا) وكان معي الخادم عزيز فسلمته شمسيتي وقلت له: اجلس هنا عند الياور والخادم الخاص بالباشا إلى أن أخرج من عند الوالي، ثم دخلت إلى الوالي الذي فرح بقدومي كثيراً وأطلت المكوث معه نحو ساعة ونصف من الوقت، و كان يسألني عن بعض المسائل الدينية التي أجبته عنها، فطيب خاطري وقال: سأجتمع بسعيد بك وميان خاتون وأقيم بينكم الصلح وآخذ لك منهم حصة، ولما خرجت من عند الوالي لم أجد خادمي فأتيت إلى الخان وسألت عن الخادم فقالوا: إنه قد حضر وأخذ الحصان وبعض الأغراض التي أحبها وذهب ولا نعرف إلى أين وجهته، وبعد أن بحثت عنه علمت بأنه قد باع الحصان في أطراف الجزيرة وهرب إلى أطراف دياربكر إلى المحل الذي أسلم فيه، وأنه لم يذهب إلى أقاربه وعشيرته، فوقعت في حيرة وأخذت أراجع الحكومة مراراً، ولمست تراخياً وبرودة في تعامل سليمان نظيف باشا معي، وفي النهاية أعطاني ست عشرة ليرة لا أعرف مصدرها أكانت أمن عنده أم أخذها من سعيد بك؟ ثم أعطاني تحريراً إلى والي ديار بكر يطلب فيه منه: أن يسكن إسماعيل بك الآن في طرفهم وأن يجدوا لهُ وظيفة على جماعته إلى أن حين إجراء موافقة وتوافق فيما بينهم..

التوجه نحو دياربكر واللقاء مع الخادم الهارب

وأخذت مكاتيب الوالي وتوجهت إلى دياربكر عن طريق سنجار متابعاً إلى الداودية، وسألت عن عزيز الذي أخذ حصاني فقالوا: رجع إلى الإسلام في دياربكر، فتأثرت لذلك الخبر كثيراً، وبت أفكر في كيفية التمكن من الوصول إليه وفيما سأفعله، وفي أحد الأيام وبينما أنا نائم عند الصباح وإذ بأحدهم ينبهني فتنبهت، قال : إن عزيزعلى الشارع العام مع القافلة –الكروان-، وعلى الفور ركبت فرسي وقصدت الكروان فرأيته منقطعاً عن الكروان وجالساً لوحده، فبادرته بالسلام وقلت له: ما الذي أصابك؟ بم أسأت لك حتى فعلت معي ما فعلته؟ فقال : بعض الناس أتعبوا رأسي وأثقلوا على قلبي فقد طلبوا مني أن أقتلك، وأنا لا أستطيع فعل ذلك ففعلت ما فعلته، فقلت : لابأس عليك مهما فعلت، قد سامحتك فتعال معي وأتيت به إلى قرية

الداودية وفي اليوم التالي بعت أغراضي وما كان لدي وحملت ماكان قد تبقى لي وغادرت.

أوصيت المسيحيين الهاربين بالتوجه الى سنجار

توجهت إلى ماردين وفي الطريق صادفت نحو ثلاثين رجلاً مسيحياً من أهالي بنبيل قد هربوا من وفروا من العسكرية، فأحضرت لهم العشاء (برغل) و طلبوا مني أن أنزل في قريتهم، ففعلت ثم قصدنا بيت مختار القرية اسمه (سليمان) وكان مطران دير الزعفران[1] حاضراً هناك، وسألني فيما إن كان بمقدور الأيزيدية أن يحموا أبناء جماعتهم الهاربين في سنجار؟ فأجبته: بنعم. وحتى لو التجأ جميع المسيحيين إلى سنجار مادام الأيزيديون موجودين في الجبل فلا خوف على القادمين منهم إليها ولا قلق، وطلب مني توصية الأيزيديين بحماية الفارين من المسيحيين ففعلت في الحال.

رافقني (نايف الدلف) من ماردين إلى سنجار

ومن قرية المسيحية لمختارها (سليمان) زودونا بالدواب، ووصلنا بها إلى قرية (كرنكو)، حيث نزلنا في بيت (نايف الدلف) رئيس تلك الأطراف حيث أعطوني ثلاثة جمال أيضاً حملت عليها أغراضي، ورافقني في طريقي نايف الدلف وخيالون من أقاربه، وقمت بشراء بندقية بلغارية الصنع، ومن هناك أوصلوني إلى عشيرة الشرابيين فنزلنا في مكان تواجد محمد علي نقيسي شيخ الشرابيين، وكنا نراقب عزيزاً في الليل والنهار مع الملاطفة، قال لي نايف آغا: قد أوصلناك إلى هنا ومن هنا عليك أن تأخذ

(١) دير للسريان الارثوذوكس قرب مادرين. كان حتى استيلاء الأتراك عليه سنة ١٩٢٤ مركز بطريرك هذه الطائفة. راجع وصفه في كتاب Parry، Six months in syrian Monstery ص ١٠٣ - ١٤٠

دواباً من الكروة ليوصلوك إلى سنجار، وفي نفسي رغبة لأن يوصلني إلى سنجار فكلمته بذلك بود ولطف إلا أنه كان عانداً على رأيه ولم يرضَ، واستمر الجدال بيني وبينه بلا جدوى وأبدى من العناد ما يشعرني بعقم محاولاتي، وبينما أعيد طلبي عليه وهو يستمر بالتمنع، وإذا بستة عشر نفراً من العسكر يدورون على الأعداد[1] بين العرب وكان يرأسهم (عبدالله أفندي) باش جاويش الذي سألني: من أين أنت؟ فقلت له: أنا شيخ الأيزيدية فقال: أمعك أمر من الحكومة ؟ قلت: نعم. وأخرجت له أوامر والي الموصل ووالي دياربكر، واطلع على ما أكون عليه ويكون حالي، وكان هنالك عسكر وعليهم أن يرافقوني إلى أي مكان وددت الذهاب إليه، فالتفت إلى نايف وقال له: لماذا لا توصل الأمير إلى سنجار؟ فقال له: لدينا أشغال وقد أوصلناه إلى هنا وليس باستطاعتنا فعل أكثر من ذلك، فقام عليه بالعصا وضربه، وقال له: إذا كنت لا تخدم رئيسك وأميرك فمن ستخدم؟ وأجبره على إيصالي إلى سنجار وأرسل معي نفرين من العسكرليرافقاني، وكان أصل الجاويش أيزيدياً، ثم توجهنا إلى البحيرة والهول والخاتونية [2]

(١) المقصود (عداد) الغنم الذي يقوم به موظفو الحكومة لفرض الضرائب.

(٢) يصف المؤلف هنا رحلته في جبل سنجار وتنقله بين قراه، وقد زار فريق من الرحال الغربيين بعض هذه الأمكنه وعينوا مواقعها في خرائطهم. راجع الخرائط الملحقة بالكتب التالية Von Oppenheim vom Mittelmeer zum Persischen Golf، Sashau Reise in Syrien und Mesopotamien، Sarri und Herzfeld، Archiologische Reise im Euphrate- und Tigris-Gebiet، ..... راجع أيضا الخريطة 21(. . Sinjar. من مجموعة.. . Eastern Turkey in Asia.. التي أعدها قسم الاستخبارات في وزارة الحربية الإنكليزية (سنة ١٩١٦) وخريطة.. . Beled Sinjar... من وضع Buriau topographeque des truopes francaises du levank. (بيروت عأم ١٩٣٠)

أراد عبد الرزاق بن عبدالكريم تسليبي في طريق الهول

علم عبد الرزاق بن عبدالكريم بأن أمير الأيزيدية قادم من طرف اسطنبول وديار بكر ومعه أموال كثيرة، وصار ينتظرنا على الطريق على الهول، وفي نهار ذلك اليوم وصلنا الهول فأتى نحو خمسون نفراً من العسكر كانوا قادمين من الموصل متوجهين إلى دير الزور، ولما رأى عبدالرزاق العسكر ذلك كفَّ عن معارضتي ولاذ باالفرار ثم وقفنا قرابة ساعتين في بيت مختار الهول.

من ماردين إلى سنجار

أخذنا دواباً من هناك وأتينا إلى السموقة ونزلنا عند (عيسى بركات) وبقينا هناك تلك الليلة وفي الصباح توجهنا إلى قرية الجفرية ونزلنا عند (حاج ميشو) وفي صباح اليوم التالي ركب معنا حاج ميشو وتوجهنا إلى (الحلاقية) على طريق الحلاقية ووصلنا إلى محل دري بدرها حيث أعطيت رفيقي البير البندقية وقلت له أطلق على عزيز فأطلق عليه رصاصة سكنت بين أكتافه ووقع في الحال صريعاً لقاء الخيانة التي ارتكبها بحقي وحق مذهبه ثم قمنا بدفنه، لا يزال مكان قبره موجوداً هناك.

في ضيافة الفقير (حمو شرو) وكيفية التعاون مع المسيحيين

أتينا إلى جدالة عند (حمو شرو) الذي احتفل بقدومنا، وفي تلك الليلة عند وصولنا بنصف ساعة رزقت امرأته بولد وسموه إسماعيل لأنه قال قدومك علينا صار قدوم الخير.

وفي تلك الأيام حلمت بأني كنت في ماردين ورأيت كنيسة كبيرة في وسط بلد ماردين و كان هنالك قسيسان داخل الكنيسة، وجمع من النساء المسيحيات وأمامهن صناديق يخرجون منها محارم سوداء ويقومون بتوزيعها على النساء، وما حدث بعد

هذا الحلم، أنه تم الاتفاق مع حمو شرو بعد علمنا بثورة ستحدث ضد المسيحيين، فقمنا بإرسال الخبر مع رجل بأجرة خمسة مجيديات ليتوجه إلى مطران رئيس دير الزعفران وإلى مطران مالايان الأرمني، وأعلمناهم بأنه بثورة وشيكة الحدوث واضطهاد سيلحق بهم، وعليهم أن يهاجروا إلى طرفنا ونحن مستعدون لأن نساعدهم من حيث الإدارة مع من يحضر معهم من المسيحيين، فكان الجواب : أنه بما أنهم رؤساء روحانيون فلن يستطيعوا الهرب والفرار، لكن إن أراد المسيحيون أن يفعلوا ذلك فليفعلوا وليتوجهوا إلى ذلك الطرف، وبناء على ذلك فقد حضر إلى كرسي وبردحلي قدر مائة عائلة وطلبوا مني ومن حمو شرو أن نؤمن لهم مكاناً مناسباً ليسكنوا فيه في خروجهم من مكانهم، وكان هنالك محل بين بردحلي وكرسي فأسكناهم فيه، وكان عندي صورة للمسيح فأخذتها معي مع دابتين من الغنم وذهبت إلى هناك حيث جمعت المسيحيين وخطبت فيهم ليكونوا متفقين وأن تسود بينهم المحبة والوئام و وضعت عندهم صورة المسيح وقلت لهم: بما أنكم لا تملكون هنا كنيسة وقسيس لكي تصلوا فلتكن هذه الصورة مني تذكاراً لصلواتكم، وذبحنا دابتين من الغنم وأكلنا معهم في ذلك النهار، وبعد ذلك اجتمع هناك المسيحيون من الأناضول وسوريا وأماكن أخرى، وبعد مدة حضر إليهم قسيس كان قد هرب من ماردين فاتبعوه و أخذوا يصلون معه. وبعد ذلك درت بين جماعة الأيزيدية لأجل جمع حقوقي وكنت أحرص حين أحل في أية قرية على توصية الجماعة بالمسيحيين والمحافظة على أمنهم وأمانهم وسلامتهم، فتلك الأوضاع لن تدوم أو تبقى حالها ولابد لها أن تنتهي وتسير الأمور على خير وراحة للمسيحيين ولنا نحن الأيزيدية أيضا لأننا حرصنا على هذه الجماعة (١)

(١) مما يسند مايقوله المؤلف هنا عن عطف الأيزيدية على المسيحيين في سنجار شهادة G. Bell „They (Yezidis) profess a great sympathy for Christians and during the war sheltered a large number of Armenian refugees in Jabal Sinjar“ Review of the civil Administration of Mesopotamia (لندن، ١٩٢٠) ص ٥٠. راجع أيضا كتاب القصارى في نكبات المسيحيين بقلم شاهد عيان ص ٣٧٣ -٣٨٣ حيث يذكر

أعمال القتل والنهب في سنجار قبل الحرب العالمية الأولى

حملت بيتي من بردحلي وأتيت إلى بلد سنجار ولم يكن لدي محل فنزلت في بيت (مطو آغا) رئيس عشيرة الهبابات، فأعطاني محلاً في داره وبقيت هناك قدر ستة أشهر، وبعدها استأجرت بيتاً مستقلاً فأسكن فيه لوحدي، وفي تلك الأيام اشتدت الحرب فقام بعض من جماعة الأيزيدية بالاجتماع مع بعضهم فاتفقوا وذهبوا إلى دير قبو، وهجموا على عسكر الحكومة ونهبوا من الألمان ستة أتومبليات مع أسلحة وذخائر وألبسة وغير ذلك، وهجمت أصحاب عشيرة القيرانيين على البدو وأخذوا منهم خمسة آلاف رأس غنم، وكذلك كان شأن عبدي آغا كبير التبة الذي أخذ عسكره وهجم على عرب آل بو حمد وسلبوا التجار أغنامهم، وفي تلك الأيام كان قد حضر من بدليس ستون رجلاً من مسلمي بدليس، ولما عرف بهم مسيحيو الأرمن الموجودون بالتبة، ذهبوا إلى عبدي آغا وقالوا: هؤلاء الذين قتلوا أهلنا ولذلك نطلب أن تساعدنا حتى نقتلهم ثأراً وانتقاماً لهم، فأعطاهم الأسلحة وذهب رفقتهم بعضٌ من أولاد الأيزيدية وقتلوهم حتى آخرهم، وأخذوا ما كان معهم وقبروا المقتولين هناك بالمغارة، ولما سمعت حكومة الموصل بذلك حضر من طرفها المدعي العمومي المستنطق، وتمكنوا من الكشف عن المقتولين، ثم وتوجهوا إلى طريق الأتومبليات المنهوبين وكان قد قتل في ألمانيا واحد وجرح آخر، كما قتل من جماعة الأيزيدية ثلاثة وجرح اثنان، ثم جاء قائمقام تركي من بغداد وتوجه إلى دير الزور فخرج عليه الأيزيدية ونهبوه وأخذوا منه نحو سبعمائة ليرة.

الكاتب ما قام به الأيزيدية وخصوصا حمو شرو كبيرهم في سنجار من الجهود لحماية المسيحيين وحقن دمائهم في تلك الأيام العصيبة.

لقاء بطريك الأرمن المنفي في الموصل

وفي تلك الأيام توجهت إلى الموصل وكان هناك بطريرك الأرمن الذي كان منفياً من اسطنبول وكانت القضية شأن قتل، فتوجهت معه واسمه زافيل أفندي وهو الآن في بغداد وتكلمت معه سراً، وقلت: له لكم جماعة كثر في سنجار فتعال أهربك إلى هناك ولن يعلم أحد بهذا فقال: لايليق ذلك بوظيفتي وأخاف على بقية الجماعة الموجودين هنا،وأنا ممتن وشاكر لكم و أدعو أمام المسيح.

زيارة إلى معبد لالش

ومن هناك زرت الشيخ عادي وكان بفكري أن أقابل قائد الروس، وعلمت أن عسكر الروس قد اقترب من راوندوز، وبينما كنت في زيارة للشيخ عادي سمعت أن عسكر الروس قد حضر إلى العمادية ورجع فرجعت من هناك، وكان برفقتي أثناء رجوعي إلى الموصل بهرم أفندي رجل فداي وأونيس أفندي بن قس أورفا وشيخ خلف متولي شرف الدين.

هددني الآي بكي في الموصل نتيجة أزمة سنجار

طلبني في الموصل (الآي بكي) واشتكى علي وهددني لأن أهل سنجار أصبحوا عصاة أمام الحكومة، وتساءل باستنكار فيما إن كانوا قد أصبحوا دولة أو باتوا أقوى من البلغاريا وارمنستان وغير ذلك، وطلب مني إرشادهم وتوجيههم إلى الالتزام بحكومتهم، وخاطبني قائلاً : يجب عليك أن تنصحهم بإطاعة الحكومة وإلا سأسجنك لأنك أميرهم ورئيسهم وشيخهم فأجبت نعم، أنا من هذه العائلة لكن لا أحد يسمع كلامي، فهنالك من هو أقدم مني مثل سعيد بك وبابا شيخ، فكتب اسمهما شيخ علي وسعيد بك، ثم خرجت وتوجهت إلى سنجار، وبعد ذلك أرسل الآي بكي بطلب سعيد

بك وشيخ علي وتكلم معهما ووجهما إلى سنجار لأجل الإصلاح، فحضرا ودارا بين الجماعة ومن منهوبات الأتومبيلات – أصوات السيارات- جمعوا قليلاً من الدراهم والأوراق النقدية وسلموها إلى الحكومة.

شكر وتقدير من حكومة الإنكليز لحفاظ الأيزيدية على المسيحيين الأرمن

عند ذهابي إلى الموصل كنت قد عملت أختاماً بأسماء أكابر الجبل قرابة أربعين ختماً وحفظتها عندي لأني قلت أن الحرب مشتدة مع الترك والروس وغيرهم وإن حدث شيء لنا فمتى أقدر هؤلاء الآغوات ولهذا أنجزت تلك الأختام لوقت الحاجة. وفي سنجار حضر إلي رجل مسيحي اسمه أوسي من واحد ينابيل في بغداد وكتبت له ورقة بختمي وأختام الآغوات جميعهم، وأرسلتها مع الرجل يوسف إلى حكومة الإنكليز وكان ذلك في أيام الخريف بعد سقوط بغداد، [1] وطلبنا من حكومة الإنكليز مساعدتنا ضد الترك فرجع إلينا يوسف في الربيع ومعه ورقة من قائد الجيش العمومي مستر مود[2] لي ولجميع آغوات الجبل ولحمو شرو، يقول: إن حكومة الإنكليز تشكركم كثيراً ؛ لأنكم حافظتم على المسيحيين ولم تتركوهم ومتى يضيق بكم الأمر فنحن سنساعدكم بكل مايلزمكم، وكانت معه أيضاً مكاتيب إلى شيخ طي وإلى ابن إبراهيم باشا يريد أن يوصلها إليهم، فقلنا له لاتذهب بهذه التحارير دعها، سنتكفل بأمر إيصالها إلى أصحابها مع أشخاص آخرين ؛ فأنت مسيحي نخاف عليك لئلا يغدروا بك، فأجاب: هذه المسألة مسألة شرف ويجب أن أحصل على هذا الشرف وتوجه إلى شيخ طي وخرج من هناك ميمماً بوجهه إلى ابن إبراهيم باشا فأمسكوا به في الطريق وذبحوه وأخفوا جثته المفقودة إلى هذا اليوم.

---

(١) سقطت بغداد في يد الإنكليز في ١١ آذار سنة ١٩١٧.

(٢) Lieut-Gen. Sir Stanley Maude (توفي ١٨ تشرين الثاني سنة ١٩١٧)

وفي تلك الأيام حين كان الترك يهجرون المسيحيين ويسوقوهم إلى الذبح أو إلى الموصل أو إلى أماكن أخرى، كنت أذهب إلى كل قافلة تحضر من دير الزور إلى عين غزال وتكون قريبة منا وأطلب من الشرطة المأمورة بتلك القافلة أن تعاملها بالرفق واللين، و كنت أتكلم مع المهاجرين بلسان الأرمني أو التركي وأوجههم إلى الهرب والتوجه نحو الجبل وهناك سيساعدهم الأيزيديون ويزودونهم بكل ما يلزمهم ويحتاجونه، وهكذا هرب عدد من الرجال والنساء الذين أرادوا الخلاص والذين كان معهم دراهم ولا يريدون الهرب ذهبوا ولم يرجعوا، و اشتد الغلاء في الموصل وسنجار وفي كل مكان، وكان داري كمركز يقصده المسيحيون ويراجعونني في جميع أمورهم لأشير إليهم وأنيرهم بالسبل والحلول، فكنت أوزعهم على القرى وأوصي بهم الاهالي ولما كانت الحكومة آنذاك ضعيفة فإنها لم تكن قادرة على أخضاعنا في ذلك الوقت، وكان في سنجار قائمقام اسمه (محي الدين أفندي) وامرأته كانت في الموصل وفي داري اربعة نساء من الأرمنيات قد حافظت عليهن، فأرسل إلي محي الدين أفندي يطلب مني أن أرسل له امرأتين من الأرمنيات لتبقيا عنده، فرفضت و أجبته بأنه من العار والعيب فعل ذلك، قلت له: أنت موظف في الحكومة وحامي الشرف والعرض تطلب مني ذلك ؟! تركت امرأتك في الموصل حرة وتوجه أهواءك إلى البنات المسيحيات ؟ فلما سمع مني ذلك اغتاظ مني واشتد حنقه وسخطه وسرعان ما كتب إلى الموصل رسالة مفادها أن الأيزيدية هنا في سنجار بالإضافة إلى أعمال النهب والسرقة والقتل والعصيان الذي يقومون به ضد الحكومة والمسلمين، فإنهم أيضاً يتواصلون مع الإنكليز ورئيسهم ومدير مشورتهم إسماعيل بك. وبعد هذه الاتصالات مع اسطنبول ورد الأمر من أنور باشا بإعطاء جميع العرب الموجودين حول الجبل من طي وشمر واجحيش وغيرهم الصلاحية بأن يمحوا اسم أيزيدي في جميع حدود سنجار وغيرها من الأماكن، وتكون الرأس للحكومة والأموال والبنات والنساء والأملاك للعشائر وكان ذلك في أوآخر كانون الثاني من سنة ١٩١٨ فحضر عسكر تركي خاص مؤلف من ثلاثة طوابير كان يحارب في قفقاسية وتقدم إلى تلعفر، ثم تواصلوا مع العاصي شيخ شمر ومع مسلط شيخ جبور ومع شيخ طي وأمروهم بأن يقتلوا اليزيدية وينهبوا النساء والبنات والأموال. تقدم العسكر مع نفير عام إلى عين غزال في ٢١ شباط مع ستة أطواب

(الطوب – المدفع) جبلية وطوب يجره اثناعشر جاموساً وعملوا استحكامات هناك وأرسلوا بياناً طلبوا منا ثلاثة شروط :

أولاً: أن نسلمهم جميع المسيحيين الموجودين في جميع أطراف سنجار.

ثانياً: أن نسلمهم جميع الأسلحة الموجودة عندنا.

ثالثاً: يطلبون اثني وعشرين رجلاً من أكابر وآغوات اليزيدية ليذهبوا إليهم في نقطة عين غزال. وهكذا بلّغوا هذه الأوامر بواسطة العسكر جندرمة، وإن لم نستجب لهذه الشروط وننفذها بحذافيرها سوف يضربون الجبل ويمحون اسم أيزيدي من سنجار، فجميع الآغوات الذين بلغتهم هذه الأوامر كانوا قد أمسكوا بالعسكر ونهبوهم وأخذوا بنادقهم، ولم يتركوا لهم سوى السراويل للسترة، بل ومزقوا التبليغات وقالوا: لن نقوم بهذه الأوامر ولن نسلم نساءنا وبناتنا وإن ذبحنا حتى آخرنا، فعند ذلك نسلم المسيحيين.

وفي المساء دعوت آغوات البلد جميعهم عندي، ذبحت لهم ذبيحة وأقمت لهم وليمة لنناقش وضعنا ونتشاور فيما علينا فعله، فقالوا: إن الحكومة قد أعطت لنا الأمان، قلت: إن الأيزيدي هو واحد إن كان في الجبل أو في غير الجبل، ولهذا أرى أن نرسل نساءنا وأولادنا وأغنامنا ومالنا إلى الجبل ونبقى نحن الرجال لتكون محاربتنا في البلد، ولن نشعر بالضيق والحصار فالجبل قريب منا ونستطيع أن نهرب،[1] فما اتفقوا على رأي مبني على كلامي وقالوا: عيب علينا أن نهرب وتأتينا المساعدة من حمو شرو، ولما رأيتهم على حال من عدم الاتفاق والاتحاد على قرار وغير مقتنعين برأيي

(١) هذه هي الخطة التي كان يتبعها أيزيدية سنجار في محاربة الأتراك. فإنهم، عندما يبلغهم خبر اقتراب الجيوش التركية، يلجؤون مع نساءهم ومواشيهم إلى معاقل الجبل وكهوفه فيتقدم الجنود وينهبون ما في القرى ويحرقون بيوتها ويحاولون الهجوم على الجبل، ولكنهم يعودون في أكثر الأحيان بخفي حنين. راجع مثلاً :

وصف الحملة العثمانية عام ١٨٥٦م رافقها العالم الآثاري هنري أوستن لايارد

ومشورتي، جمعت عشر جحاش فأتتني عشرون امرأة تقريباً من الأرمن وطلبن مني حمايتهن بعد أن خفن من العسكر، وكانت كل واحدة منهن تحمل شيئاً من لوازمها، ثم توجهنا إلى دير عاصي[1] في الجبل وبتنا تلك الليلة هناك، و في تلك الليلة رأيت حلماً كأنما على كتفي هكبة (خرج- حقيبة) وأنا صاعد إلى الجبل وإذا بماء أمامي فعبرته وكان صافياً ممتداً إلى صدري، وإذا بأحدهم يناديني ويقول تعال إلى الجانب الأيمن، ولما ذهبت هناك رأيت ضابطين من الإنكليز من الكبار قالا: هذا هو، ومعهما من جميع الروحانيين اليزيدية وآبائي وجدي عبدي بك وحسين بك وكوجك بريم وكوجك عيسو وغيرهم من الروحانيين بينما جميعهم أموات، وكان هنالك حجر كبير فالقومندانين وقالا: أي واحد من هذه الجماعة يستطيع أن يصل الحجر بقفزة واحدة؟ وكان ذلك هو المطلوب، فتقدم الأكابر من عائلتنا بيت الأمير ولم يتمكن أحد منهم أن يصل الحجر، ومَن من بيت بابا شيخ أيضاً لم يستطيعوا، وكذلك الذين من بيت كوجك إبرهيم. والبقية عجزوا عن ذلك. وأخيراً أتأني رجل وقال لي: لن يتمكن أحد من هؤلاء من أن يصل الحجر و عليك أن تصل إليه، فقلت: إن جميعهم أكبر مني وأقدم وأشرف ولم يقدروا فكيف لي أن أقدرأنا ؟ قال: لا تخف ياولدي، فقط قف هنا وارفع نفسك، ستساعدك الأرض وتوصلك إلى أعلى الحجر، وبالفعل وقفت ورفعت نفسي فساعدتني الأرض وارتفعت ورأيت نفسي على الحجر، فصاح الجميع: هذا هو المستحق لهذه الوظيفة وأنا لم أعرف ما هي الوظيفة فقط أعرف أنها مسألة روحانية.

مأساة أهالي سنجار في الدفاع عن المسيحيين ضد قوات الحكومة

عند الصباح مع الفجر أشتغلت المدافع على البلد حيث تقدم العسكر في الليل نحو البلد ولم يكن لدى أحد علم باقترابهم ووتوجههم إليها ووصولهم، ونشب القتال بينهم فقابلوا العسكر من محلة الهبابات قرابة أربع ساعات، كان هنالك رجل روحاني اسمه

(١) اسم مزرعة صغيرة قائمة في موقع حصين في جبل سنجار فيها آثار أديرة قديمة (حسب تعريف الآنسة ونسة إسماعيل بك).

يزدو الذي استل السيف وهجم وتبعه نحو خمسون رجلاً في الهجوم على العسكر، ولما وصلوا إلى بير زكر داهمتهم قنبلة من الطوب حطمت رِجل يزدو فقُتل في مكانه، وأما الرجال الذين كانوا معه فقد تشتتوا وهربوا إلى الجبل وتركوا أموالهم وذخائرهم ونساءهم وبناتهم في البلد، واستطاع بعضهم أن يهرّبوا أولادهم ونساءهم، واتفقت مع الواحد وطلعنا جميعنا إلى الجبل إلى (بردحلي) عند حمو شرو حيث اجتمع هناك آغوات الجبل جميعهم، لكن العسكر دخلوا البلد ونهبوا وفضحوا كثيراً من النساء، وكانت الغالبية المتواجدة من المسلمين لأن اليزيدية نقلوا نساءهم وأبعدوهن، فجرت مباحثة ونقاش بين الآغوات حول كيفية تدبير الأمور مع العسكر لأنه بالإضافة إلى العسكر فقد كانت هنالك عشائر شمر والجبور والجحيش والطي وأبو منبوت وغيرهم[1].

طلب الأهالي النجدة من الإنكليز، ومأساة الوصول إليهم

قال الآغوات جميعهم بلسان واحد: مالنا ملجأ ولايوجد غيرك من بيت الأمير فيجب أن تكون فدائياً عوضاً عن هذه الأمة فتصل بنفسك إلى الألمان في نصيبين أو إلى الإنكليز في بغداد وتطلب لنا المساعدة فلم يعد هنالك ملجأ لنا، فقلت: بالنسبة للألمان فلا أستطيع طلب النجدة منهم، فقبل أيام قام بعض الأيزيدية بنهب سياراتهم وذخائرهم فإذا وصلت إليهم سيوصلوني إلى الترك ويفرمون لحمي ويسحقون عظامي، لكن أريد أن تعاهدوني أن تكونوا معي قلباً واحداً، وإذا توجهت وعدت ظافراً فإني سأكون عليكم أميراً، لأني مستعد لأن يُسفك دمي في سبيلكم، وهكذا عاهدوني أن يكونوا معي قلباً ولساناً وعملاً فطلبت منهم أن يدعوا لي أمام الشيخ عادي وطاووس ملك، وقد أرسل الشيخ خلف الهسكاني إلى عبيد الخدعان شيخ الخرسا يدعوه إلى داره حيث إذ كانت تربطهم مودة تامة فحضر عنده في قرية سنوني، وسأل: ماذا يريد

(١)راجع G. Bell، Review of the Civil Adminstration of Mesobotamia (١٩٢٠) ص ٥٠.

حتى يوصلني إلى بغداد فقط إلى حدود الإنكليز فأجاب مهما تعطوني فأنا موافق، أنا صديقكم ولا أقوم بعمل مقاولة معكم، وكان معي نحو سبعين ليرة من الذهب فدفعت خمس عشر ليرة إلى شيخ الخرسا واشتريت فرساً بثلاثين ليرة وتركت خمسين ليرة لعائلتي وقلت لهم: إذا قتلت فسوف تستطيعون أن تدبروا حالكم مدة سنة بهذه الدراهم إلى أن يصير الفرج، وإذا رجعت يكون الفرح والفرج تامَّين. وتركت أهلي في قرية (كوركا) عند (مراد سرحان) وركب معنا الشيخ خلف إلى (تل شور) وكان معي أيضاً رجل من أكابر الأرمن اسمه (بروفيسور) أخذنا له فرسا وركب معنا، و الذي ضرب عبدالحميد بقنبلة مع ثلاثة آخرين هرب من اسطنبول وأتى إلي، ورافقنا رجل أرمني من ماردين اسمه (كربو) وفي الصباح غادرنا تل شور وتوجهنا نحو البرية إلى أرض اسمها (حصيلة)، وقبل أن أنام في تلك الأرض قمت من بين رفاقي وابتعدت عنهم قليلاً وسجدت على الأرض ثم صليت لله وطلبت من الشيخ عادي وطاووس ملك وقلت: إذا كان هذا المذهب حقيقياً وأنت قد حكمت به و يسير كما تريد ووفق مشيئتك فإني أدعوك لأن توصلني إلى بغداد، وتكون معي وتساعدني، وإذا كان هذا المذهب باطلاً وكذباً والواحد يكذب على الآخر فأنت تسيرني حسبما تريد وسجدت ثلاث مرات على الأرض.

وصباحا قمنا وسرنا حتى وصلنا إلى الحضر، وكان هنالك أعراب كثر دهام الهادي وحاجم ومجول وغيرهم كثيرون، فنزلنا في بيت أحد شيوخ العبدة (إحدى فرق شمر الجربا) أنا وخاجنو ونزل ربو وعبيد الخدعان في بيت آخر، وقدموا لنا تمراً وقشطة، واعتذر لنا صاحب المحل بسبب عدم وجود الخبز وقال صار لنا شهران لا نعرف شكل الخبز، وطلبنا منه شنينة (لبن) فقال: سوَّد الله وجه شيخ خلف ابن عمك فقد سلبني سبع قطعان من الغنم، فقلت له: من أين تعرفني؟ أنا أيزيدي فقال: من عينيك عرفتك، ومع هذا فلا تخف ولو كنت أنت شيخ خلف، وفي الصباح ركبنا وتوجهنا إلى بيت دهام ولم يكن حاضراً في البيت فقد كان متوجهاً إلى بيت حميدي باشا، لأن جعفر طيار باشا كان حاضراً هناك وجمع شيوخ الأعراب والبدو ليتباحثوا فيوزع عليهم الأسلحة ويحركهم للمحاربة مع الإنكليز ويعطيهم معاشات، وبينما نحن هناك بلغنا أن جعفر باشا قد علم بحضوري، فأمر أن يمسكوا بي وأن رجلاً من عشيرة

الخرسا قال لرفيقي: عليك أن تحافظ على هذا الرجل ولا تقصربشيء في طريقه، فقال: إن دهام (لا يخرب بخته) معي إن هذا الوقت لم يبق فيه (بخت) فتشاورنا على أن نرجع إلى الجبل، لذلك قمنا من بيت دهام وأتينا إلى عرب آخرين ونزلنا في بيت حسين القشم، فسألونا إلى أين تذهبون؟ قلنا: كان لنا صديق ورأيناه في بيت دهام والآن سنرجع إلى سنجار، فقالوا ألا تذهبون إلى بغداد إلى الإنكليز؟ فقلنا: أي شغل لنا مع الإنكليز؟ وكيف نصل إليهم؟ ومكثنا يومين عند حسن القشم وهناك رأينا رجلاً اسمه عليوي شمري كان يعرف الطريق، وفي منتصف الليل مشينا معه ولا أحد يعرف بنا أو يهتدي إلينا وأظهرنا أننا راجعون إلى سنجار، لكننا توجهنا إلى بغداد ومشينا ذلك النهار في البراري، وقبل الغروب وجدنا قبالتنا تلاً كبيراً، قال عليوي: يوجد رجل على رأس التل وأخاف أن يكون غزواً فيضربنا، ولما اقتربنا من التل رأينا الرجل وضابطاً تركياً مهزوماً من العسكر، كان اسم الرجل (حاجي اسماعيل حلبي) قال: أنا في ذمتكم صار لي خمسة أيام قضيتها جائعاً وأريد أن أتوجه إلى حلب وقد هربت من الأوردي ولا أعرف الطريق، فبينا له أننا لا نملك خبزاً وكان معنا شعير مشوي فأعطيناه قليلاً، وأراد عليوي الشمري أن يسلب الضابط ما معه ولكني لم أرض بذلك، ودليناه على الطريق وعلى الماء ومضينا في حال سبيلنا ومشينا ذلك الليل والنهار حتى الساعة الثانية من الليل، وخفنا خوفاً شديداً لأننا سمعنا أن عرب الدليم على الطريق وأن هؤلاء العرب متفقون مع الترك، ثم وصلنا إلى أرض اسمها أبو كدور(شمال غرب تكريت) وهي على حدود العراق والبريجة، ومن الخوف تركت بيدي رشمة[1] فرسي واستندت على كتفي وما كان النوم يأتيني، وبينما أنا مُسند نفسي ما بين النوم والصحوة رأيت حلماً، أن أمامي على بعد رمية حجر بيت من بيوت أهل قرى اليزيدية يقف على أربعة أعمدة وبابه متجه نحوي، وأمام الباب رجل يرتدي ثياباً بيضاء وبيده طنبورة يضرب بها ومعه رجل من فقراء اليزيدية متوسط القامة رأسه مكشوف وشعر رأسه أبيض وأسود يرقص على ضرب الطنبورة ويقول: إن الإسلام باد

(١) تركية ومعناها قطعة الحديد التي توضع في فم الحصان وتغطي أنفه.

وانمحى فانتبهت وأنا أفكر بهذه الرؤيا فقلت في نفسي وخاطري: إن شاء الله تكون دلائل الخيرو تكون هذه الرؤيا حقيقية.

وعند منتصف الليل تركنا ذلك المكان وفي الظهر رأينا عرباناً فسألت عليوي: (٧١) ما اسم هذه الأرض فقال: إنها أرض الزبيدي وشيخ رشيد أبو زعيان شيخ الدليم نازل فيها، فقلت له: فإذا مشينا أما من مكروه أو خطر يقع علينا؟ قال: إذا سرنا فالرعيان يرونا ويسلموننا إلى الشيخ الذي سيبيعنا إلى الترك كما يبيع جلد الثعلب، ولكن من الأفضل أن ننزل في بيت الشيخ وإذا سألونا عن أحوالنا نقول: قد حضرنا لنشتري القهوة والسكر، والتمر، فنزلنا في بيت الشيخ وسألونا عن أحوالنا وأجبناهم بذلك، وهكذا ذهبنا لنشتري قهوة وسكر، وكان هناك رجل من تكريت قال: عندي طلبكم وكل ما تريدون فأخذنا نتحدث معه فيما يخص البيع والشراء، وكان الوقت رمضاناً، فسألونا عن الصوم فقلنا: نحن على سفر ولا نستطيع أن نصوم، فأحضروا لنا قرصاً واحداً من الخبز مع التمر واللبن أكلناه جميعنا، وبعد الغروب حضر العربان على القهوة وأخذوا يتداولون الأحاديث فيما بينهم، ويقولون إن الإنكليزي يغلب والبعض يقولون إنه مكسور وتشققت أطوابه ونحن ساكتون نصغي و نسمع، فقلت لأحد الخدم :أعطني قليلاً من الماء يا ولد فسمعت شخصاً من ورائي يقول: أعطوا الماء لهذا الأيزيدي من سنجار فهو متعلم على الماء البارد، فقلت: من أين تعرفني؟ أنا أيزيدي من سنجار فقال: ما رأيتك قطُّ ولا عرفتك ولكن من عيونك وشكلك، فصار الجميع يتفرسون بي ويتحدثون فيما بينهم والبعض يقول: هذا نعم الصيد الآن سنسلمه إلى جعفر باشا، ومنهم من يقول شيئا آخر، أخيراً قال الشيخ: صباحاً سنسلمه، وكانت معي أوراق من آغوات سنجار ومكتوب ضابط إنكليزي فقبل دخولي إلى بيت الشيخ، فطمرتها بمحل أعرفه وأهتدي إليه، ووضعت عليه حجراً كعلامة، وبعد أن صار القرار أن يسلموني صباحاً إلى جعفر باشا قام الجميع وبقي الخواص نحو عشرة أشخاص، فأسرَّ إلي عليوي وقال: سأعلمك شيئاً تخلص به وإذا ما خلصت فما لك خلاص أبداً، وهو أن الشيخ الآن قام وخرج من البيت فالحقه وأمسك ردنه واعقدها وقل له أنا بجوارك وببختك، فإذا ما خلصك فما لك خلاص أبداً، وهكذا لحقت بالشيخ ومن ورائه أمسكت بردنه وعقدتها وقلت له: إذا أرسلتني إلى الأوردي فلن يقتلوني لكن كل

يوم سيعذبوني ويقطعون جسدي قليلاً لكن إن قتلتني أنت فهذا أفضل، وصرت أتذلل أمامه فقال: أنت فقط اصدق معي واحكِ حكايتك، من أنت؟ وابن من وأين تريد الذهاب ؟ فأجبت أنا إسماعيل بك بن عبدي بك متوجه إلى بغداد لأقابل قائد الجيش لأنه قد ورد لنا منه تحرير، وما يعطيني من العسكر وأطواب أو غير شيء سآخذه معي، فأطرق طويلاً ثم رفع رأسه وقال: أرى أن الله قد أخذ السلطة من الترك ونصر الإنكليز فقد أعطيتك الأمان على شرط أن تعاهدني أنك إذا وصلت بغداد وقابلت المندوب السامي أن تقول له أن أبا جزعان يريد أن يحضر عندكم ويصير من أتباعكم، فأجبت: نعم سأفعل إذا سهل المولى، ووصلت وقابلت قائد الجيش والمندوب السامي فقبل حكايتي، وقال لا تقل شيئاً للجالسين في الدار من هذا الكلام أبداً، عند نصف الليل سأرسل معكم خيالين يوصلونكم إلى المكان الذي تريدونه، فشكرت فضله ورجعت، وحين سألني عليوي قلت له إن شاءالله خيراً.

وهكذاعند انتصاف الليل ركب معنا خيالان وسرنا من هناك وأتينا إلى أرض الشنانية[1] إلى عشيرة أبوسقر(فخذ من قبيلة دليم) ونزلنا في بيت شيخ خلف وتناولنا طعام الغداء، ومن هناك رجع الخيالان وركب معنا أيضاً خيالان من عشيرة أبي سقر، الذي كان نازلاً قبل سامراء ووصلنا إلى عشيرة أبي سقر الآخر في الساعة الثانية ليلاً ونزلنا عند الشيخ متعب، حيث ذبحوا لنا ذبيحة وسألنا الشيخ متعب: أ أنت شيخ الأيزيدية؟ أجبته : نعم. قال : أتريد الإنكليز؟ قلت : نعم. فقال : على الرأس والعين. وفي الصباح ركب معنا الشيخ وابنه وابن أخيه وكان أوردي الإنكليزي أمام سامراء، فجلسنا على النهر في الوادي وتوجه خاجنون وابن أخ الشيخ متعب إلى قائد الأوردي وأخلوا لنا خيمة.

(١) لعلها Al-Shnane التي ذكرها Musil في كتابه The Middle Euphrates ص ١٥٢ وعين موقعها في الخريطة الملحقة به c-f-10

مطاليب أيزيدية سنجار إلى قادة الإنكليز في سامراء وبغداد

حضر عندي بالجادر الجنرال والكونيل وغيرهم وأخذوا إفادتي وسألوني عن أحوال سنجار وبينت لهم ما فعله الأتراك في الجبل من القتل والنهب وغير ذلك، والخلاصة قُتل من الأيزيدية (١٣٠) مائة وثلاثون ومن عسكر الأتراك (٢٥٠) مئتان وخمسون جندياً، وأحرقوا (٢٥) خمساً وعشرين قرية من قرى اليزيدية ونهبوا (١٥٠٠٠) خمسة عشر ألف رأس من الغنم وتقدرالخسارة التي وقعت في الجبل مع الغنم والخيل والبغال وغير ذلك ب (٢٠٠٠٠٠) مئتي ألف روبية، وذلك لأنهم طلبوا منا أن نسلمهم المسيحيين فرفضنا و لم نفعل ؛ ولهذا فعلوا بنا هذا وسألوني ماذا تريد الآن لشعبك؟

أجبتهم : أريد ثلاثة آلاف بندقية مع فشك (طلقات) وذخائر وأريد خمسة وعشرين مترليوز مع أربعة أطواب (مدافع) ونصف طابور عسكر هندي وطيارتين، وسنضرب من طرف نصيبين وتلك الأطراف، واضربوا أنتم من هنا وهكذا إن شاء الله ستسقط الموصل، وإذا لم نأخذها فرقبتي أمامكم، فسُرُّوا وفرحوا للغاية بهذا الكلام، وقلت لهم: و إن لم تفعلوا ذلك فأعطوني تنكة سم (صفيحة من السم) لآخذها معي إلى جماعتي والمسيحيين الموجودين هناك لنشربها جميعنا تذكاراً منكم ونموت، وأنتم أيضا ارجعوا إلى بلادكم من هنا، كما أعطيتهم إفادة عن شيخ الدليم بأنه يريد أن يرجع تحت حمايتهم ويرجع إلى أرضه إلى الرمادي، وفي الحال أرسلوا إليه تحريراً يقبلون طلبه.

وفي تلك الليلة أعطوا قائد الجيش مارشال استرانلي ماود تيلغرافاً، وفي الحال جاء الجواب يقول: أريد هذا الشيخ لأراه، وفي الصباح ذهبنا إلى بغداد، وأنزلونا في محل في سوق الغزل في مسافرخانة (فندق) الخاص بالحكومة، وفي اليوم التالي أرسلت مسس بيل[١] في طلبي فتوجهت إلى عندها، وقدمت لي خريطة عن حمام العليل[١] وإلى جبل

(١) m iss Gertrude Bell السياسية والكاتبة الإنكليزية الشهيرة.

عبد العزيز[٢] وصارت تسألني عن القرى والمكان الذي ينطوي على الأخطاء والأغلاط فأبين الصحيح والعلة، وهكذا قضيت معها مدة من الزمان وأصلحت تلك الخريطة ولما قامت من هناك سلمتني ثلاث أوراق بثلاث آلاف روبية وقالت: اقبل هذا مني إلى أن ننظر في شغلك، كما سألني قائد الجيش: كم رجل موجود في جبل سنجار حامل للسلاح؟ فأجبت: (٦٠٠٠) ستة آلاف ثم سألني: كم قرية يوجد فقلت: نحو (٦٠) ستين قرية، أخيراً قالوا: ابق أنت هنا إلى أن نسأل ونحقق في مسألتك وأعطوني معاشاً خمسمئة روبية شهرياً مع تعيين راشد وجميع لوازمي، وهكذا بات كل يوم يدعوني جنرال أو قائد ويأخذونني بالطيارة، واستمر حالي على ذلك تسعة وعشرين يوماً وبعدها راسلني قائد الجيش ذلك اليوم بأن الجنرال مارشال يريد مقابلتي فذهبت مع قائدين إلى الجنرال في محل القنصلخانة الإنكليز، وهناك قال لي قائد الجيش: الآن في هذا الصيف والحر لا نستطيع أن نعطيكم قوة نارية نخشى أن يكتشف الأتراك أمركم ولن تستطيعوا عندها أن تحموا أرواحكم وتحافظوا على أنفسكم، لكن نعطيكم (١٠٠٠٠)عشرة آلاف ليرة وقائدين منا يتدبرا أموركم، وهذه الدراهم اصرفوها عوض الخسائر التي خسرتموها مع الترك، فشكرتهم كثيراً وقلت: نحن نحب أن نخدم دولة الإنكليز بأموالنا وأرواحنا وبكل طاقاتنا وقوتنا، ونستطيع أن نقضي احتياجاتنا بالخبز والماء والبصل، وأما هذه الدراهم فأعطوها للعربان وغيرهم من العشائر، إننا قانعون بكم مكتفون بما تقدمونه لنا، وعرضوا علي الدراهم ثلاث مرات وأنا أرفضها، أخيراً قالوا: سنرسل معك هذين الرجلين أحدهما الدكتور الأوردي والآخر مهندس فقلت: لا أستطيع الذهاب معهم ما لم تكن لدي قوة، فقال: أي قوة تريد ؟ فقلت : أن

---

(١) حمام العليل ناحية في جنوب الموصل فيها مياه معدنية.

(٢) قد يكون الموضع المسمى بهذا الاسم في الجنوب الشرقي من الموصل: راجع الخريطة الثانية الملحقة بكتاب Layardm، Discoveries among the Ruins of Nineveh and Babylon أو لعله يقع قرب "زيارة عبد العزيز" في جبل سنجار. راجع الخريطة الملحقة بـ١٧٨المجلد الأول من Sarre und Herzfeld، Archaeologische Reise im Euphrat- und Tigris Gebiet

يرافقني فيصل بن فرحان باشا[1] فأذهب معه، فقال: لا يوجد عرب يوافقونه، فقلت: لابأس..يكفي أن يكون معنا، فما دام ابن فرحان باشا فما علينا من ضرر، وفي الحال اتصلوا به بالتليفون لأنه كان في بلد آخر، ثم حضر عندي، ثم قالوا لي: نبشرك لئلا تقلق بشأن ملتك في سنجار فقد حاربنا بقوة في كركوك والعسكر الذي كان في سنجار قد رجع إلى كركوك، والآن سنجار في أمان تام فشكرت فضل الإنكليز لهذه البشارة المطمئنة.

ولما حضر عندي فيصل الفرحان ومثلنا أمام القائد العام سألنا ماذا تريدون من القوة فقلت نريد خمسين نفراً من العرب فأعطونا ما أردنا مع الطعام والشراب، ولكل رجل من العرب عشر ليرات، وركب معنا تركي ابن الشيخ فيصل وهذيان وركبنا الهجن وأتينا إلى بلد دسميجة والخمسون نفراً من العرب كانوا ينتظرون على الطريق، وصرنا نمشي ليلاً ونهاراً لكي نصل للمكان الذي نقصده، وكان المهندس يلتقط صور الأمكنة سواء أكانت وادياً أو تلاً أو ماءً أو غير ذلك، [2] ونزلنا في محل اسمه منايف، وكان هنالك ماء يسمى ماء البيضي قرب تل منايف الذي صعدته برفقة القائدين وتركي بن فيصل وهذيان، وتركنا العرب مع الهجن يتبعوننا وتقابلنا على الجبل وسن كلوب، ثم توجهنا صوب جدالة عند منتصف الليل ولم نتوقف فيها وإنما ذهبنا إلى مكان يسمى كلي كولية (أعني وادي الورد)، وفي طريقنا صادفنا رجلين مسلمين من الحلاقية كانا قد أتيا إلى البلد ليشتريا الحنطة، فقلنا لهما: ستذهبان إلى البلد و تعلِمان بنا، خذا هذه الأربع مجيديات وتعالا معنا وصعدنا جميعنا إلى رأس الجبل بير سوبدكي، حيث كانت هنالك عين ماء قريبة من كرسي، ثم قمنا بإرسال واحد ممن أمسكنا بهما إلى حمو شرو وجماعته، وبعد ساعة حضر حمو شرو وجماعته إلى هناك، و في ذلك اليوم كان في كرسي نحو مائة وثلاثون يوزباشي و مدير الشعبة، و في بلد

(١) أحد شيوخ قبيلة شمر الجربا كان حين ذلك موالياً للإنكليز. راجع G. Bell: Review of the Civil Administration of Mesopotamia ص ٥٢ ١٩٣٠

(٢) هذه هي على ما يظهر، الرحلة الاستكشافية لجبل سنجار التي قام بها Captain Johnson وذكر بها (تقريره المذكورأعلاه ص ٥٠) G. Bell

سنجار نحو نصف طابور مع قائمقام وبين باش إدريس بك و كذلك في القيران والسموقة وفي كل قرية تقريباً كانوا قد وضعوا عسكراً، وطاعة الحكومة قائمة بدافع الخوف، وفي الوقت ذاته كانت الحكومة تخاف أحدهم، كان ذلك أمراً مؤقتا، ً فسأل القائد حمو شرو ورفقائه عن طلبهم وأحوالهم فأجابهم حمو: ما نريده هو ما قاله أميرنا إسماعيل بك، عليكم أن تعطونا الأسلحة والقوة و بالمقابل علينا أن نحارب الترك ونطردهم من هذه الأماكن ونسقط الموصل، وهكذا أخذ صورهم جميعا مع إقراراتهم وأخذوا معلومات عن ست وسبعين من الترك والألمان وعما يخص قوتهم وتحركاتهم، وكان وصولنا الجبل في الثلاثين من حزيران حيث صادق جميع أهل الجبل على قولي وقالوا: هذا أميرنا ونحن طائعون مستجيبون لكل ما يقول، ثم بينا لهم مكان الطيارات في سردشتي وهناك حضرت عندي امرأتي عمشة مع ولدي عبد الكريم وابنتي ونسة وقالت لي عمشة: لقد ذهبتَ إلى الإنكليز وقدوم الأتراك إلى هنا أمر غير معلوم، ففي كل وقت يهددوني ويقولون: إن زوجك قد ذهب إلى الإنكليز حتى أنهم يعتدون عليَّ و لهذا لن أبقى هنا، واتصلت بقواد الإنكليز فقالوا: لا لزوم لشيء سوى أن تأخذ امرأتك وأولادك معك، وأخذنا لهم الدواب وفي الساعة الثامنة ليلاً سرنا من الجبل وحضر ثلاثة من الفقراء على طريق العبور من الجبل، وفي الطريق وقع الدوربين (النظارة) خاصتي من جيبي، فقلت لرفاقي: اسبقوني وواصلوا السير أما أنا فسأبحث عن الدوربين وبحثت عليه مدة نصف ساعة حتى وجدته، ولما أردت اللحاق برفاقي التبس علي الطريق وتهت واشتد علي العطش بسبب الحر وأصابني الدوار من شدة الظمأ، فصرخت صرخة عالية على عمشة وابن جومرين فأتاني صوتهما ولحقا بي وسكبا عليَ الماء إلى أن استعدت قوتي قليلاً، ثم واصلت السير معها وأتينا إلى المنايف حيث رفاقنا، ثم إلى الحضر وهناك أخذ القومندان الرسوم الموجودة هناك، فقلت لهما: إذا عرف الأتراك بنا سيقتلونا فأجابا لابأس فنحن ملزمون بأخذ هذه الرسوم، ومشينا في تلك الليلة ودخلنا إلى أرض تسمى الزبيدي، وقد كنا خائفين جداً لأن جبل مكحول كان قريباً علينا فوصلنا إلى تكريت وهناك أوردي الإنكليز وصل تكريت وبقيت في تكريت ثمانية عشر يوماً لأن (مقعدي) كان قد تأزم من الركوب وكان الدكتور يعالجني كل يوم. بعدها حولوني مع عائلتي إلى سامراء وبقيت هناك مدة

شهر، وبعد ذلك طلبت التوجه إلى بغداد حيث أعطوني بيتاً مستقلاً في محلة رأس القرية وبقينا هناك ثلاثة أشهر وكان بمعيتنا رجل أيزيدي من سنجار اسمه (خليل) وكان رئيس الاستخبارات قد أرسل إلي يقول يجب أن يأخذ غلامك هذا المكاتيب إلى سنجار، لأن مقصدنا أن نحارب ونأخذ الموصل وأهل سنجار يحاربون أيضاً من جهتهم إلى نصيبين، كما كتب رئيس وقائد الجيش العام بواسطة رئيس الاستخبارات كتب التحارير إلى آغوات الجبل، إذ يقول فيها: نحن بعد أيام سنحارب في جبل مكحول وسنرسل لكم قوة فلا تخافوا، فأرسلنا التحارير مع خليل الأيزيدي وكان ذلك في الخامس عشر من أيلول سنة ١٩١٩ م.

لقاء مع القائد الإنكليزي (لجمن)

وبعد عشرة أيام وصلتني ورقة من المندوب السامي يطلب مقابلتي صباحاً فذهبت لمقابلته في الوقت المحدد، وكان هناك القائد لجمن[١] فأفادوني بأنني سأذهب في الصباح مع ولدي عبد الكريم إلى تكريت لمقابلة القائد العام هناك بخطة الحرب، فأجبت: وبمَ يلزم ذهاب الولد؟ ليبق عند والدته فأنا مستعد لخدمة الإنكليز بدمي وحياتي، قال: يجب أن يذهب انك أيضاً فلا يوجد عمل هناك، ثم خرجنا عندهم وقابلت مسس بيل فأفدتها بما يخص الولد عبد الكريم فما كان منها إلا أن أعطت أمراً ببقائه وعدم الضرورة لذهابه، فتوجهت لوحدي إلى سامراء و وصلت تكريت والتقيت رجلاً مسيحياً كان أسيراً اسمه عبودي بن جرجس فانسجم معي واتفقنا، وبقينا في تكريت عشرة أيام، حيث تحرك عسكر الإنكليز للمحاربة باتجاه جبل مكحول فأفادني قائد الجيش بأنه عليّ الذهاب إلى الحضر مع ثلاثمئة جملاً محملة بالأسلحة والذخائر، وفي اليوم الرابع أرسل في طلبي القائد لجمن في الأشريمية[٢] فقابلته وأفادني بأنه عليَّ

(١) أول حاكم سياسي إنكليزي لولاية الموصل Lt.-Col G. E. Leachman

(٢) في الشمال الغربي من تكريت راجع خريطة Musil الملحقة بكتابه المذكرة أعلاه c9-10 .

أن أذهب بالطائرة إلى سنجار لأخبر أهل الجبل فلا حاجة لهذه القوة، وفي اليوم التالي ورد خبر إلى لجمن بأن الموصل قريباً ستستسلم فلا ضرورة إلى سفري بالطائرة أو إلى أية قوة وهناك قطع العسكر الطريق من الكيارة.

عندئذٍ اصطحبني القائد لجمن معه بالسيارة مع الكابتن اسكوت وأربعة من قواته، ودخلنا الموصل فقال لي لجمن: ابق عند العسكر في قصر حسن أفندي لئلا يغدر بي أحد الأترك أو غيرهم إذا صادفوني، وبعد ثلاثة أيام أرسل علي لجمن ونولدر وقالا: هدفنا وغايتنا أن نذهب إلى سنجار لنرى ما يجري هناك، ولا بد من أن تحضر معنا وتعطي التنبيهات بأن الترك سيخرجون من الموصل عن طريق نصيبين فلا يخرجون عليهم ويتسببون بالسوء والتشويش، وتوجهنا إلى تلعفر وكان هنالك قرابة مئتي نفرٍ من العسكر التركي، فأمرهم لجمن بالخروج وتسليم البلد، وهكذا تسلم لجمن ونولدر العنابير ودوائر الحكومة وسلموا المفاتيح لرئيس البلدية وجئنا إلى سنجار وكان القائمقام (إدريس بك) وعنده (٤٠٠) أربعمئة نفراً من العسكر بينما لا يعلم بسقوط الموصل، ونزلنا في دائرة المكتب حيث وجه لجمن كلامه إلى القائمقام وأمهلهم ثلاثة أيام للخروج من سنجار واللحاق برفاقهم الترك، وأفاد بأن من يحب العرب والعراق فليحضر إلى الموصل وأما التركي فعليه بالخروج، ثم قال لي: يجب عليك أن تستدعي الآغوات ومن يريد التبعية وتحضرون معاً إلى الموصل، أما هو ونولدر فقد سافرا صباحاً واجتمع معي خمسة وثلاثون من آغوات الجبل، كحمو شرو وشيخ خلف وشيخ خدر وغيرهم، وبعد خمسة أيام توجهنا إلى الموصل على الخيل ونزلنا في القشلة العسكرية (المحمة العسكرية) مع خيلنا وهناك أعطونا غرفاً ولخيلنا مبيتاً، وتم الإنفاق والصرف علينا من قِبل الحكومة من جهة توفيق أفندي سرسم، الذي كان يضع لنا ستين روبية بشكل يومي، وهناك زارنا بطريرك الأرمن زافيل أفندي وبطريرك الكلدان عمانوئيل أفندي وقدموا لنا الشكر والعرفان لأننا حافظنا على المسيحيين.

تعيين حمو شرو وكيل الحاكم السياسي لسنجار

تحدث معي القائد الإنكليزي (لجمن) وقال لي: ابق الوكيل من طرف الحكومة في جبل سنجار، وكيل الحاكم السياسي، فقدمت لهذه الوظيفة حمو شرو كبير الفقراء وقلت له: أريد خبز آبائي وأجدادي إن كنت ستعطيني شيئاً من الإمارة (لأن سعيد بك ابن عمي يلتهم كل شيء) لكن حمو شرو شخص مقتدر للوظيفة [1]بالنيابة عني، فأجاب: إن سعيد بك حاضر هنا ونهار غد سنستدعيه مع بابا شيخ والرؤساء الروحانيين ونقيم محاكمتهم في قشلة السنية. وفي الصباح نبَّه لجمن ونولدر خدام القشلة بألا يحضر أحد من أعيان البلد وغيرهم ؛ لإجراء مباحثات ومراجعة حول شؤون الأيزيدية، واجتمع مئة رجل مع سعيد بك وبابا شيخ من الشيخان وسنجار واجتمعنا في قشلة السنية، حيث كلفني لجمن بأن أكون حاكماً على الجبل، فقدمت حمو شرو أيضاً وقال: يلزمنا قائمقايم فقدمنا (حسين آغا بن علي كهية) أخو مطو آغا ثم قال: نحتاج أيضاً كاتباً فقدمنا (نجم عبدالله الصباغ) لأنه رجل مسيحي و صار له مدة طويلة معنا ومطلع على أحوالنا، فسألني: كم نعطي من معاشاتٍ إلى حمو شرو والقائمقام والكاتب ؟

فقلت: هذه ليست وظيفتي وحضرتكم عارفون، فأصرعليَّ بتقديم جواب قطعي، فقلت: إذا وافقتم واتفقتم فلتعطوا حمو شرو (٦٠٠) ست مئة روبية و (٣٠٠) ثلاث مئة لحسين آغا و(١٠٠) مئة لنجم، وعلى الفور صادق على ذلك تحت إمضائي وإمضائه. بعد ذلك سأل الأيزيدية أهل الشيخان وسنجار عن سعيد بك، ابن من يكون؟ فأجابوا: إنه ابن علي بك، وعن إسماعيل بك، ابن من يكون؟ فأجابوا: ابن

---

(١) يذكر جون س كيست : ولما لم يكن يهدأ له بال، له أحلام يرغب في تحقيقها، بدأ إسماعيل يتجول بين الطوائف والمجتمعات الأيزدية كإصلاحي ورسول معين من قبل نفسه، وهو يبشر ويبارك ويجمع التبرعات الدينية، وفي جبل سنجار عقد صداقة متينة لمدى العمر مع حمو شرو عن طريق حل خلاف نشب بين رجال قبائليين آخرين.(١) جون س كيست، الحياة بين الكرد، تاريخ الأيزديديين، ترجمة عماد جميل، دار سبيريز للنشر، ص٣٦٤

عبدي بك وعبدي بك هو عم علي بك، ثم سألوا: هل لإسماعيل بك حق التصرف بحقوق الشيخ عادي كسعيد بك؟ فأجابوا: نعم له الحق لأنهم أولاد أعمام، وشهد بذلك حمو شرو وبابا شيخ ورؤساء سنجار والشيخان، وقام لجمن بتهديد سعيد بك بأنه لمدة أكثر من خمس سنين لم يُعطِ إسماعيل بك شيئاً، ويجب أن يلتحق بالأتراك فما من حق له في أن يتصرف بالإمارة، فأجابه سعيد بك: لماذا تعاملونني هذه المعاملة ؟ فأجابه لجمن: لقد جازف إسماعيل بك ثلاث مرات بحياته في سيره من جبل سنجار إلى بغداد، وأنت لم تظهر لنا أو تحضر أمامنا ولا حتى إلى حمام العليل ولهذا لا حقَ لك عندنا، وأما إسماعيل بك فله الحق الأكبر.

بعد ذلك حضر حمو شرو وأختي ميان خاتون وبعض الرؤساء والروحانيين وطلبوا مني ألا أقابل سعيد بك بالمثل وإن سلك طريقاً مخالفاً للحق والأصول، وأن تكون الواردات مناصفة بيننا، وأشاروا إلى أن واردات الشيخ عادي كثيرة وغزيرة، ومن غير الممكن أن تنفذ أو تنتهي إن كانت بحوزتي أو مع سعيد بك. وبناء على ذلك راجعوا لجمن بهذا الخصوص فقال: إن تلك الواردات عائدة إلى إسماعيل بك، فإن رضي فأنا موافق، وعلى هذا دعانا لجمن وأمرنا أن نذهب جميعاً إلى بيت عزيز أفندي عبد النور حيث نتفق عنده، ونكتب بذلك سنداً ونقدمه إلى لجمن وهكذا حضرنا في دار عزيز أفندي عبدالنور وارتضينا بأن الواردات التي ترد إلى باب الشيخ عادي من سنجق الشيخان وسنجار وحلب والمسقوف وقفقاسيا، والذي بين الأتراك وباقي المزارات جميعها تكون بالمناصفة، وصادق على السند بالختم الشيخ علي الشيخ العمومي وحمو شرو وشيخ خلف الهسكاني وكوجك حسين من باحزاني، وصادق رشيد من بعشيقة وهو سعيد بك، وختمت أنا على رضاي وقبولي بتلك المناصفة. كما صادق على أختامنا عزيز أفندي وسعى إلى التوفيق بيننا والرضا بتلك القسمة، ثم قدمنا الورقة إلى لجمن الذي سألني عن موافقتي ثلاث مرات فأجبته: نعم. وفي اليوم التالي أعطاني لجمن ورقة ليشرح فيها أنه قد ثبت وتحقق من أن إسماعيل بك هو مير ميران (أمير الأمراء) على جماعة الأيزيدية، لأجل الشهادة عند الخاص والعام، وتلك الورقة لاتزال موجودة عندي حتى الآن، وهكذا أعطى شهادة مثلها إلى سعيد بك وأمير روحاني وأنا جسماني.

بعد هذا حضرت إلى سنجار ودرت بين الجماعة وصرت أوجهها وأرشدها وأعظها بأنه الحمدلله الذي أرانا حكومة مسيحية وخصوصاً حكومة يريطانيا العظمى، وهذا ما كنا نتمناه من زمان آباءنا وأجدادنا، والآن لن يجرؤ أحد أو يتطاول علينا من جهة ديانتنا وعقيدتنا وضميرنا، وهذا ما كنت أخاطب به الجماعة وأتحدث به دائماً. وبقيت على هذي الحال لأربعة أشهر، وصار كل فرد من سنجار كبيرهم وصغيرهم يدعو لي، ويقول: الحمدلله الذي أرانا هذه الحكومة، وأنك أصبحتَ سبباً في تقدمنا وتحسن أحوالنا بعد أن كنا في ضياع وتشتت، فقد أثنوا عليَّ كثيراً وعبروا عن امتنانهم الكبير، لأنني قدمتهم وجعلت لهم اسماً عند الحكومة والعالم، فقابلوني بمئتي ليرة هدية وحضرت إلى الموصل وهناك أخبرني لجمن بأن الحكومة تطلبني في بغداد، وأن امرأتي تطلبني لأنها مريضة، فتوجهت إلى بغداد وقابلت وكيل حاكم السياسي كرنل ولسن[1] فأمرني ألا أخرج من بغداد، وأنه عليَّ أن أبقى، وفي اليوم التالي طلبوني في دائرة البوليس فأمرني مديرها بأن أبقى في بغداد وألا أخرج دون أمر وإذن الحكومة، وخصصوا لي حوشاً مستقلاً بي في محلة رأس القرية، ومعاشاً قدره مئتا روبية فسألتُ مدير البوليس: أهذه مكافأتي؟ أجابني: لا أعرف. وبعد ستة أشهر قابلت مسس بيل وحدثتها بأنني لا أظن أنني قد قمت بأدنى عمل قبيح مع حكومة بريطانيا، لا بل قمت بإجراء خدمات كثيرة للحكومة، فلمَ هذه المعاملة؟ فأجابتني: لأن ملتك لا تريدك. ولهذا أبقيناك هنا في بغداد. فأجبتها: إذا كنتُ قد أذنبت فأرجو أن تجروا لي محاكمة، ثم إنه عار عن الحقيقة والصواب أن ملتي كلها لا تريدني، لابد من وجود من يريدني، علي أن أذهب إليهم، فردت عليَّ ثانيةً: هذا الجواب قطعي أن ملتك لا تريدك يجب أن تبقى هنا، وبعد أيام حضر مهاجرون أرمن من وان وتلك الأطراف إلى بعقوبة فتوجهت لزيارتهم وسألتهم عن الأيزيدية الموجودين هناك، فأجابوا بأن الأيزيدية الذين كانوا هناك جميعهم قد توجهوا إلى قفقاسيا لكن وجدت بينهم ثلاثة أولاد وبنتين من أيتام الأيزيدية أحضرتهم معي إلى بغداد، وأخذت

(١) Lt. Col. Arnold T. Wilson القائم بأعمال المندوبية في العراق Acting Civil Commissioner in mesopotamia(١٧١٧_١٩٣٠).

أصرف عليهم وقد أعطاني ليون باشا رئيس الأرمن إياهم وقال: إن الأيزيدية كانوا قد أحسنوا إلينا هناك ونحن بالمقابل نقدم لكم هؤلاء الأولاد.

مقابلة مسس بيل وترتيب الرواتب

بعد ذلك بمدة ستة أشهر قابلت أيضا مسس بيل وعرضت عليها شؤون حالي وأخبرتها بأنه قد صار لدي الكثير من مهاجرين من الأيزيدية، وأن معاشي لم يعد يكفي لإدارتي احتياجاتي فجعلت معاشي خمس مئة روبية، كما سألتها عن رجوعي فأخبرتني بأنها ستكتب إلى حاكم الموصل وأنه عليَّ أيضاً التقدم إليه بكتاب آخر، فلعلهم يقنعون ملتي ويقبلوني فكتبت عرضحالاً إلى لجمن وإلى نولدر قلت فيه: أهذه مكافأتكم التي تقابلون بها تعبي واجتهادي معكم واندفاعي وخدماتي الصادقة إزاءكم وقد خاطرت بحياتي من أجلكم، فقمتم بإقصائي لينعم سواي بينما أنفى بين المسلمين ؟!

وهكذا مضت سنتان ونصف في بغداد على هذه الحال إلى أن أتى كوكس[١] والوزير السيد طالب باشا[٢] (٨٢) ومستر فلبي[٣] مستشار وزارة الداخلية، فأعطوني ورقة توصية إلى حاكم الموصل نولدر ولما تسلمت التوصية قلت إن معاش الخمس مئة روبية التي تنعمت بها عليَ الحكومة أهديها لها، وأطالب بحقوقي وحقوق آبائي وأجدادي من واردات الشيخ عادي، فأعطاني المندوب السامي خمسمئة روبية إكرامية لمصروفات الطريق، وكان عندي ثلاثة آلاف روبية اشتريت بها خمسة وعشرين ألف ماناط روسي، و بخمس مئة روبية اشتريت العبي والخلع لآغوات الجبل وركبنا بالقطار إلى

(١) Sir Percy Cox خليفة السير آرنولد ولسن والمندوب السامي في العراق من سنة ١٩٢٠-١٩٢٣.

(٢) رئيس اللجنة الانتخابية التي تشكلت بعهد السير آرنولد ولسن، ووزير الداخلية في الحكومة المؤقتة التي تألفت قبل تنصيب جلالة الملك فيصل على العراق.

(٣) H. St. J. B. Philby السياسي والكاتب الخبير في شؤون بلاد العرب وسياستها. كان حينذاك مستشاراً في وزارة الداخلية في العراق.

الشرقاط، ومن هناك ركبنا السيارة إلى الموصل على نفقة الحكومة ونزلت في أوتيل أوهانيان في طريق القشلة وبقينا هناك ثلاثة أشهر بدون أجرة، وقابلت نولدر حيث أرسل لسعيد بك وقال له: يجب أن تعطي إسماعيل بك في كل أربعة أشهر ألف روبية فرضي سعيد بك وأعطى سنداً بذلك، على يد الحاكم نولدر وفلكسمن وهكذا انقطع معاشي الخمس مئة روبية وأتيت إلى سنجار واشتريت حوشاً بأربعة آلاف روبية، بعد ذلك بسنتين قابلت أختي ميان المتصرف عبد العزيز آل قصاب وقدمت له هدايا، وقطعوا من معاشي السنوي ألفي روبية وبقيت ألف، وكان آنذاك المفتش الإداري المستر جالدير مديراً للأمور، وفي سنة ١٩٢٦ طلبت الحكومة عسكراً من جماعة الأيزيدية فلم يقبل أحد الالتحاق بالعسكر، بينما قبلت وقمت بتقديم مئتي نفرٍ إلى جيش اللوي[١] ومئتي نفرٍ آخرين إلى الجيش العراقي، فأتاني الشكر من الحاكم السياسي وطلب مني المفتش الإداري أن أكون قائداً أترأس عسكر الأيزيدية، فعبرت عن شكري وامتناني لهم، لكني فقط أريد حقوق آبائي من واردات الشيخ عادي. فيما بعد أدخلت أولادي مدرسة الأمريكان وكنت أول من أدخل أولاده إلى المدارس، والآن ولدي الكبير عبدالكريم نال الشهادة من دار المعلمين في بغداد و تم تعيينه معلماً في باعذرى، مع العلم أن من يعتنق الديانة الأيزيدية ويعلم أولاده القراءة والكتابة يُعتبر كافراً. و لم أكتف بإدخال ابني إلى المدرسة بل قمت بإدخال بناتي أيضاً إليها وهذا كفر مضاعف و كفرفوق كفر، أما الآن فإن بعض اليزيدية اتبعوا خطاي وساروا على مساري واقتدوا بصنيعي، وأدخلوا أولادهم إلى المدارس، ويقدرعددهم بنحو خمسين ولداً في مدارس سنجار وبعشيقة وباحزاني والشيخان.

(١) Iraq levies

ماورد في الوثائق العثمانية عن اسماعيل بك

الوثيقة الاولى

قلم تحريرات المديرية الأمنية العامة

عدد ١٠٤٤٦

إلى مديرية الشرطة/ استانبول

في إجراء التحقيقات في الحركات والتشبثات الواقعة في تشكيل الأيزيديين حزباً تابعاً للأرمنيين مذهباً منهم و المكتوب المحصول لرئيس الأيزيديين في الجزيرة إسماعيل بك وما بين فيه من الأحوال.

بالبحث عن الجمعية التبشيرية الأميركية في ويرانشهر أنهم يلقنون أسر الأيزيدية أن يدخلوهم إلى المذهب البروستانتي وما هي المقاصد والطرق المعقبة في تلقيناتهم الباطلة، وردت في هذه المسألة تحريرات مقدمة من ولاية دياربكر حول التدابير ودفع محذورات هذه المسألة السياسية والدينية وبلغت مقتضياتها دوائرها العائدة.

ومن ناحية أخرى أرسل مكتوب من قبل رئيس الأيزيديين في الجزيرة إسماعيل بك بن عبدي بك إلى تيمور اف موسي بم في قرية كبلي داخل ولاية وان، ذكر فيه المعلومات الآتية:

أن سيد الأيزيديين إسماعيل جاء إلى استانبول قبل ثلاثة أشهر وزار البطريقية المركزية الأرمنية وجرى اللقاء بالسلطان بوساطة البطريق الأرمني، كما التقى أيضاً بشيخ الإسلام والوكلاء السائرة، وبعد ذلك استدعى من السلطان تسمية جماعته إيزيدي، وأن يغدو تابعاً للأرمنيين.

وبعد استحصال ذلك تشبثوا بتشكيل فرقة خاصة بهم والتحاقهم بالأرمنيين مذهباً. هل كان مظهراً لتلك العلاقات؟ وهل أعطيت بهم هذه الامتيازات؟ وإن كان

مظهراً مصرحاً به فبأية صفة وهوية تعرف وتقبل السيد إسماعيل؟، حرر من الولاية المشار إليها وطلب تحقيقات حول هذا من الوزارة الداخلية برقم ١١٣ بتاريخ ٢ أيلول ١٣٢٥، يبلغ أنباء نتيجته سريعاً

في ١٣ أيلول ١٣٢٥

مدير الأمنية العمومية

٦٧٩/٥

وعلاوة: إلى مأمورية المركز البحري أسيد المومي الي بأي تاريخ جاء وفي أي تاريخ كان اللقاء وكم يوماً أقام وأين أقام في استانبول؟

الواردة ٢٧

في ضمن إعطاء جواب سؤال المديرية العلية في الحاشية الي أبوستال أفندي مأمور الجوازات (باسابورط)

غلطة ١٥

...

إنه شيخ الأيزيديين وكان يلبس ما فيه علامة فارقة ومعه باسبورط /جواز السفر قيد فيه أن خادمه جاء منذ ٨ أشهر بطريق بطوم وتفليس، واستقبلوه في استانبول مأمور المركز البطريقية الأرمنية ثم ذهبوا معاً إلى المركز البطريقية الأرمنية وأجاب بسؤال: لم جئتم إلى استانبول؟ جئت لتحصيل علم.

ولا توجد معلومات غير هذا يا سيدي

١٦ أيلول ١٣٢٥

مراقب حكومي لجواز السفر

DH_EUM_THR__00009_00021_003_001

الوثيقة الثانية

يلزم أن تجري تحقيقات وتدقيقات خفية مناسبة حول إسماعيل بك وأعوانه وينبئ عن مركز المأمورية ب-قوم قبو.

قوميسر تحسين أفندي ١٨

يروي أنه من رؤساء لجنة طاشناق الأرمني انتخب من أعضاء مجلس البطريقية الأرمنية بيد شاه يريكيان ونستطيع القول أنه قد كانت لإسماعيل سيد الأيزيديين أهميته العظيمة عند أزميرليان بطريق الأرمنيين في استانبول، و قد استقبل من قبل شاه يريكيان ونال قبوله واستحسانه وتعيينه شيخاً للأيزيديين، لكن يُفهم من ملاقاة يريكيان وشيخ إسماعيل أنه قد جرت بينهما مسائل سياسية وأخذت تحت القرار.

لم تعرف ماهية قرارهما ولكن يعتقد أنه مما يخص الحكومة السنية.

ذهب شاه يريكيان من استانبول إلى وارنه للاشتراك في مؤتمر اللجنة الطشناق الأرمني الذي تجمع فيه.

وخرج من وارنه إلى مدينة زاويجريه في إسويجره والآن هو فيها.

وذهب الشيخ إسماعيل بك من الجزيرة إلى قافقاسيا لرؤية الزعيم الأرمني ومراجعة بعض المسائل السياسية ولكن لم ير أحداً لانحلال القنصلية هناك، ثم عزم على الذهاب إلى استانبول وسكن في البطريقية الأرمنية بضعة أيام كما عرض آنفا

والمقصد من مجيئه هنا أن يتعرف عليه و يبايعه.

ويلاحظ أنه التقى بالسلطان وبعض الوكلاء بوساطة شاه يريكيان.

الوثيقة الثالثة

... الحج

يقدم إلى المديرية مع تمني استحصال المعلومات الخصوصية حول ذلك.

١٩

قوم قبو مديرية الشرطة

المعلومات التي لم يمكن استحصالها من جانب مديرية الشرطة المعاملة الجارية في الفوق، يقدم إلى المديرية الأمنية العامة

٢٧

توقيع الوكيل

ورود التحريرات في ١ اغوستوس ١٣٢٥

DH_EUM_THR__00009_00021_003_002

الوثيقة الرابعة

دائرة المخابرات العامة للنظارة الداخلية

رقم الأوراق ١٠٧

تاريخ الورود والتسويد ٢٤ مايس ١٣٢٨ وتاريخ التبييض ٢٦ مايس ١٣٢٨

إلى الحضور العالي بالصدارة العظمى

إنها كانت قرى أيزيدية في شمال محافظة سنجار لكونهم متمردين على الحكومة، من أوله يلزم أولا: ثقتهم واطمئنانهم للحكومة، ثانياً: وضعهم تحت طاعتها، ولذا يتوجب تشكيل ناحية في تلك القرى واتخاذ قرية كرسي مركزاً لهذه الناحية، ثم تشكيل مديرية من الدرجة الأولى في هذه الناحية وتعيين إسماعيل بك من رؤساء الأيزيديين لرئاستها مع معاش مبلغه ٨٠٠ قروش

والتخصيصات لهذه الناحية ودعت من الولاية وحسنت هذا الشكيل إدارة وسياسة وهذا مرهون بمساعدة الإرادة السنية بموجب إشارة المخابرات العامة.

DH_İD___00149_2_00005_005_001

الوثيقة الخامسة

د ه – ي وم-ت ه ر رقم الملف ٥ رقم التسلسل ٢٩

في (ويران شهر) الموجودة المبشرية الأمريكية لجعل عائلات الطائفة الأيزيدية بروتستانت بفعاليتها، وتشكيل فرقة الإيزيديين وإلحاقهم بالأرمن وإجراء تحقيق بفعاليات رئيس الجزيرة عبدي بك.

إلى مديرية الأمن العام :

حول إجراء التحقيقات بحق رئيس الإيزيديين في الجزيرة عبدي بك.

في ويران شهر وجود الجمعية التبشيرية الأمريكية جعل الإيزيديين مع عائلاتهم بروتستانت في هذا الطريق.

وجود التلقين ومثل أية مقاصد تعقب ذلك بالبحث من هذه الوجهة مستقبلاً ظهور مؤشرات وملاحظات محظورة دينياً وسياسياً لدفعهم وإزالتهم من المدينة.

اتخاذ التدابير اللازمة بحقها بداية حتى ولاية دياربكر وعلى وقع أخذ التحريرات الدوائر اللازمة مع المقام المسؤول.

إجراء التبليغات من الولاية المشار إليها في التحريرات الواردة في الجزيرة رئيس الإيزيديين عبدي بك من طرف إسماعيل بك، من داخل ولاية وان قروي القبيلة تيمور موسى بك.

إرسال رسالة وتم وضع اليد عليها فيها المذكور قبل ثلاثة أشهر ذهبت إلى البطريركية الأرمنية في دار السعادة \اسطنبول\ كضيف و قد قبل البطريرك حضور السلطنة. والتقى مع شيخ الإسلام وسائر الوكلاء، وبعد إذن تسمية جماعته بأيزيدي والتبعية للأرمن، حصل على هذه المساعدة محرراً وأساساً وعلى الإيزيدي تشكيل فرقة منفصلة مذهبياً ولأجل الالتحاق بالأرمن. وجود بعض التشبثات في البيان وسيكون ذلك محور إجراء التحقيقات هناك حول حقيقة المذكور فيما إن كان قد أتى إلى استانبول أم لا، وهنا ما مثل المستدعيات بأية طريقة.

إظهار المساعدة وكدار السعادة هويته وظيفته بأي طريقة تم تعريفه بالتحقيقات لزوماً والأخبار و سريان التحقيقات اللازمة وإجراؤها والرجاء بأنباء النتيجة.

٣٠ شعبان ١٣٢٧

الوثيقة السادسة

باسم وزارة الداخلية مستشار

إلى مديرية شرطة استانبول:

على الأبزيديين تشكيل فرقة أرمنية والالتحاق مذهبياً بالأرمن، وحول بعض الحركات والتشبسات الحصول على رسالة في الجزيرة رأس الإيزيديين عبدي بك الذي يرى في الرسالة المذكورة مجموعة تقضى الأحوال بحقها حول إجراء التحقيقات.

إلى مديرية شرطة استانبول:

في ويران شهر الموجود جهة جمعية التبشير الأمريكية، الإيزيديون مع عائلاتهم لجعلهم بروتستانت بأية طريقة كالتلقين، ومثل أي مقاصد تم تعقبها بالبحث في هذا الوجه وحفظ المحظور والمحظورات دينياً وسياسياً من الآن وإزالتها، و لأجل ذلك اتخاذ التدابير بحقها مقدماً التحريرات الواردة من ولاية دياربكر وعليه التبليغات اللازمة للدوائر، وفي الجزيرة رأس الإيزيديين عبدي آغا زاده من طرف إسماعيل آغا في داخل ولاية (وان) قروي كابلي والرسالة المرسلة إلى يوسف بك وضع اليد عليها في الرسالة المذكورة قبل ثلاثة أشهر كضيف على البطريركية الأرمنية في دار السعادة، وبواسطة البطريرك لحضور السلطنة والتقى بشيخ الإسلام وسائر الوكلاء بعد ذلك أذن لجماعته تسمية الإيزيديين التابعين للأرمن الحصول على هذه المساعدة محرراً وأساساً، يقوم الإيزيديون بتشكيل فرقة منفصلة مذهبياً لأجل الالتحاق بالأرمن بعض التشبسات خصوصاً بالبيان هناك ستجري التحقيقات وعليه هل المذكور حقيقة أتى إلى استانبول كما أفادت مثل مظاهر اللقاء أم لا وهنا مثل ماذا من الاستعدادات موجوده وبأية طريقة إظهار المساعدة وكدار السعادة بأي هوية وصفة وبأية طريقه تم الاعتراف بإشعارالتحقيق من الولاية المشار عليها الوارد في التحريرات أخبار بناء كيفية التحقيق وإشعاره إلى وزارة الداخلية الجليلة ذو الرقم ١١٣ بتاريخ ١٢ أيلول ١٣٢٥ التفضل بالتقدير في المذكرة الإرادة والإشعار بأمر التحقيقات لزوم الإجراء السريع وأنباء النتيجة ثم التبليغ.

٢٥ أيلول ١٣٢٥

صفحة ١٠٢ و ١٠٣

الوثيقة السابعة

د ه – ي و م – ت ه رقم الملف ٩ رقم التسلسل ٢١

على الإيزيديين تشكيل فرقة منفصلة وفكرة الالتحاق بالأرمن ورئيس الإيزيديين إسماعيل بك وضع اليد على رسالته وبحقها التحقيقات المعمولة.

من الجزيرة إلى قفاقاسيا ومن هناك الى دار السعادة وضيفاً في البطريركية الأرمنية، و خرج إلى الحضرة رئيس الإيزيديين إسماعيل بك بواسطة البطريرك أو غيره، حول ذلك لم يحصل على أية معلومات، المشار إليه وقت وجوده هنا في التحقيقات تبين رئيس جمعية التاشناك وفي نفس الوقت عضو في مجلس البطريركية أنه منذ أسبوعين ذهب إلى أوربا، أُعلم بالخبر واجتمع مع شاه ربكيان وتحدث معه المشار إليه إسماعيل بك الأسبوع الماضي، بعد شهر وشهرين من جديد. من أفراد جمعية التاشناك بارسيخ شاه بارز منذ ستة أشهر سابقاً ذهب إلى الولايات التي يتواجد فيها الإيزيديون، وعاد المذكور من سياحته في تلك الحوالي طبيعياً هي عبارة عن سياسة أخذ الاستخبار مع ذلك أقدم معروضاتي.

٢٥ أيلول ١٣٢٥

مفوض كوم كابي

في ١٩ أيلول ١٣٢٥ وذو الرقم ٤٥ وعلى الهامش المعروض إلى مديرية الاتصالات اللاحقة تم التقديم

٢٥ ميم

ختم

الوثيقة الثامنة

إلى مديرية شرطة استانبول:

على الإيزيديين تشكيل فرقة منفصلة ومذهبياً الالتحاق بالأرمن، ولأجل ذلك التشبث ببعض الحركات حول ذلك وضع اليد على رسالة في الجزيرة، رئيس الإيزيديين إسماعيل بك في الرسالة المذكورة مجموعة أحوال بحقها إجراء التحقيقات.

في ويران شهر وجود جمعية التبشير الأمريكية الإيزيديين مع عائلاتهم لجعلهم بروتستانت بأية طريقة التلقين ومثل أية مقاصد تعقيباً للبحث في هذا الوجه، آتياً ظهوره الملحوظ المحظورات الدينية والسياسية من الآن دفعها وإزالتها، ولأجل ذلك التدابير المقتضية بحقها على وقع أخذ التحريرات من ولاية دياربكر تبليغ الدوائر اللازمة في الجزيرة رئيس الإيزيديين عبدي بك زاده إسماعيل بك من طرفه إلى داخل ولاية وان إلى تيمور موسى بك أرسلت رسالة ووضع اليد عليها في هذه الرسالة قبل ثلاثة أشهر في دار السعادة بشكل ضيف على بطريركية الأرمن وبواسطة البطريرك لحضور السلطنة، واجتمع مع شيخ الإسلام وكافة وكلائه وبعد إذا تسمية جماعته بالإيزيدي وتابعين للأرمن حصل على المساعدة محرراً وأساساً الإيزيديين بتشكيل فرقة مذهبية والالتحاق بالأرمن القيام ببعض التشبسات المحسوسة بالبيان هناك لإجراء تحقيقات ستكون محور ذلك، وهنا حقيقة المذكور هل أتى إلى استانبول كما أفاد اللقاء أحدث أم لا؟ وهنا وجود مستدعيات وبأية طريقة حدثت المساعدة، وكيف تعرفت دار السعادة على صفته وهويته؟ في التحقيق إشعاره من الولاية المشار إليها الوارد في التحريرات بناء كيفية التحقيقات وإشعار من وزارة الداخلية الجليلة ذو الرقم ١١٣وبتاريخ ٢أيلول ١٣٢٥ تقدير الأمر بالمذكرة الإرادة والإشعار الأمر بإجراء التحقيقات اللازمة السريعة وإبلاغ النتيجة.

مدير الأمن العام:

المشار إليه في أي زمن أتى وكم من الوقت بقي هنا و في البيان أين أقام؟ حتى علاوة عن ذلك ضمنا لمامورية المركز البحري في لوحتها بالهامش لزوم إعطاء الجواب ضمن مدير الجوازات أبوستول أفندي

غالتا ١٥

مدير المركز البحري:

\المقطع الأخير\ شيخ الإيزيديين من ملبوس لباسه والعلامة الفارقة بسائرها المشار إليه الموجودين برفقته واسم الخدم في الجواز الحاصل عليه، ومنذ ثمانية أشهر بطرف باطوم من تفليس حتى إلى دار السعادة خرج لاستقباله حراس وموظفو البطريركية الأرمنية في دار السعادة المذكور لم يعتزم الذهاب إلى البطريركية، وعند سؤاله عن سبب قدومه جواباً بالإفادة جاء للتحصيل ومن غير قاعة لاتوجد معلومات أكثر المعروض سيدي.

١٦ أيلول ١٣٢٥

مفوض الجوازات.

ختم

الوثيقة التاسعة

إلى مديرية العالية للشرطة \ غالتا:

بصورة سرية ومناسبة إجراء التحقيقات والتدقيقات بشخص إسماعيل بك ومناسباته مع الأرمن بحقها أخذ المعلومات وإبلاغها بحقهما إلى مركز مامورية كوم كابي ١٧ ميم \المفوض تحسين افندي\ من رؤوساء جمعية التاشناك، ومن التابعة الروسية والمروي شاه ربكيان وذاته عضو منتخب في مجلس بطريركية الأرمن، عند قدوم إسماعيل بك إلى دار السعادة أعطاه وصية واستقبله الموظفون الموجودون في البطريركية بما أنه شاه ربكيان بإصراره وإبرامه على ذلك مجبوراً على قبول شيخ الإيزيدية كضيف، ونظراً لهذا الظن جرت بين شاه ربكيان وإسماعيل بك بعض المسائل السياسية التي وضعت تحت القرار وهذه المسائل لم تفهم بشكل جيد وهي ضد الحكومة السنية، شاه ربكيان للذهاب إلى مؤتمر التاشنك في فارنا غادر دار السعادة إلى فارنا وحتى من فارنا إلى مدينة زوريخ في سويسرا واليوم هو هناك، وذهب إسماعيل بك من الجزيرة مباشرة إلى قفاقاسيا.

صفحة ١٠٤ و١٠٥

ولمذاكرة بعض المسائل السياسية ذهب إلى قفاقاسيا لكن في ذهابه كان المقام الكاثوليكوس منحلاً، ومباشرة أتى إلى دار السعادة، وفي اللوحة كما عرض من البطريركية بقاؤه ثلاثة او أربعة أيام منفصلاً، تم التحقيق والقصد من قدومه مع البطريرك الأرمني والبطريركية و الاعتراف به وإن كان تابعاً لهم، حتى في ذلك الوقت كتبت هذه المسائل في الصحف وتبين ذلك وصعوده للحضور ولقاؤه مع بعض الوكلاء حول إعطاء المعلومات، لا توجد بواسطة شاه ربكيان التقى ببعض الذوات وربما أنه صعد للحضور توجد معلومات بذلك.

١٩ منه مفوض كوم كابي.

حول ذلك في الأخير المعلومات الخاصة التي ستأخذ وستعرض تقديماً إلى مديرية دائرة الشرطة المعلومات التي يمكن الحصول عليها في اللوحة من سريان المعلومات ستفهم إلى مديرية الأمن العام تقدم في ٢٨ منه كتبت مذكرة إلى وزارة الداخلية في ١٢ تشرين الأول سنة ١٣٢٥

صفحة ١٠٦.

الوثيقة العاشرة

د ه – م ك ت رقم الملف ٢٧٧٨ رقم التسلسل ٨٨

٦\ربيع\ ١٣٢٧

طلب تخصيص معاش لاسماعيل إسماعيل ليس بشيخ ازيدي وكذلك ليس بقريب للشيخ تم الإبلاغ من الولاية

الوثيقة ٠٢٧٣٨٥

رقم الأوراق ١٠\١٤

التاريخ ١٥ اذار ١٣٢٥

برقية الى ولاية الموصل الجليلة

ج\ ١١ اذار اذا كان إسماعيل ليس بشيخ ماهي قرابته للامير وهل له أهمية في إرادة الجماعة ام لا أتمنى الاخبار

الوثيقة ٠٢٧٣٨٦

برقية

مركز الصدور- الموصل

المركز المتوسط - دياربكر

التاريخ ١٨ اذار ١٣٢٥

الوثيقة الحادي عشر

الى وزارة الداخلية الجليلة

في ذيل برقية ١٥ اذار ١٣٢٥ إسماعيل من الفاسدين وليس بشيخ ازيدي وكذلك ليس بقريب للامير ولااهمية له في الجماعة المعروض في ١٨ اذار ١٣٢٥

باسم والي الموصل

فكري زهدي

صفحة ١٩٦

الوثيقة الثاني عشر

الوثيقة ٠٢٧٣٨٧

برقية

مركز الصدور الموصل

الى وزارة الداخلية الجليلة

التاريخ ١١ اذار ١٣٢٥

ج\ ٤ اذار ١٣٢٥ طلب استدعاء إسماعيل لتخصيص معاش هو ليس بشيخ ازيدي ولرئيس الايزيديين علي باشا بحق تخصيص معاش الى اليوم يوجد طلب استدعاءولا معلومات للولاية بقرار مجلس الولاية

معروض

فكري زهدي

في اسفل الأوراق الكتابة تغيرت إسماعيل ليس بشيخ وقرابته الى الشيخ وحتى أهميته في الجماعة ام لا بحق الاشعار في هذا الباب في ١٢ منه

صفحة ١٩٧

الوثيقة الثالث عشر

د ه —م ك ت رقم الملف ٢٧٩٧ رقم التسلسل ٨

٢٧ ربيع الأول ١٣٢٧

من احكام القانون الأساسي حق حرية المذاهب طلب الاستفادة من هذا الحق في الموصل من ناحية سنجار رئيس قبيلة الايزيديين إسماعيل بن عندي اجراء اللازم لمعروضه بختمه

الوثيقة ٠٢٧٣٨٩

رقم الأوراق ٣٠\٢٥٧

التاريخ ٢٧ ربيع الأول ١٣٢٧

٢٥ نيسان ١٣٢٥

الوثيقة الرابع عشر

الى ولاية الموصل الجليلة

من طرف ولاة العهد السابق مصادرة الاثار العتيقة العائد للمذهب ولوازم المعبد وبتخريب معابدهم بقوا تحت الظلم بالبحث في مابعد باحكام القانون الأساسي \الدستور\ ليكونوا مستفيدين من حق حرية المذاهب استكمال الأسباب حول ذلك من سكان ناحية سنجار رئيس قبيلة الايزيديين إسماعيل بن عبدي بختمه من مقام مجلس المبعوثين للولاية تم ارسال المذكرة المودع فيها المعروض لفا صوب السعادة وحسب التسلسل ايفاء المقتضى بالهمة

الوثيقة ٠٢٧٣٩٠

مكتب المراسلات

عدد ٧٥

الى وزارة الداخلية الجليلة

حضرة دولة الافندي

من المقام العالي للوزارة الوارد في ٥ نيسان١٣٢٥ وذات الرقم ٦٢ في التحريرات بالاشعار من ساكني ناحية سنجار الإيزيدي إسماعيل بن عبدي بن مير شيخان بن السيد علي مخدومه اليوم الموجود رئيس الايزيديين علي باشا ابن عمه من المحكمة الشرعية في الموصل تم التبين من اعلام اثبات الوراثة واليوم رئيس الديانة الايزيدية المشار اليه هو علي باشا بعرض قرار مجلس إدارة الولاية في هذا الباب الامر والمرسوم لحضرة من له الامر

في ٦ شعبان ١٣٢٣

٩ أغسطس ١٣٢٥

وكيل والي الموصل

ختم

صفحة ١٩٨

الوثيقة الخامس عشر

الوثيقة ٢٧٣٩١

رئاسة مجلس المبعوثين

عدد ٧٧٥

الى وزارة الداخلية الجليلة

من طرف ولاة العهد السابق مصادرة العائد لمذهبهم الاثار القديمة ولوازم المعابد وتخريب معابدهم بقوا بدون حل تحت الظلم فيما بعد وبحسب احكام القانون الأساسي ليكونوا من المستفيدين من حق حرية المذاهب استكمال الأسباب والمتضمن الاسترحام في ناحية سنجار التابعة للموصل المقيم رئيس قبيلة الايزيديين إسماعيل بن عبدي وبختمه الوارد الاستدعاء تم ايداعه في الوزارة بقرار أعضاء الداخلية والاستدعاء لفا تم التقديم وعليه ايفاء المقتضى في هذا الباب الامر والمرسوم لحضرة من له الامر

في ٢٠ ربيع الأول ١٣٢٧

٢٩ اذار ١٣٢٥

صفحة ١٩٩

الوثيقة السادس عشر

ولاية الموصل قلم الكتابة ٥١

بمقام نظارة الداخلية الجليلة

فى تشكيل مديرية من الدرجة الاولى فى قرى قضاء سنجار وتعيين اسماعيل بك من رؤساء الايزيديين لرئاستها

يا سيدى و صاحب دولتي

انها كانت قرى يزيدية فى شمال محافظة سنجار لكونهم متمردين للحكومة من اوله يلزم اولا دفؤهم بالحكومة وثانيا وضعهم تحت اطاعتها ولذا يوجب تشكيل ناحية فى تلك القرى واتخاذ قرية كرسى مركزا لهذه الناحية ثم تشكيل مديرية من الدرجة الاولى فى هذه الناحية وتعيين اسماعيل بك من رووؤساء الايزيديين رئيسها مع راتب مبلغه ٨٠٠ قروش

هذا الاستدعاء بلغ من جانب قائممقام سنجار

وبعد رؤية هذا من المحسنات لاجل تحصيله تمثيل الحكومة وتأمين حقوق الخزينة لديهم

الامر والفرمان فى باب مساعدة اجراء ايجابي لحضرة من له الأمر

فى ٢٨ جمادى الاولى سنة ١٣٣٠ / ٢ مايس ١٣٢٨/ ١٥مايس ١٩١٢

والى الموصل

DH_İD_00149_2_00005_006_001

الوثيقة السابع عشر

بالمقام العالى القائممقامي

بحث عن طائفة من عشيرة خدمة اليزيدية ذهبت الى مملكة روسيا ثم ارادت العودة بمقابلة الف نقديا وفي هذه الخصوص وردت تحريرات من ولاية ارضروم حاويا بعض الافادات بصوب عاليهم

ايفاء اقتضائه واعادتها بعد المطالعة منوط بهمته البهية

A_}MKT_MHM__00351_00006_001_001

وثائق المطالبة بإعادة النياشين والرموز الدينية

الوثيقة الثامن عشر

الى الحضور العالي بدائرة الصدارة

(رسالة امير اسماعيل ابن عبدى بك رئيس الملة اليزيدى الى السلطان العثماني)

يا سيدى صاحب الدولة

انا عبدكم امير اسماعيل ابن عبدي بك رئيس الملة الايزيدية انا رئيس الإيزيديين القاطنين فى نواحى جبل سنجار قبيلتي اعظم القبائل، امير اسماعيل ابن عبدي بك رئيس الملة اليزيدية، نعلكم ان عمر باشا واعوانه تعدى علينا وقتل حوالي ١٢٠ شخصا و سرق الفريق عمر وهبى باشا مقدما الاشياء الروحانية الدينية والآثار العتيقة والالات التعبدية العائدة بالديانة الإيزيدية بغير حق ونقلوها الى محطة عسكرية فى بغداد.

فضلا عن تلك الحركات الغير اللائقة بنا، تشتت ملتي الى مختلف الاكناف واراد ارائة قبيلتي عاصية بالدولة حاشا

منذ ١٩٠٠ عاما آبائي واجدادى رؤساء الديانة الإيزيدية ومتحملون بامورهم الروحانية الدينية، ارجو واتمنى منكم تسهيل سبل تجمع ملتي كما فى الاول وانا اتعهد قطعيا ان لا يعصي احد منهم بدولتنا وان لا يهمل من تادية الرسوم والعائدات الرسمية

اعرض بجنابكم العالى والامر لحضرة من له الامر

امير اسماعيل ابن عبدى بك رئيس الملة اليزيدية الدينية الروحانية

٨٣

الوثيقة التاسع عشر

الدائرة العامة لاركان الخزينة

الشعبة الرابعة العدد ٢٠١٦

الى نظارة الداخلية الجليلة

فى ان الاشياء الباقية من الامتعة الموضوعة اليد من الإيزيديين سلمت من جانب الحكومة المحلية واشعر الى الفيلق فى بغداد

يا سيدى صاحب الدولة

جواب التذكرة النظارية المورخة ب-١ كانون ثانى ١٣٢٩ والمرقمة ب-٨٧١ — ٩ / ٨٨٣

من قبل ضبط الفريق عمروهبي باشا الاشياء الروحانية الدينية والآثار العتيقة والالات التعبدية العائدة بالديانة الإيزيديين بغير حق ونقلها الى محفظة عسكرية فى بغداد.

واعلم من جانب فيلق الثالث عشرة ان الاشياء الروحانية الدينية والآثار العتيقة والالات التعبدية العائدة بالديانة الإيزيديين عبارة عن الكتب الدينية والالات التعبدية المعمولة من الحديد والنحاس والتونج

يعرض الى مقامكم العالى اصدار الاوامر الى ولاية موصل والفيلق الثالث عشرة على ان يسلموا الاشياء المذكورة الى رؤساء الديانة الإيزيدية

فى هذا الحصوص وعلى كل الاحوال الامر لمن له الامر.

فى ٢٠ صفر ١٣٣٢ [١]

معاون مستشار ناظر الحربية ورئيس اركان الحرب

(١) ويقابل الميلادي ١٨ كانون الثاني ١٩١٤

الوثيقة العشرين

مكتوب البرقية

ادارة تلقراف للدولة العثمنية

الى نظارة الداخلية

عدد ٢٤٢

الاشيا التى يعد انهم من الامانات المقدسة باعتقاد الإيزيديين التى ضبط الفريق عمروهبي باشا الاشياء الروحانية الدينية والآثار العتيقة والالات التعبدية العائدة بالديانة الإيزيدية بغير حق ونقلها الى محفظة عسكرية فى بغداد.

وفهم انها يحفظ فى وزنة الفيلق الثالث عشرة ان الاشياء الروحانية الدينية والآثار العتيقة والالات التعبدية العائدة بالديانة الإيزيديين عبارة من الكتب الدينية والالات التعبدية المعمولة من الحديد والنحاس والتونج

يستلزم اصدار الاوامر الى ولاية موصل والفيلق الثالث عشرة على ان يسلموا الاشياء المذكورة الى رؤساء الديانة الإيزيديين

وكتب تحريرات من ادارة الحكم العرفى واستؤذن من النظارة وبناء عليه ارجو ونتمنى من الظارة تسليمها عاجلا

١٨ كانون اول ١٣٢٩

والى نظيف

الوثيقة الحادي والعشرون

الدائرة العامة لاركان الخزينة

الشعبة الرابعة العدد ٢١٦٨

الى نظارة الداخلية الجليلة

استانبول

خلاصة المآل فى ان الاشياء الباقية من الامتعة الموضوعة اليد من الإيزيديين سلمت الى الحكومة المحلية فى بغداد

يا سيدى صاحب الدولة

جواب ذيل التذكرة المشرفة بالورود المورخة بـ٢١ كانون ثانى ١٣٢٩ والمرقمة بـ ٨٥٨/٨٢٧٩٦

اشعر بالبرقيتين ان الامانات المقدسة للايزيديين سلمت من طرف فيلق الثالث عشرة الى الحكومة المحلية بغداد ومن المعلوم ان الاشياء الروحانية الدينية والآثار العتيقة والالات التعبدية العائدة بالديانة الإيزيدية عبارة عن الكتب الدينية والالات التعبدية المعمولة من الحديد والنحاس والتونج محفوظة فى الصندوقين

بعد فهم التسليم يعرض ايفاء ايجابه والامر فى هذا الباب لحضرة من له الامر

فى ١٩ ربيع الاول ١٣٣٢[1]

مستشار ناظر الحربية ورئيس اركان العمومي

[1] ويقابل الميلادي ١٥ شباط ١٩١٤

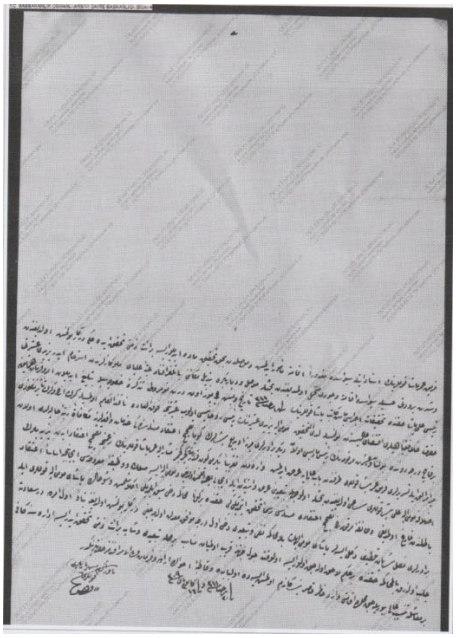

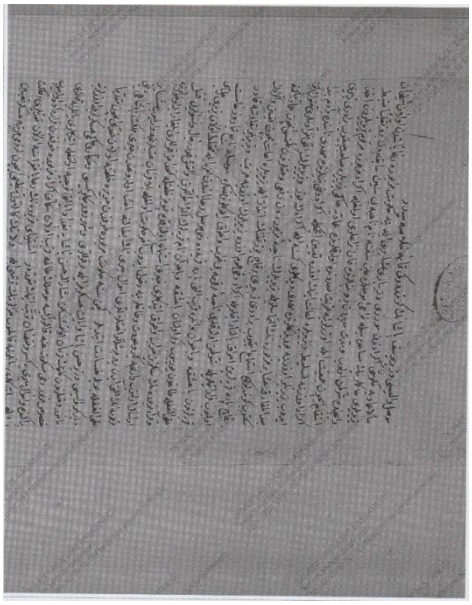

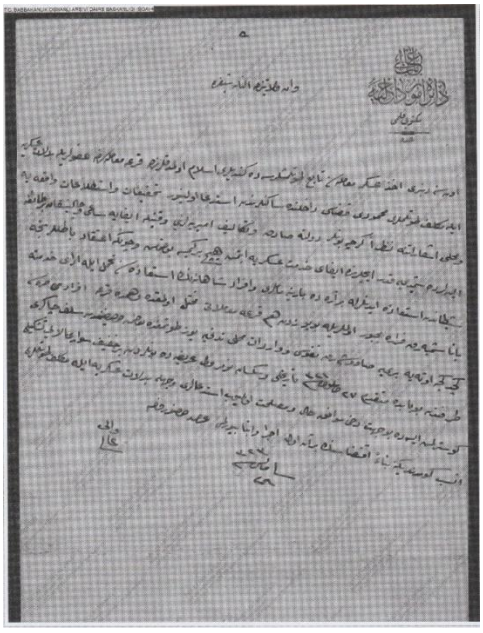

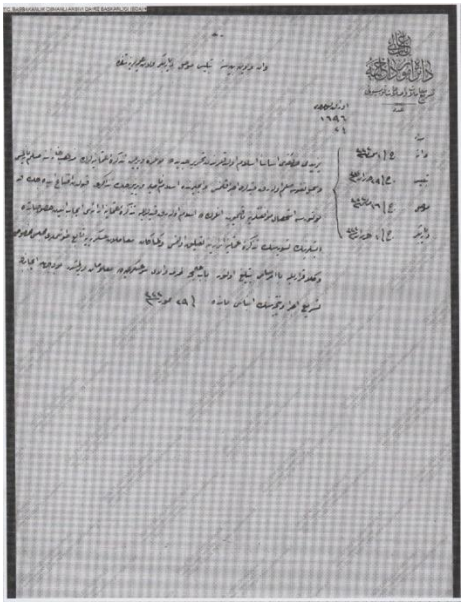

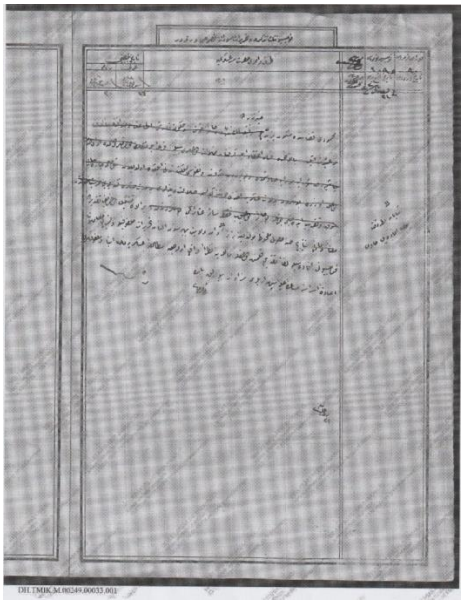

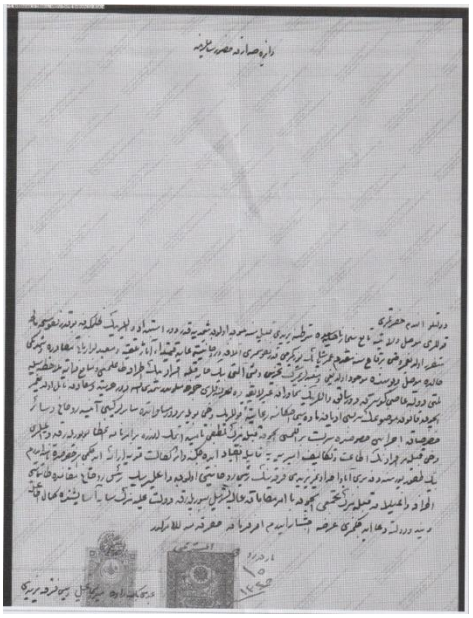

الوثيقة الفرنسية

وزارة شوؤن المهجرين

قراءة بالشفرة بغداد في ٢ آذار ١٩١٩ الساعة ٩.٥٠ دقيقة

الرقم ١١٨

وصل السيد اسماعيل بك شيخ الايزدية للمرة الاخيرة الى بغداد، واستطاع هذا الشيخ ان يكسب ود الملازم ليجمن الذي استطاع ان يستولي على الموصل.

واعتمد الشيخ اسماعيل على السيد ليجمن لكونه الشخص الوحيد الذي يستطيع ان يترأس قبيلته (الايزدية) وهو الذي اوعز اليه بان يقوم بقيادة منطقة سنجار التابعة للموصل.

ولكن لجمن شعر بانه على خطأ وخاصة من الناحية الدينية لان الايزديين يحترمون أميرهم السيد سعيد وهو ابن أخ الشيخ اسماعيل، حيث تم اختياره رسمياً لهذا المقام، وبالنتيجة ابعد الشيخ اسماعيل عن قيادة الايزدية واوعزت القيادة الى الشيخ سعيد، وابعد اسماعيل من ولاية الموصل واصبح تحت الاقامة الجبرية.

وتعجب الانكليز بالنيات الطيبة للايزديين وطلبوا منهم توقيع عريضة بروتوكولية تتضمن مطاليبهم، وقال السيد لجمن بانه سوف يقوم بوساطة بين الحكومة الاسلامية والحكومة البريطانية لتحقيق مطالب الايزديين، بعد ان ثبت لهم بان الايزديين غير مسلمين حيث تمت الموافقة رسمياً على اختيارهم للشيخ سعيد لهذا المنصب[١]

---

(٢) كوردستان لة بةلطةنامةكاني كونسلي فةرةنسي لة بةغدا سالي ١٩١٩، بةرطي يةكةم، نةجاتي عبدالله لة فةرةنسيةوة كردووني بة كوردي ثيَشةكي و ثةراويَزي بوَ نووسيون، بنطةي ذين سليَماني ٢٠٠٤، ل ١٢ و ١٣، وكذلك داود مراد ختاري، الايزيدية في الوثائق الفرنسية، دهوك ٢٠١١، ص ٧٧

الوثائق الفرنسية:

الوثيقة رقم (١)

AFFAIRES ÉTRANGÈRES. TÉLÉGRAMME A L'ARRIVÉE DUPLICATA bis.

DÉCHIFFREMENT

N° 118

H

BAGDAD, le 2 Mars 1929 - 9 h.50
reçu le 4 à 12h.35

Ismaïl (Bey) Cheikh des Yezidis est arrivé à Bagdad dernièrement.

Avant la prise de Mossoul, il avait réussi à capter la confiance du lieutenant-colonel Leachman: il lui avait fait croire qu'il était seul capable de commander des tribus et ce fonctionnaire lui avait confié le commandement du Sindjar (circonscription) (de) Mossoul), s'étant ensuite aperçu de son erreur, et surtout au point de vue (religieux), le chef reconnu (comme) patriarche étant Saïd propre neveu d'Ismaïl, qui n'avait eu, jusque là, que le commandement des gens de la Plaine, le commandement integral a été en conséquence, attribué à Saïd par Leachman (au lieu d')Ismaïl éloigné du Vilayet de Mossoul, et en résidence forcée ici.

Les Anglais ont surpris la bonne foi des Yezidis, pour leur faire signer une requête demandant leur protectorat: (Leachman) leur avait dit de choisir entre un Gouvernement musulman et la Grande Bretagne, n'étant pas musulmans il était naturel d'opter pour cette dernière./.

Roux, Consul français

حملات الإبادة في مذكرات الأمير إسماعيل بك

يؤكد اسماعيل بك جول عن حشود مقاتلي حافظ باشا ١٨٣٧م، كان معهم (١٨٠٠٠) ثمانية عشر الف جندي ومجند من النفير العام، في البداية حضروا إلى الهول والبحيرة غرب جبل سنجار في منطقة (الخوانة) وكان قائد المشاة مصطفى قد توجه نحو الجنوب، وميرزا باشا قائد الخيالة نحو الشمال، أما حافظ باشا فكان متنكراً بنفسه وتوجه نحو الصولاغ والنبه وطوق المكان، في اليوم الأول قتل من الايزدية في قرية مهركان (١٤٠) شخص أما نساؤهم وأطفالهم فأخذوهم إلى خيامهم والعجزة تم قتلهم جميعاً من قبل الجنود داخل القرية، وقتل من الجيش حوالي سبعمائة وخمسون جندي، أخذ الجنود يبحثون عن الايزدية في قرى وكهوف الجبل وكلما رأوا جماعة منهم قتلوهم، وبلغ مجموع القتلى من جيش حافظ باشا نحو الف، أما من الايزدية فنحو الفين وتم اسر ستة الاف من النساء والأطفال وساروا بهم إلى الموصل ثم إلى بلاد العجم وتم بيعهم جميعا، وبقى من الايزدية في هذه المنطقة القلة القليلة المختبئة في الكهوف والمغارات، لكن اثنين من اغوات المهركان قد اختبؤا في كهف عالي لم يصله الجنود وهما علي هزو وعلي نافخوش، الأول كان من الفرسان المجربين، أرسل اليهما الباشا مبعوثاً وتعهد بعدم اذيتهم، وفعلا حضرا وأطلق سراحهم[١].

وأكد اسماعيل بك جول عن مأساة سنجار بقوله:

إنّ طيار باشا نزل في صولاغ وأرسل مبعوثه واسمه (معمكي آدو) إلى رؤساء العشائر في المنطقة وابلغهم بان يدفعوا أربعة أكياس من الدراهم وسوف نرحل من هنا، لكن أغوات المهركان عيسى أدي وعلي نافخوش رفضا الطلب، وأرسلوا النساء والأطفال إلى المغارات والكهوف في الجبل بينما الرجال في وادي (بير سيني) ودارت

(١) اسماعيل بك جول ص١١٤

المعارك بين الطرفين ولكون الايزديين متحصنين في أماكنهم فقتل من العسكر ما يقرب من مائتين من مجموع الف جندي من جنود طيار باشا، ثم اعتذر طيار باشا من الايزدية وبدأت الهدنة ورجع إلى الموصل[١]، وقدر نائب القنصل البريطاني في الموصل (رسام) بان (١١) قرية تركت في جبل سنجار و (١٥٠٠) رجل قادر على حمل السلاح. [٢]

أما طيار باشا (١٨٤٦ - ١٨٤٧م) الذي تسلم حكم ولاية الموصل بعد كريدلي باشا، فقد أخذ يتبع سياسة أقل حدة وعنفاً تجاه إيزيدية سنجار، وتزامنت ولايته مع وجود هنري لايارد (A.H.Layard) في الموصل، وهذا ما يؤكده الأخير في كتاباته ويذكر أن الوالي بدأ يعد العدة لحملة عسكرية على سنجار هدفها بخلاف الحملات السابقة، التحقيق في مسألة الضرائب الحكومية وجمعها، والنظر في المظالم التي اتهم بها الوالي السابق، إذ يقول وهو شاهد عيان لهذه الأحداث: (ذهب طيار باشا إلى سنجار بقصد أن يقوم بجمع الضرائب والتحقيق في المظالم التي ارتكبها الوالي الذي كان قبله بحقهم، ودعا زعماء الايزدية لمقابلته في مهركان أكبر القرى الايزدية في سنجار، لكنهم أبوا أن يقابلوا الوالي لأنهم كانوا يخشون سوء المعاملة، وهم لا يثقون بالوعود ولا سيما أنهم قد قاسوا من قبل على يد الوالي كريدلي باشا أشد أنواع العذاب والقسوة)[٣].

عقد لجمن مجلساً مع كل القادة الايزديين، وتحالف اسماعيل بك مع حمو شرو ومع خمسة وثلاثين من رؤساء سنجار، بعد استقبال برقيات عرفان الجميل من هيئات بطاريكة الكلدان والارمن تشاور اسماعيل مع لجمن والذي عرض عليه ادارة سنجار، مال اسماعيل لعرضه ولكن كان لحمو شرو أهلية على نحو أفضل لادارة هذه الاراضي الا انه كان يقامر لرهان أكبر، في اليوم التالي وصل وفد من الشيوخ والرؤساء

(٢) اسماعيل بك جول، ص١١٥، وكذلك شاكر فتاح، يةزيدي يةكان، ل ١٢٠.

(٢) داود ختاري،الحملات والفتاوى على الكورد الايزيديين، دار سبيريز للطباعة والنشر، دهوك ٢٠١١، ص٢٦٨

(١) حسن المولى، ص ٣٠، وكذلك، عدنان زيان وفرهاد حاجي، المصدر السابق.

من الشيخان وكان على رأس الوفد مير سعيد بك وبابا شيخ، اعلن لجمن بان حمو شرو سيكون مسؤلاً على سنجار[١].

وان عدم حضور داود الداود مع هؤلاء يعود الى الصراع القبلي بين حمو شرو وداود الداود، أي تجمع يحضره احد منهم لا يستطيع الاخر حضوره، وكان داود من اشد المعارضين لبريطانيا لانها هي التي أمرت برئاسة سنجار الى منافسه حمو شرو واعطى له الدور المهم، ويذكر اهل سنجار انه عند قدوم لجمن الى سنجار حضر عدد كبير من الوجهاء والاهالي، وبعد ساعة من الزمن حضر حمو شرو، ولكونه لابس الخرقة (لباس ديني) فقد وقف جميع الحاضرين لاستقباله وقبلوا يديه من باب الاحترام الديني للخرقة، عندها ادرك لجمن ان هذا الشخص يستطيع ان يخدم بريطانيا ما دام الجميع يقبلون يده لهذا اختير بدون موافقة روؤساء العشائر في سنجار، ويؤكد لجمن ان حمو شرو كان معارضاً لسياسة الحكومة العثمانية.

اما حول رأي الاقليات في الموصل ومصيرها بعد انهاء الحرب، ان (٥٠) شخصاً من القادة الايزديين في ولايات ديار بكر والموصل قرروا فيه انهم يرغبون في ان يكونوا جنود لبريطانيا الكبرى ولا يوافقون ابداً في ان يكونوا تحت امرة او سيطرة حكومة عربية [٢] نظراً لما تعرض له الايزدية من حملات وحشية من قبل المسلمين تحت غطاء الدين، لقد يئسوا من الحالة والتعايش معهم وتقرير المصير مع مصيرهم مرة اخرى وان بريطانيا تستطيع الحفاظ عليهم من تكرار الحملات عليهم.

(٢) كيست، بعض مواقف الايزدية، المصدر السابق، ص٢٩.

(١) المصدر نفسة، ص٣٠.

اول كتيب عن النصوص الدينية الايزيدية.

في سنة ١٩٣٣ صدر كتيب صغير (نفيزين ايزديان) عن مطبعة الترقي بدمشق فيه مجموعة من الادعية والنصوص الدينية الايزدية، اعده جلادت بدرخان بك، على لسان الأمير إسماعيل چول بك، لذا يعتبر اول كتيب طبعت فيه النصوص الدينية الايزدية وهي بداية التدوين للأقوال والنصوص الدينية الايزدية، لكن الحكومة العراقية آنذاك كانت له بالمرصاد، فقد منعت دخوله الى العراق كونه يضم بين دفتيه نصوص الديانة الايزدية باللغة الكردية، واحدث ضجة في حينه (كأنه قنبلة موقوتة) بدوائر الدولة العراقية، فاصدرت الدولة كتابا الى كافة محافظات العراق وتم تعميمه الى الاقضية والنواحي والدوائر الرسمية لمنع تداول هذا الكتيب ومحاسبة المتداولين ومصادرة النسخ، باعتباره (مجلة)، لكن في الحقيقة كتيب صغير، وفي الملحق بعض الصفحات من الكتيب المذكور والكتاب المعمم لقائمقامية دهوك بمنعه.

ولكن السؤال: هل منذ تلك السنة (سنة ١٩٩١) والى الان لازال امر المنع قائماً من السلطات؟ لنشر كافة الادعية والنصوص الدينية وانقاذها من الضياع والتي هي في صدور علماء الدين الافاضل ؟

- بل ان هناك تشجيع، ولكن من هو المقصر؟

قائمقامية دهوك

التحريرات

العدد/ ١٦٧٢

التاريخ ٢ محرم ١٣٥٢

٢٦ نيسان ١٩٣٣

الى / مدراء النواحي و رؤساء الدوائر

الموضوع/ مجلة نفيزين ايزديان

نؤكد كتابنا المرقم ١١٥٥ والمؤرخ ١٩٣٣/٣/١٦ ونرجو تشديد المراقبة على منع دخول مجلة نفيزين ايزديان الصادرة من مطبعة الترقي بدمشق ومصادرة كل ما يعثر عليه من المجلة المذكورة.

قائمقامية دهوك[1]

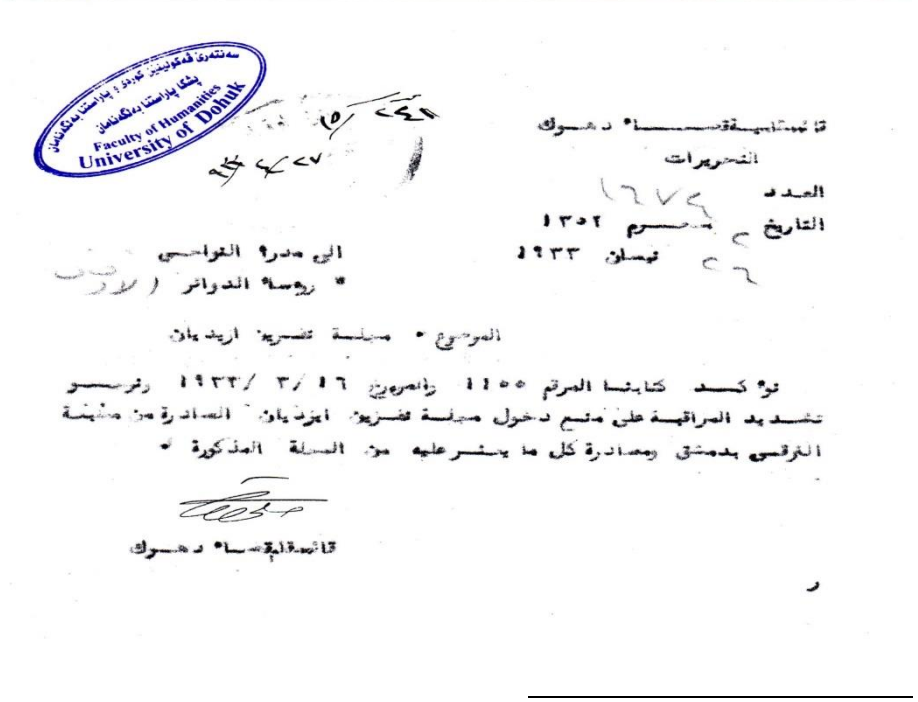

(١) شكر وتقديرلمركز الدراسات والوثائق في جامعة دهوك لتزويدي بنسخة من كتاب القائمقامية اعلاه.

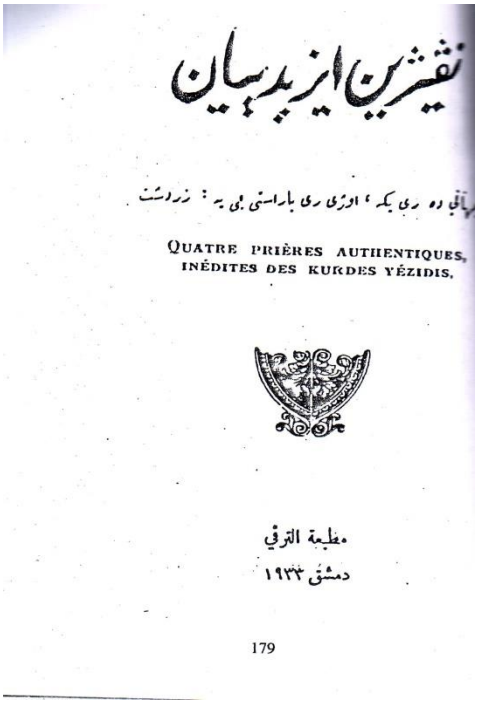

نقشرين ايزيديان

[illegible] ري يكه ، اوزى ري باراستى بى يه : زردشت

QUATRE PRIÈRES AUTHENTIQUES,
INÉDITES DES KURDES YÉZIDIS.

مطبعة الترقي
دمشق ١٩٣٣

179

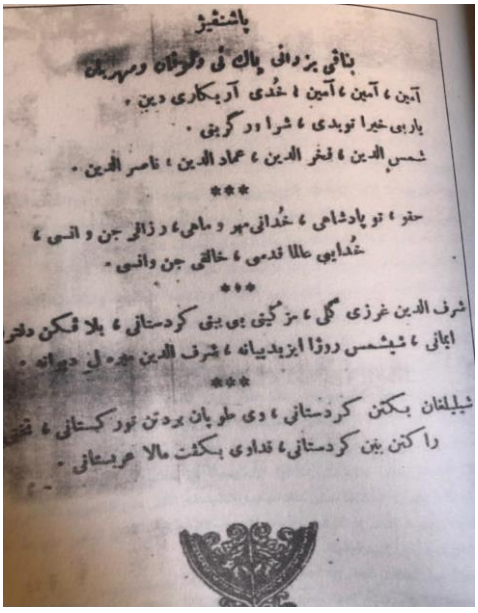

باشنڤيژ

بنافى يزدانى پاك فى وقوتان ومهربان

آمين ، آمين ، آمين ، خُدى آربكارى دين .
يارىى خيرا توبدى ، شرا وركريى .
شمس الدين ، فخر الدين ، عماد الدين ، ناصر الدين .

***

حقو ، تو پادشاهى ، خُدانى مهر و ماهى ، د زالم جن و انسى ،
خُدايى عالما قدسى ، خالقى جن وانسى .

***

شرف الدين غرزى گلى ، مزگيتى بى بينى كردستانى ، بلا قسكن دلتر
ايانى ، شيشمس روژا ايزيدييانه ، شرف الدين بهره لى دوزانه .

***

شيلانان بكتن كردستانى ، وى طويان بردتن نور كستانى ، نخ
را كتن بين كردستانى ، قداوى بكفت مالا عريستانى .

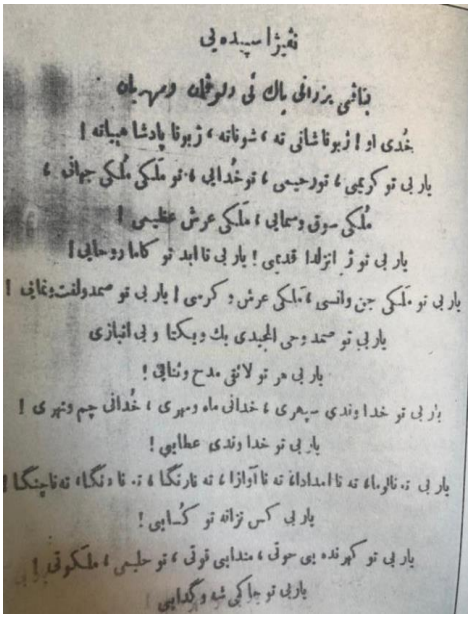

ثمیزا سپیده بی

بنافی بزرانی پاك ئی دلوڤان ومهربان

خُدی او ! ژیوناشانی ته ، شونانه ، ژیونا پادشا هیبانه !

یارب تو کریمی ، تو رحیمی ، تو خُدایی ، تو ملکی مُلکی جهانی ،

مُلکی سوق وسمایی ، ملکی عرش عظیمی !

یارب تو ژ ازلدا قدیمی ! یارب تا ابد تو کاما روحایی !

یارب تو ملکی جن وانسی ، ملکی عرش و کرسی ! یارب تو صمدولفت وغنایی !

یارب تو صمد وحی المجیدی پك وبکتا و بی انبازی

یارب هر تو لائق مدح وثنایی !

یارب تو خدا وندی سپهری ، خدائی ماه ومهری ، خُدائی چم وتهری !

یارب تو خدا وندی عطایی !

یارب ته ، نالوما ، ته نا امداداه ، ته نا آوازا ، ته نارنگا ، ته ، نا ونگا ، ته ناچنگا !

یارب کس نزانه تو کُسایی !

یارب تو کهرنده بی سوتی ، مندابی قوتی ، تو حلیمی ، ملکوتی !

یارب تو جاکی شه وگدایی

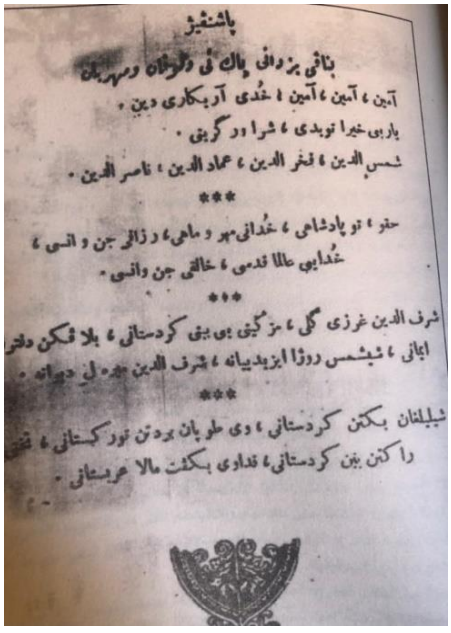

پاشنڤیژ

بنافی بزرانی پاك ئی دلوڤان ومهربان

آمین ، آمین ، آمین ، خُدی آر بکاری دین .

یارب خیرا توبدی ، شرا ور گریتی .

شمس الدین ، فخر الدین ، عماد الدین ، ناصر الدین .

***

سفو ، تو پادشاهی ، خُدائی مهر و ماهی ، رزاقر جن و انسی ،

خُدایی عالما قدمی ، خالقی جن وانسی .

***

شرف الدین غرزی گل ، مزگیتی بی بینی کردستانی ، بلا ڤکن دلتر

ایانی ، شیشمس روژا ایزیدیانه ، شرف الدین بهر لی دیوانه .

***

شیلیلفان بکتن کردستانی ، وی طوپان بردتن تور کستانی ، نفتی

را کتن بین کردستانی ، فداوی بکشت مالا عربستانی .

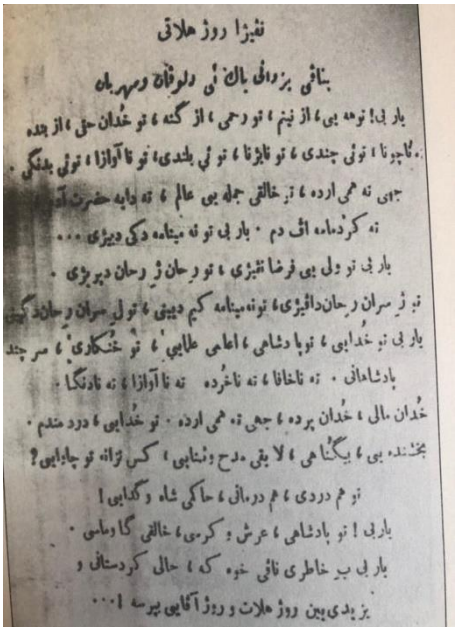

تغیزا روژ هلاتی

بناڤی یزدانی پاك ئی دلوڤان و مهربان

یار بی! تو مه بی، از نینم، تو رحمی، از گنه، تو خُدان حلی، از بنده
ناچیونا، تو ئی چندی، تو نایژنا، تو ئی بلندی، تو نا آوازا، تو ئی بدنگی.
جهی نه همی اردە، تر خالقی جمله بی عالم، نه وایه حشرت آ
نه کرُدنامه اڤ دم. یار بی تو نه مینامه دکی دیژی ...
یار بی تو ول بی فرضا تغیژی، تو رحان ژ رحان دپرژی.
تو ژ سران رحان دافیژی، تو نه مینامه کیم دبینی، تو ل سران رحان د
یار بی تو خُدابی، تو پادشاهی، اعامی علایی، تو خُنکاری، سر چند
پادشاهانی. نه ناخافا، نه ناخُردە نه نا آوازا، نه نادنگا.
خُدان مالی، خُدان پردە، جهی نه همی اردە. تو خُدابی، درد مندم.
بخشندە بی، بیگُناهی، لا بقی مدح وثنابی، کس ژانه تو جابابی؟
تو هم دردی، هم درمانی، حاکی شاه و گدابی!
یارب! تو پادشاهی، عرش و کرسی، خالقی گا وماسی.
یار بی بر خاطری نائی خوه که، حالی کردستانی و
یزیدی بین روژ هلات و روژ آکابی پرسه!...

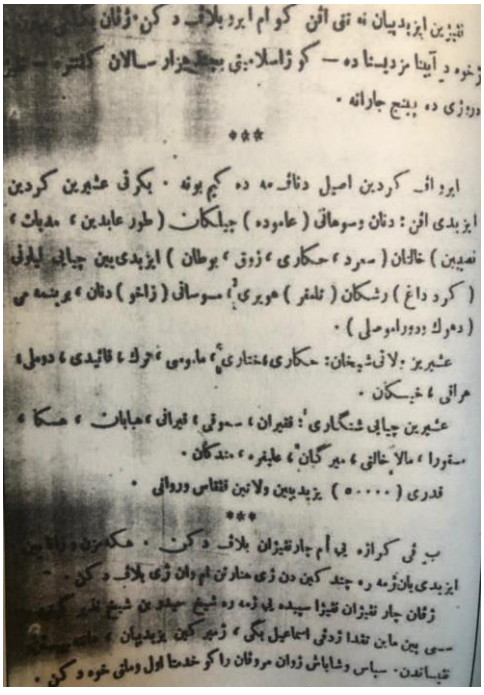

تغیژین ایزدیان نه تنی اڤن کو ام ایرد بلاڤ د کن. ژڤان
ژخوه د آیتا مزدیسنا دە — کو ژاسلامیتی بیتر هزار سالان کهنتر
دوژی دە پنج جارانه.

***

ایرد اڤ کردین اصیل دنائ مه دە کیم یونه. بکرنی عشیرین کردین
ایزیدی اڤن: دنان وسوهانی (عامودە) جیلکان (طور عابدین، مدیات،
نصیبین) خانان (سعرد، حکاری، زوتی، بوطان) ایزیدی بین چیایی لیلونی
(کرد داغ) رشکان (تلعفر) هویری، سوسانی (زاخو) دنان، عربشمه می
(دهوك ودورامو صل).
عشیریز ولانی شیخان: حکاری، ختاری، ماموسی، ترك، ڤائیدی، دومل،
هرانی، خیسکان.
عشیرین چیایی شنگاری: تغیران، سوتی، تیرانی، حبابات، هسکا،
سعورا، مالا خالفی، میرگان، علیفره، منذکان.
قدری (٥٠٠٠٠) یزیدیین ولاتین ڤتاس وروانی.

***

بر ئی کرانه بی ام چار تغیژان بلاڤ د کن. هکه مزن و زانا
ایزیدی یان ژمه ره چند کین دن ژی منارتن ام وان ژی بلاڤ د کن.
ژڤان چار تغیژان تغیژا سپیده بی ژمه ره شیخ سیدو بن شیخ
سی بین ماین تقدا ژدنی اسماعیل بگی، ژمر کین یزیدیان، ماس
تقیساندن. سپاس وشایاش ژوان مروڤان را کو خدمتا اول وملتی خوه د کن.

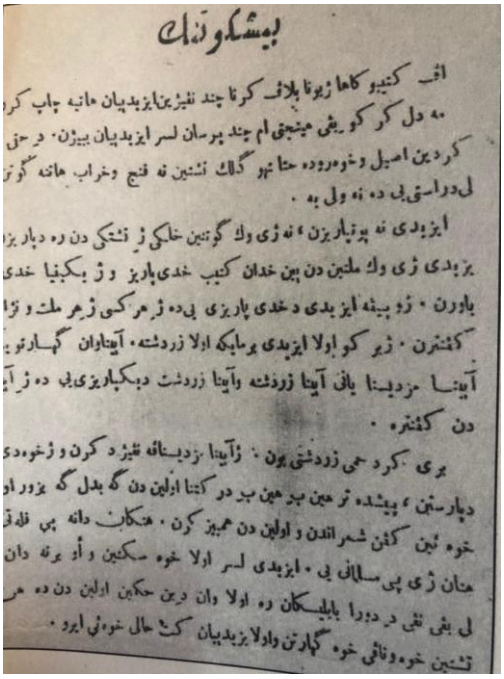

بیشکوتنك

اڤ کتیبو کاها ژیونا بلاڤ کرنا چند نفیژین ایزیدیان هاتیه چاپ کر
مه دل کر کو یێ مینجی ام چند پرسان لسر ایزیدیان بیژن. ئه حق
کردین اصیل وخوه‌روده حتا نهو گلك نشتین نه قنج وخراب هاتنه گوتن
لی دراستی بی ده نه ولی به .

ایزیدی نه پرتیاریزن ، نه ژی وك گوتنین خلکی ژ نشتکی دن وه دپاریز
یزیدی ژی وك ملتین دن بین خدان کتیب خدی پاریز و ژ یکبنیا خدی
باورن . ژو بیئه ایزیدی د خدی پاریزی یی ده ژ هر کسی ژ هر ملت و نژا
کنشترن . ژبر کو اولا ایزیدی پرمایکه اولا زردشته . آیتاوان گهارتو
آیتا مزدیسنا یان آیتا زردشته وآیتا زردشت دیکپاریزی بی ده ژ آی
دن کنشتره .

بری کرد حمی زردشتی بون . ژآیتا مزدیسنائه نفیژد کرن و ژخوه‌دی
دپارستن ، پیشده تر هین بر هین بر در کتبا اولین دن گه بدل گه یزور او
خوه ئین کنن شمراندن و اولین دن همیز کرن . هنکاف دانه پی فله ق
متان ژی پی مسلمانی بی . ایزیدی لسر اولا خوه مکنین و أو یرنه دان
لی بفی نفی د دورا بابلیسکان ره اولا وان دین حکمین اولین دن ده هی
تشتین خوه ونانی خوه گهارتن واولا یزیدیان کر حال خوه‌ئی ایرو .

معتقدات اليزيدية وعاداتهم[1]

إسماعيل چول بك.

كيفية خلق الكون:

باسم الله الأزلي الواحد القهار [2] خالق العرش والسموات خالق الأصداء، خالق الشمس والقمر وخالق الليل والنهار، والأولية والأبدية والأنبياء والآخرية وكل أرواح القديسين، والذي فرق الأديان كل واحد برتبته، الجالس على كرسي العرش من بدء تكوين العالم وإلى دهر الداهرين.

نبتدئ بعون الربّ ونكتب قصة معتقد اليزيدية.

في بادئ الأمر، إنهم يعتقدون بسبعة آلهة [3] أي سبعة ملائكة، وأن واحدهم أي الإله العظيم الواحد القهار، خلق هؤلاء الملائكة السبعة أو السبعة آلهة من نوره، كما أن الإنسان يشعل ويضيء شمعة من شمعة هكذا خلق من نوره سبعة ملائكة.

يوم الأحد خلق ملك شمس الدين وهو عزرائيل وسره [1]من سر المسيح [2].

---

(١) إسماعيل چول بك، اليزيديون عقائدهم وعاداتهم، إعداد وتعليق ممدوح الزوبي.

(٢) يعتقد اليزيدية أن الله خلق الكون وما فيه.

(٣) هناك من اليزيديين من يعتبر هؤلاء آلهة بمعنى الكلمة وهناك من يعتبرهم ملائكة ويظهر أن المؤلف إنما أراد بشرح مكانة هؤلاء في المعتقد البزيدي مبرزاً أنهم آلهة من الدرجة الثالثة فالدرجة الأولى هي الله والثانية لإبليس والثالثة لهؤلاء الآلهة ويتضح ذلك من أسطورة الخلق التي يعتقد بها اليزيديون، وهذه الأسطورة سترد في كلام إسماعيل بك لاحقاً. ويقل القس إسحاق البرطلي عن أحد مشايخ اليزيدية في كتابه الديانة اليزيدية الذي اعتمد بدوره على ما تناقلته الأجيال من أساطير إضافة إلى الكتب المقدسة اليزيدية قوله : إن الله خلق من ذاته ومن شوره ستة آلهة أخرى تعاونوا فيما بينهم لخلق بقية المخلوقات ثم خلقوا أماكن مريحة لهم فيها سبعة أسرة.

ويوم الاثنين خلق ملك دردائيل وهو ملك فخر الدين أعني القمر،

ويوم الثلاثاء خلق ميخائيل وهو أمادين.

ويوم الأربعاء خلق ملك إسرافيل وهو طاووس ملك.

ويوم الخميس خلق زرزائيل وهو سجادين.

ويوم الجمعة خلق شمخائيل نصر الدين.

ويوم السبت خلق نورائيل وهو يزيد.

وإن الله القهار العظيم صنع له مركباً وكان يسير عليه في جوانب البحار بذاته[٣]. وإنه خلق من ذاته درة وحكم عليها أربعين ألف سنة، وبعد ذلك غضب عليها ورماها فيا للعجب ! إذ صار من غضبه [٤]الجبال ومن دخانها السموات وجمدها وثبتها بغير عواميد، وتفل على الأرض وأخذ بيده قلماً وبدأ بكتابة الخلائق جميعها، بعده قال للإله الثاني[٥] : أنا خلقت السماء وحسب فاصعد أنت إلى السماء واخلق شيئاً، فصعد وكون القمر. وهكذا صعد الرابع أيضاً وصور الملك.

وصعد الخامس وأبدع البرج أي نجمة الصبح.

وخلق السادس جميع أثمار ونباتات الأرض.

---

(١) عدم وجود نص ديني يؤكد على أن شمس الدين هو عزرائيل وسره من السيد المسيح. – الختاري-

(٢) وهذه إشارة من الإشارات الكثيرة التي ترد في هذا الكتاب والتي ستنوه بها في محله، والتي تؤكد جميعها تأثر اليزيديين بالديانة المسيحية.

(٣) جوانب الكون وليس الارض او البحار –الختاري-

(٤) لم ترد في النصوص الدينية غضب الله على الدرة –الختاري-

(٥) عدم وجود إله ثاني في المعتقد الأيزيدي – بل إله واحد فقط –الختاري-

والسابع أخذ بيده قلم وكتب جميع الأحياء والأموات من جميع المخلوقات براً وبحراً.

ويبقى طاووس ملك بأمر الله تعالى دائماً في جنة الفردوس، ويسمع دائماً تعليمات وأوامر وترتيبات روحية وجسدية وفلكية من الباري تعالى، فقد سلمه الله كل شيء وجعله في نصف الفردوس في مكان يقال له عين الفلك وداخله قدرة إلهية واسمها اللوح المحفوظ، وفي كل صباح يلزم على طاووس ملك أن يأخذ التعليمات من ذلك اللوح المحفوظ بأمر الباري تعالى. وذات يوم كان نهار أحد فتح طاووس ملك اللوح المحفوظ ورأى أن الباري تعالى يأمر أن يكيل (يقيس) جميع البحار بحفنته، فقال طاووس ملك : كيف أقدر أن أكيل هذه البحار ؟ فأجابه الباري تعالى : اذهب بأمري لأن كل ألف سنة هي في دقيقة بأمري اذهب قد أمرتك، فرح طاووس ملك وذهب وكال البحار ورجع وقال لله تعالى : الملك ملكك وأنت القدير وأنت القهار وعظمتك ليس لها حدٌ ولا قرار، وفي اليوم الثاني كشف إلى ملك طاووس في اللوح المحفوظ أن يكيل الأرض بشبره، فامتثل طاووس ملك أمر الباري تعالى وذهب وكال الأرض ثم رجع و شكر عظمة الخالق وقدرته وقال : المال مالك وأنت الخالق وأنت العظيم وليس لقدرتك مضاد ومعاكس. ويوم الثلاثاء انجلى لطاووس ملك أن يذهب إلى خزائن الأرواح المجاورة للأرض والفردوس.

خلق آدم

وقال الله لطاووس ملك : نريد أن نخلق عجائب الإنسان وقد أوكلتك بأن تذهب وتصوت على الأرواح، فذهب وراءهم ملايين وربوات (جمع رب) كانت كل روح بقدر حبة سمسم أو بذرة توت، ولما صوت بينهم طاووس ملك، أقبلت عليه أرواح جميع الإيزيدية الذين سيصيرون بشراً في العالم، وأما بقية الأرواح فقد تأهلت به وتوسلت إليه، وقالوا له : يا طاووس الملائكة ونحن ما يكون حالنا ؟ فأجابهم : إني بأمر الله تعالى أرسل لكل قبيلة منكم نبياً أو مرشداً أو رسولاً أو صنماً، ويلزم أن تطيع كل روح ذلك المرشد أو الرسول أو النبي، وتلك الأرواح جميعها لا يرى أحدها

نظيره الآخر، فكل منها يظن أنه بمفرده، وفي الوقت ذاته كل منها بسريرته كان يرى طاووس ملك، وقال لهم أيضاً : الذي يطيع ذلك النبي فالباري تعالى يرضى ويدفع عنه كل أذية ويباركه، ونهار الأربعاء فتح اللوح المحفوظ ورأى أمره تعالى في أن يصنع صورة لآدم من نار وهواء وتراب وماء ففعل و شكّل آدم. ونهار الخميس أمره تعالى في اللوح المحفوظ أن ينفخ في أذن آدم في آلة تشبه الماصولة أو الزرناية ثلاث مراتٍ (وهذه موجودة إلى الآن عند اليزيدية، فإذا أصاب أحدهم ألم في رأسه واشتكى من وجعه أو صار أطرشاً يأتي القوال ويضرب بالماصولة ثلاث مرات فيبرأ) [1] ولما نفخ طاووس ملك بأذن آدم قام على رجليه. وأمره تعالى نهار الجمعة في اللوح المحفوظ أن يدخل آدم جنة الفردوس وبقي في الفردوس أربعين سنة كانت بمثابة أربعين دقيقة، وبعد ذلك خلق حواء من تحت إبط آدم الشمال وكانت معه في الفردوس. وبعد هذه المدة رأى أمره تعالى في اللوح المحفوظ أن يخرج آدم وحواء من الفردوس، لأن وعده كمل ولازم أن يتناسل البشر وقبلما أخرجه كان قد أطعمه من شجرة الحنطة، ونفخ بطنه وأخرجه من الفردوس وألقاه على الأرض، وبقي مدة طويلة في البرِّ على الأرض كالنائم أو المشوش لا خبر له بروحه. ويوم السبت رأى في اللوح المحفوظ أمره تعالى أن يذهب إلى آدم وينبهه كي يقوم ويبدأ بالأشغال البشرية وعلمه جميع تلك الأشغال، وكذلك كان شأنه في حواء، ولما أفاق آدم من غفلته ورجع عقله إليه ورأى طاووس ملك أمامه فقال له : ما اسمك ؟ علينا أن نشكرك لأنك قمت بهذا الإحسان العظيم معنا ؟ فقال : اسمي بير مدبر. [2].

وبعد مدة من الزمان رأى آدم وحواء أن التناسل يصير بمشاركة الذكر مع الأنثى، فقد كان آدم يقول : النسل مني، و كذلك تقول حواء : النسل مني، وعلى هذا صار النزاع بينهما وبعد البحث الدقيق صار الرأي والاتفاق بينهما على أن كل واحد منهما يلقي شهوته في جرة، وهذا ما فعلاه و ختما الجرتين مدة تسعة أشهر،

---

(١) الماصولة أو الزرناية آلة موسيقية نفحية تشبه المزمار وسنذكر مراراً في هذا الكتاب تسمى (شباب)

(٢) في الحقيقة لم أسمع بهذا الاسم –الختاري-

وعند نهاية التسعة أشهر فتح جرة آدم فخرج منها ولدان ذكر وأنثى، اسماهما "شيت وهورية" وهكذا تناسلت منها الأمة اليزيدية. ولما فتحا جرة حواء إذا بها دود معفنة مكروهة وسائر الحشرات النجسة وأنبع الله لآدم ثديان وأرضعهما مدة سنتين ولهذا صار للرجل ثداء [1]، وبعد هذا عرف حواء امرأته فولدت جنينين نعام ذكراً وأنثى، اسماهما "قابن وقليومة" ومنهما تناسلت بقية الطوائف كالنصارى واليهود الإسماعيليين. [2]

شيت وهورية هما أبرار آبائنا الأولين تسلسلوا من آدم، شيت هو ابن الشجرة ولهذا يسمى ملك سجادين نسبة إلى الشجرة[3].

بعد ذلك حدث نزاع بين رجل وامرأته في ذلك الزمان إذ يقول الرجل: إنها امرأته بينما تنكر الامرأة بأنه ليس زوجها، فقام أحد أمتنا الأبرار الإيزيدية وأصلح بينهما، وأمر بأن يكون في كل عرس طبل وزرناية للشهادة على الزواج، فيسمع الناس أن فلاناً أخذ فلانة و أن فلانة أخذت فلاناً ويكون الأمر على الملأ والملأ.

طوفان نوح

يقال : إنه من بعد طوفان نوح صار طوفان آخر في هذا العالم، وأن أمة الإيزيدية قد تناسلت من نحمي الوجه المكرم وملك السلام الذي يدعى ملك ميران والبقية من نسل حام الذي احتقر، وأن أولاده كانوا قد تناسلوا، وبعد طوفان نوح صار على رأس الأمة اليزيدية. وأن الله تكلم بلسان الكردي مع آدم ومع طاووس ملك، ولهذا يعود كتاب مصحف رش إلى الملك شمس الدين وزبور داوود بالكردية. وأنه حين تعالت السفينة فوق الماء قامت في بادئ الأمر في قرية عين سفني التي تبعد

(١) هذه أسطورة تحكى وليس نصاً دينياً –الختاري-

(٢) هذه حكايات شعبية وليست نصوصاً دينية.

(٣) في الحقيقة لم أسمع بهذه الحكاية.

عن الموصل سفر مسافة لعشر ساعات، ولما دارت السفينة فوق الماء دارت على جبل سنجار ومكثت حتى صدمت بحجر وبقيت منها السكة في الحجر، أي سن أكلوب (وإلى الآن يوجد في جبل سنجار محل يقال له : سن أكلوب) ورست السفينة على جبل سنجار وقالت له : لا تحسد لأني وقفت عليك وثقبت السفينة على جبل جودي وأن الحية دخلت فسدت ثقب السفينة[١].

وبعد طلوع نوح من السفينة، كثر جنس الحية كثر وصار يلدغ البشر فأمسك نوح بالحية وحرقها بالنار وصارت البراغيث في العالم من رمادها، و صارت الحيات تتحوى تحت إبط الإنسان [٢] وتعتاش من جسم البشر فأمسك نوح بالحية وقال لها : ما طعامك ؟) ـ

ثم أتى طير كالسنونوة ونقر الحية برأسها فصاحت آخ [٣]... أعني بـ آخ : تراب بلسان الكردي ـ وبعدما حرق نوح الحية وصارت رماداً، من رمادها أصبحت البراغيث تؤذي البشر.

أصول الأيزيدية:

وأن أمة اليزيدية هي منذ زمن أحشويروش [٤] وأزدشير ملوك الفرس والعجم، تلك الأيام وإلى الآن توجد في بلاد إيران مدينة اسمها أزدوكان [١] ومعتقدهم

(١) لقد كان أهل منطقة جبل سنجار يتداولون هذه الرواية في زمن ياقوت الحموي حيث يقول في تعريفه سنجار : (وهي في لحف جبل عالٍ ويقولون : إن سفينة نوح مرت به نطحته فقال نوح : هذا سن جبل جار علينا فسميت منجار، وأهل هذه المنطقة يتداولون هذا صغيرهم وكبيرهم). انظر معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ ص ١٥٨.

(٢) تحوت الحية أي تجمعت واستدارت. ولا بد من أن نشير هنا إلى أن الحية ترمز لدى اليزيديين إلى الابليس الذي يتصف بالحكمة والدهاء، ويشكل مصدر خوف ورهبة، وقد أقاموا في مدخل معبدهم الرئيسي في وادي لالش في العراق تمثالاً ضخماً للثعبان إكراماً له.

(٣) لم أسمع بها.... و آخ هنا نوع من صرخة الألم –الختاري-

(٤) لعله يقصد أن تاريخ الأكراد يعود إلى ذلك العهد حيث تقول إحدى نظريات أصول الأكراد : إنهم تحدروا من وسط آسيا إلى كردستان فارس في البداية في عهد الملك أحشويروش الذي تذكره التوراة،

منصب في ملك شمس الدين وملك فخر الدين أي القمر وفي تناسخ الأرواح واعتقاداتهم أغلبها كانت مثل اعتقادات المصريين الأولين[٢] ويعتقدون بملك المطر وملك الهواء.

وملك النار وكانوا يسمون ملتنا اليزيدية أزدان أي ملة الآزدان وكانوا يحلفون باسم (أزد ان باكي) منور خالق الليل والنهار خالق الشمس والقمر.

فإنه كان من أكبر مناصري اليهود ضد أهالي البلاد الأصليين. ويؤيد هذه النظرية العالم الروسي مينورسكي.

انظر عبد الله أوجلان وأبعاد المؤامرة ـ ممدوح الزوبي ـ مؤسسة المنارة. بيروت ـ والقضية الكردية ـ للكاتب

(١) لعل المقصود مدينة يزد الواقعة في شرقي بلاد فارس، فتكون القراءة الصحيحة هنا أزد وكان معتقدهم... إلخ ويشير هنا إلى أن بعض الباحثين قد اشتق اسم اليزيدية من اسم هذه المدينة كما فعل الرحالة أزف جاكسون الذي نشر كتاباً تحت عنوان (الفرس بين الماضي والحاضر). ـ انظر كتابنا رحلة البشرية للوصول إلى الخالق، دار النمير ـ مرجع سابق.

(٢) فقد كان المصريون القدماء يعتقدون بمجمع للآلهة كل منهم متخصص في أمرمعين فهناك إله الشمس رع وهو أكبر الآلهة، وإله الخير وهناك آلهة الحرب والشر والدماء واسمها حاتمور، وهناك آلهة الندى (أنوبيس) وآلهه الهواء (شو) وآلهة الأرض (جب) وآلهة السماء (توت)، ويصل تعداد مجمع الآلهة المصرية إلى التسع، وعلى رأس هذا التاسوع الإلهي الإله رع إله الشمس، كما قدسوا الحيوانات بل وألهوها في بعض المراحل، لكنهم توجهوا إلى التوحيد من خلال تركيز عبادتهم على الإله رع، وذلك في عهد الفرعون أخناتون الذي دعا إلى نبذ تعدد الآلهة والعودة إلى عبادة إله واحد هو إله الشمس، لكن تحت اسم جديد هو الإله آتون الذي جعله إلهاً عاماً للإمبراطورية المصرية. انظر كتاب قصة الديانات ـ سليمان م/هر مظهر - بيروت ـ ١٩٦٥.

ويرجع بعض علماء الديانات جذور العبادة اليزيدية وخاصة ما تعلق منها بعبادة الابليس إلى عبادة المصريين القدماء للآلهة حاتمور، آلهة الغضب والشر والدم والتي تسلطت حسب الأساطير المصرية القديمة في إحدى نوبات غضبها على البشر، فأطاحت بهم قتلاً وطعناً وذبحاً، و أصبح هنالك طرف من الدم حتى قدموا لها ولأبيها الإله رع فروض الطاعة.

دور الملائكة

وفي كل مدة ألف سنة يستولي على الأرض أحد ملائكة السبعة ويبين آيات وقوانين الأمة اليزيدية وباقي طوائف العالم، ثم يصعد إلى مكانه إلى بيت المقدس، يرتب قوانين ونظامات أمتنا اليزيدية ويهدد باقي الأمم الخارجية، أماكن المقدسة موجودة عندنا [١]..

تاريخ الأيزيدية

وقبل يزيد بن معاوية ظهر لنا ملك اسمه يزيد الجعفي [٢] بين حدود إيران الكرد، يرى أن أغلب الأكراد هم يزيدية من نسله والباقي من الآشوريين [٣]، وبعد مدة طويلة أمر الباري تعالى أن يرسل الإله يزيد، وفي ذلك الزمان، كانت قبيلة بني أمية أقوى من بني هاشم، فلما قام محمد نبي الإسماعيليين قويت قبيلة بني هاشم على بني أمية وصارمعاوية أبو يزيد بمثابة صاحب مصرف عند محمد، وبما أن محمداً لم يكن يسلك بالاستقامة، أوجع رأسه فقال لمعاوية : إذا كان برا ـ أعني حلاقاً ـ أن يحلق رأسه، فقام يحلق رأس محمد بصعوبة حتى جرحه وسال دمه [٤] ولما خاف أن يسقط دم محمد على الأرض لعطه بلسانه. رفع محمد رأسه وقال له : ماذا فعلت يا معاوية ؟ فأجابه فزعت أن يسقط دمك على الأرض فلعطته، لحسته -

(١) هذا ما ورد في الأصل لكني أعتقد أن المقصود (ويهدي باقي الأمم الخارجة إلى الأماكن المقدسة الموجودة عندنا) والتي سنأتي إلى ذكرها لاحقاً.

(٢) ـ ويقصد بيزيد الجعفي يزيد بن أنيسة أحد أئمة الخوارج في صدر الإسلام وقد نسبهم بعض البحاثة إليه.

(٣) لم يخبرنا التاريخ بهذا الاسم –الختاري-

(٤) هكذا وردت في الأصل لكن المقصود معاوية.

بلساني لأنه بركة، أجابه محمد : أخطأت. لأنك بهذا العمل تجلب وراءك أمة تحارب أمتي وتغلبها [١]فأجابه معاوية : إذا كان الأمر كذلك فأنا أدخل العالم أي لا أتزوج قطعاً، وبعد زمن سلط الله على معاوية عقرباً ورش سمه في وجهه، عندها جمع محمد وأقاربه له الأطباء كي يعالجوه، فحكم الأطباء أنه إن لم يتزوج سيموت[٢]، فأحضروا له ابنة عجوزة عمرها ثمانون سنة اسمها مهوسة [٣] أخت عمر بن الخطاب، فتزوجها وأصبحت ثاني يوم ابنة خمس وعشرين سنة فحملت وولدت ملكنا يزيد [٤]. هذا أن الباري تعالى كان قد وعد طاووس ملك أن يرسل الملك يزيد، وتكون هذه الواسطة سبباً لظهور ملكنا يزيد من نور الله الذي يدعى يا (زيد). أمم وطوائف الغرب يظنون ويقولون : إن ملكنا في الأرض مطرود من الإله الكبير، لسبب هذا يطلقون التجزيف[٥] أخطؤوا ولم يكن كلامهم على صواب، لأنه أصدق وأسلم، وأصح الآيات والسناجق تلك التي بحوزتنا وتوجد عندنا، فبعد أن سلم السناجق والشرائع والقوانين لأمتنا اليزيدية صعد أيضاً إلى السماء وخلق جهنم منذ زمان آدم الأول. وفي ذلك الزمان ولد أبونا إبرهيم ودعي بـ إبريق الأصغر من لأجل كرامته، فلمدة سبع سنين وعيناه موجعتان ومناخيره ويداه ورجلاه كانت تؤلمانه، وكان له إبريق أصغر فأخذ يبكي وينوح وتتساقط دموعه ودموعه في ذلك البقبوق[٦] حتى امتلأ في سبع سنين فطرحه في نار جهنم فأطفأت نارها لئلا

(١) ويقول البحاثة : إن الهدف من هذه الأسطورة هو تبرير معاداة اليزيديين للإسلام والمسلمين حيث لم تذكر هذه الحادثة في كتب التاريخ إلا أن اليزيديين سعوا إلى تأكيدها من خلال الادعاء بزواج يزيد من زوج هي أخت عمر بن الخطاب رضي الله عنه. لم تذكر كتب التاريخ أختاً لعمر بن الخطاب بهذا الاسم.

(٢) عدم ورودها في النصوص الدينية.

(٣) ويقال (مهورە) - الختاري -

(٤) تاريخ الخلفاء الأمويين لا يذكر تاريخ يزيد بن معاوية كما ذكره إسماعيل چول بك - الختاري -

(٥) ويقصد الأكاذيب.

(٦) جرة فخارية صغيرة ولها فتحة صغيرة جداً في الأعلى - الختاري -

يتعذب بها الجنس البشري.[1] كان بكاؤه بسبب أخيه الآخرة، و سمع الرب الإله سمع دعاءه وقبل بكاءه أخوه الآخرة فأطفأ نار جنهم من ذاك الوقت. لهذا يلزم على كل يزيدي أن يكون له أخ الآخرة وذلك شأن النساء أيضاً، فكل امرأة أن تكون لها أخت الآخرة، وعلى الرجل والامرأة أن يرضيا أخيهما وأختهما الآخرة وأن يكرماهما في السنة مرتين من مالهما الخاص. ويقولون : إن كل واحد من الملائكة السبعة أي الآلهة قد صنع سنجقاً له وهذه السناجق بقيت عند سليمان الحكيم، و بعد موته سلمها إلى ملوك أمتنا. ويوم ولد ملكنا البربري يزيد أخذ تلك السناجق لأمتنا اليزيدية بسعادة عارمة، وجعل لها مكانة عظيمة،يقولون: يزيحون بلسان الكردي القديم المقبول ويضربون على الدفوف والشبابات و ينطلق الصوت عالياً : هلموا هلموا لملكنا الغيور، كل الملائكة وتلك السناجق هي عند .

محتويات خزينة الرحمن وإعادة السناجق والجولات

أمير الشيخان الجالس على كرسي يزيد في جبل لالش النوراني. وتوجد أيضاً خزينة الرحمن كانت فيها جميع المعادن والمعابد القديمة المتنوعة الأشكال، لكن جورالزمان وهجمات الإبادة والاضطهاد التي توالت على الأمة اليزيدية [2] منذ أربع آلاف سنة وحتى الآن تسببت في سحق الكثير ونسف الكتب وغيرها من الموروث في زمن غزو العجم والمغول والترك، فلم يبق منها إلا القليل مما لا يُذكر. وفي زمن الفريق عمر باشا أيضاً تعرضت اليزيدية إلى هجمات ظلم واضطهاد ذات ومصائب جسيمة،

(١) هناك أساطير يزيدية أخرى تؤكد أن إبليس هو من أطفأ نار جهنم، فبعد أن غضب الله عليه بقي آلاف السنين يبكي فسالت دموعه في سبعة أباريق وسكبها على نار جهنم فأطفأها – لكن لا تذكر النصوص الدينية ذلك. - الختاري -

٣١إشارة إلى أن ضياع التراث اليزيدي كان بسبب الحروب والاجتياحات التي تعرضت لها مناطقهم في عهود مختلفة.

وكان قد عمر باشا قد استحوذ آنذاك على السناجق كلها [1] لكن أخيراً في عهد سليمان نظيف باشا تمكنا من استرجاعها وهي الآن موجودة عند أمير الشيخان، مثل كبش أبينا إبراهيم وحيات تشير إلى طاووس ملك حين صار حية وشكل عقارب، فقد كان يخرج من الجنة بصورة الحية وغير ذلك من الأشكال ويعود يدخلها. ويسمى بيت أمير الشيخان "الدعا" في ذكر وأقوال الشيخ عادي، دولتي خليفتي عصر زمان. وهكذا كلما يجتمع القوالون وينصبون سنجق طاووس [2]ويدعون للأمم وخصوصاً للأمة اليزيدية ويقولون في دعائهم : دولتي خليفتي عصر زماني، فيحافظون على مذهب اليزيدية ويصونونه. وفي الكردي (مذهبي وأن قايم بي) ويجتمع القوالون عند أمير الشيخان الكبير والمصومي، ووكيل عوض نسروخ ملك الآشوريين الأولين وهو شيخ ناصر الدين، ويقومون بتفقد السناجق : فسنجق الواحد على الكلثيين[3]. وآخر على بلاد حلب. وآخر على المسقوف.. وآخر على سنجار. هذه السناجق الأربعة يأخذها القوالون بالضمانة والمسؤولية ويذهبون بها، وتسعة سناجق هي القديمة : الأول على بلاد الأمير" سنجق الغربي". والثاني على جبل سنجار. والثالث على ملكة تكريت وسامرة وشرقاط. والرابع على وسنة حرير أي مملكة بيرهن ممان بين العقرة وشيخان. والخامس حلب والشام وأورفة ومملكة سروج وحران.

كان في منطقة أورفة ثلاثمئة وستون قرية وحتى الآن الزيارة فيها قائمة، يقال لها : (مزلة ككي عزيز ومقام يزيد) والسادس على بلاد سمرت و أعني مملكة شيخ

(١) وفي عهد سليمان باشا الملقب بالكبير والي العراق بين عامي ١٧٨٠ م ـ ١٨٠٢ م. جرد حملة عسكرية ضخمة اجتاحت مناطق البزيدية، وقتل فيها الكثير من اليزيدين وأسر النساء والأولاد. انظر اليزيدية قديماً وحديثاً د. قسطنطين زريق - مرجع سابق.

(٢) سيأتي التعريف بطبقة القوالين في كلام إسماعيل بك

(٣) لم اسمع بهذا السنجق –الختاري-

حسن البصري[1] والثامن على مملكة نصيبين ومديات وحكارية الجوانية، التي كانت تشتمل على ما يقارب الخمسين قرية بين بلاجوك وعين تاب. والتاسع على مملكة وان وتيارية وجبل حكارة ودشنة خان شرقي بلاد التيارية، والزيارة فيها كبيرة ختى الآن ويسمونها : (بيري مندخان). والسناجق الستة يذهبون بهم إلى الشيخ عادي وهناك يقومون بتراتيل ويعم الفرح العظيم، وبين التيارية وباش قلعة وان، هنالك مئتا قرية يزيدية تعود في قدمها إلى مئة وخمسين سنة، يقوم القوالون القوالين بأخذ حمل من تراب الشيخ عادي، ويجبلونه ليصبح طيناً ويشكلونه بقدر العفصة ويأخذونه معهم مع السناجق إلى البلاد والمناطق المذكورة، ويعطون الجماعة منه كبركة لوقت الحاجة. وقبل أن يقتربوا من قرية أو مدينة يرسلون منادياً قل وصولهم بنصف ساعة يصرخ بأعلى صوته وينادي في ذلك المكان ثلاث مرات أمة الإيزيدية قائلاً : لقد جاءتكم صورة الملائكة فاستعدوا لاستقبالها بالإكرام والعجل، فيخرجون جميعهم للقائه بثياب نظيفة وأرجل حافية ويسبحون ويهللون مع نثر البخور والعطور، وتهلل النساء بالفرح والحبور.

وحين يحضرون إلى البيت تجتمع جماعة اليزيدية فيعظ القوال عن لسان الشيخ عادي وطاووس ملك : المال مالي والبشر عيالي أنا أفقر أنا أغنى، أنا لا أحب الذي يدعوني باطلاً والذي ينكرني أمام الناس أنكره في السماء [2] ، وأنا أحب الذي يحبني من كل قلبه يقطع من لحمه ويكرمني و أرضى عنه وأتجاوز سيئاته، وأقبل منه عوض الصوم والصلاة، فلا يشك بي وبدعوتي دائماً، فأنا حاضر عنده وعند الضيقة ولا يخطئ ولا يزني ولا يكفر ولا يفعل كباقي الطوائف الخارجة، ولا يحسد

(١) وهو من أقطاب المتصوفة. توفي في الأول من رجب عام ١١٠ هـ. كان تقيا ورعاً زاهداً منعبداً عالماً، ولا تدري ما هي العلاقة بين اليزيدية والشيخ البصري.

(٢) هذه فقرات من الكتاب المقدس عند اليزيدية واسمه مصحف رش كلام بلسان الابليس وسنأتي على ذكره لاحقاً.

هذا يوم القيامة أسامحه وأرجو من الرب الحق أن يغفر له ويدخله الجنة[١]. وتجري المزايدة الدينية وأخ يوم القيامة في بيت من يدخله، والذي يعطي المزيد الزائد يدخله عنده وبقية أهل المكان يقدمون له الفضة، كل واحد بحسب مقدرته، ويكون مركز السناجق في محل الشيخ عادي المكان المقدس عندهم. ويوجد في دائرة الشيخ عادي مكان يسمونه (طاووس خاتون) وهو بقرب خزينة الرحمن. ويعظ القوال فيه أيضاً ويقول : إن الذي يحب الشيخ عادي وطاووس ملك يجب ألا يكون عنيداً يجب أن يكون قلبه طيباً بسيطاً،شيء آخر: عندما يضعون الطاووس في محله على مكان عالٍ يفعلون ذلك بكل احترام وتبجيل ويجلس القوالون على يمينه وشماله، وإلى جانبهم يجلس شيخ الوزير ويجلس قربه البيرة [٢]والمشايخ وباقي الجماعة الحاضرين والموجودين في تلك القرية، ويضرب القوالون على الدفوف و تقوم الشابات قدر بالدوران حول الطاووس بصمت وخشوع تام، الجميع يقوم بوضع أيديهم على صدورهم سبع مرات، ثم يقدمون الأطعمة والطعام المفتخر ويضعون العنير أمام الطاووس وبعد الانتهاء من الطعام يقوم كل فرد كل من.

الجماعة الحاضرين بتقبيل الطاووس وتقديم هديته التي قد نوى بها في نفسه وقلبه. ثم تلي الرجالَ النساءُ ويقمن بتقبيل السنجق "الطاووس" ويقدمن له الهدايا، و منهن مَن يقدِّمن فرشاً من محافير [٣]وبسطاً وغير ذلك بالإضافة إلى ما يقدمه رجالهن. ويجري ذلك أيضاً في أعياد الجماعية [٤] حيث المسامحة والضحية، وبقية الأعياد يظهرون الطاووس في الأماكن القريبة من الشيخ عادي كقرى الشيخان وبعشيقة وباحزاني، ويجلسون حوله، كما ذكرنا آنفاً يضربون على الدفوف

(١) وفي هذا النص إشارة لتأليه اليزيدية لطاووس ملك والشيخ عادي إضافة إلى الإيمان بالله كإله أكبر قادر وخالق كل شيء.

(٢) والبيرة جمع البير وهو أحد مراتب رجال الدين اليزيديين وسنأتي على ذكره.

(٣) وهو نوع من السجاد ولعل أصل الكلمة من اسم مدينة كان الفارسية التي يصنع فيها السجاد.

(٤) ويحتفل اليزيديون بالعديد من الأعياد سنأتي على ذكرها في موضع آخر من هذا الكتاب ص ٤٥ وما بعدها.

والشبابات ما استطاعوا و ويدورون حوله بصمت تام وخضوع كامل، إشارة إلى طلب المغفرة لخطاياهم. يقوم القوالون بالضرب على الدفوف والشبابات، وكذلك تفعل بقية الجماعة من شيخ الوزير والإمام وكواجك [١]وشيوخ وبيرة. ويستمرون بالسكوت والصمت قرابة ساعة أو أكثر أو أنقص إلى أن ينتهوا من الدعاء والصلوات المفروضة، عند ئذ يتقدمون ويقبلون الطاووس ويقدمون هداياهم، وبدعاهم يحمدون الإله ويبجلون جميع الأنبياء والأولياء [٢]والملائكة. ومن يتقدم لزيارة الطاووس يتقدم بخشوع زاحفاً على ركبه مكتوف اليدين، يزوره ويقدم هبته، ثم يقرأ القوال على رأسه دعاء وصلاة تحتوي على أربعين كلمة قد تزيد أو تنقص، ويذكر اسم جميع الملائكة على رأسه. وفي الليل يقومون بغلي الطاووس بماء وسماق حامض ويدهنونه بالزيت والماء ويضعنه في شربة الطاووس الخاصة، فلكل سنجق شربة خاصة من معدن، ثم يوزعون هذا الماء على الجماعة تتابعاً ويشربونه لتحل البركة، ومن بين تلك السناجق هنالك سنجق معين يدورون به في كل سنة ثلاث مرات أي كل أربعة أشهر مرة.

ويعمدونه بكل فرح وتهليل ويغسلونه بالماء والسماق الحامض ويدهنونه بالزيت ثم يشعلون له السراج وهكذا.. فكل سنجق معه شرابه من الماء الذي تسقى به الجماعة، وكل من يشرب من ذلك الماء يقدم هدية له. رأس السنة عندهم أول أربعاء من شهر نيسان و شهر نيسان كله أعياد ويسمونه بالكردي سرصالي، وفي أول أربعاء من شهر نيسان، يجب أن تكون في كل بيت أضحية، حيث يذبحون الغنم والثيران ومن لا مقدرة مادية لديهم يذبحون الدجاج ويُجرُون الصدقات عن أرواح أمواتهم، ويعدون

(١) سيأتي التعريف بها على لسان المؤلف عند الكلام عن طبقاتهم الدينية.

(٢) الذين هم محل تقديس اليزيدين أمثال الشيخ عادي وحفيده الشيخ صخر... وغيرهم ممن سنأتي على ذكرهم لاحقاً (ص : ٦٧) وما بعدها.

[1] الأطعمة عن أرواح موتاهم، ويضعونها لعابري الطريق والمساكين ليترحموا على أمواتهم، ويروي الكواجك روايات حول تناسخ الأرواح [2]ويذهبون لزيارة القبور.

الطوافات والأفراح في الأعياد الدينية

توجد مزارات في دائرة الشيخان وقرب الشيخ عادي وفي بعشيقة وباحزاني، وفي الزيارات يقيمون عليها طوافة أي يحضرون طبل وزرناية ويبتهجون بالعيد. وفي شهر نيسان يحرَّم الزواج عندهم،وذلك إكراماً لشهر نيسان لأنه أبو الورود، ولأن الأنبياء في هذا الشهر قد تزوجوا لذلك إكراماً وتبجيلا لوقار الأنبياء يمتنعون عن الزواج في هذا الشهر، وتلبس النساء الحلي واللباس الفاخر ويرقصن أيضاً مع الرجال والشباب ويرتلون كردياً.[3] ويقدمون لأصحاب العلم والعلوم وللقوالين من الفضة والذهب ما كان ضمن إمكاناتهم ومقدرتهم. في يوم الأربعاء توهب الخيرات لأجل الملائكة، ففي ليلة رأس السنة تأتي في نصف الليل ملائكة السماء وتجلس وتفرز العباد، ويسجد العلماء وأهل الكرم [4] عند .

مجيئها في تلك الليلة، فوظيفتهم منصبة على الحي والميت من جنس البشر ومخلوقات الله، ويكون الله جالساً على الكرسي، يأمرهم أن يجتمعوا إليه فيلتم المعروفون والمقربون أي الشاوشبينات [5] ليقول لهم: أنا أنزل على الأرض بالتسبيح

(١) وهي نوع من الحلويات معروفة وتسمى الكلاج.

(٢) يؤمن اليزيدية بتناسخ الأرواح، وسيأتي على لسان المملي كيفية التناسخ وفق عقيدتهم (انظر ص : ٤٠ وما بعدها). انظر الشهرستاني الملك والعمل. تحقيق سعيد كيلاني - بيروت. ١٩٨٤

(٣) لعل هذا ما سمي بعيد شفرشك أو عيد الليلة السوداء، وفي هذه الليلة التي يستحلون المحارم والمحرمات كما تذكر موسوعة الأديان، التي أصدرتها الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

(٤) لم يرد في المراجع التي أطلعنا عليها ما يشير إلى هذه الكرة لذلك أعتقد أن ما قصده المؤلف هو أهل الكرامات.

(٥) وتدل هذه الكلمة أيضاً على التأثر بالدين المسيحي فكلمة أشبين معروفة لدى المسيحيين.

فيقومون جميعهم ويفرشون أمام الله، ويلقون قرعة التعشير [١]عليهم ويختم بختم له عليهم، ويومئ الله الكبير إلى ملك طاووس لينزل على الأرض فيضع السلطة بيده أن يصنع كل شيء بإرادته[٢]. و يريد الله الصوم والصلاة والصدقة والخير ويريد أن يصوم الكواجك عموماً أربعين يوماً في الصيف أيام المربعانية [٣]، وفي الشتاء أيضاً في الأيام ذاتها، وإذا أحضر أحد العلماء للكوجك الصائم وليمة خيِّرة يعفى من صومه، إذ يقول هذه صدقة فلان سنجق سجادين أو شيخ شمس أو شيخ آخر من الأولياء أصلح من الصوم، [٤]عندئذ إذا رأى رجل معشرالسنة أن الصدقات ناقصة، ضربهم بعصا التأديب ودب في قلوبهم الرعب والخوف وسوى ذلك.. وحين يعطون للكواجك وغيرهم الفضة يقتتلون مع الجنود الروحانيين ويثيرون غضبه عليهم، وهكذا في كل جمعة يتقربون من الملك طاووس بأحمال من الصدقات، وفي ليلة الجمعة يقف الخادم على السطح المجاور في القرية [٥]ويصرخ ثلاث مرات بصوتٍ عالٍ قائلاً : رحم الله والدي الذي يسمع صوتي، أن نهار غد دعوة نبي[٦] وليمة فلان ملاك، والجميع ينظر إلى إيجابية وحسن هذه الوليمة، فيبادر كل فرد منهم إلى تقبيل الأرض والحجر الذي يستند عليه، ويقومون بالأمر ذاته عند الغروب إذ يسجدون.

للقمر ويؤدون الكثير من الصدقات والهدايا التي وحسب ظنهم [٧] أنها تدفع الضربات والعقوبات، كما يُحيون أجواء العيد في عيد في كانون الأول، فيصومون قبل

(١) لم أعثر على معنى محدد لقرعة التعشير هذه لكن أظن أنها مشابهة للقرعة التي كان يجريها الجاهليون قبل الإسلام.

(٢) راجع عيد رأس السنة عند اليزيدية وعلاقته بالبابلية القديمة ـ مجلة الجمعية الألمانية الشرقية العدد ٥٥

(٣) ويصوم في هذه المناسبة فقط الكواجك أما اليزيديون العاديون فيصومون ثلاثة أيام فقط.

(٤) ويعتبر هذا الأسلوب حيلة تهدف إلى تحليل إفطار الكوجك.

(٥) ويقصد أقرب وأعلى سطح مجاور لبيوت القرية.

(٦) مناداة الناس –باكدان - - الختاري -

(٧) يبدو أن إسماعيل بيك قد نقل هذه الفكرة عن غيره.

كانون الأول بثلاثة أيام وأول يوم من كانون هو : (عيد يزيد) ويسمونه : (عيد بيلندة) أي : عيد ولادة يزيد [1]، ويفرحون به ويشربون الخمر ويعدُون خبز الكليجة. وفي العاشر من كانون الأول (عيد الأموات) العيد منذ زمن يزيد الذي يمثل ظهور الشيخ عادي، و في هذا العيد لديهم عادة في أنهم يعدون خبز الكليجة، ويقوم كل بيت بصنع قطعة كبيرة منها ويضعونها على ظهر أحد أولادهم، وبعد سبعة أيام يأتون رجلاً غريباً ليكسر لهم تلك القطعة ويقسمها على جميع أهل الدار، ويضعون داخلها زبيبة أو قسبة، ومن تكون من نصيبه القطعة التي فيها الزبيبة أو القسبة يكون ذلك مؤشر كونه سعودَ ذلك البيت، ويعدون أخرى على اسم السيدة مريم العذراء [2]تكون مدعبلة ويضعونها داخل المونة أو الطحين لأجل البركة [3].

الأعياد والصوم

في عشرين كانون الآخر يُحيون (عيد المربعانية الشتائية). ويمر عليهم عيد أول خميس من شهر شباط وهو (عيد خضر إلياس). البعض منهم يصوم ثلاثة أيام والقسم الآخر يصومون يوماً واحداً. وهكذا يكون العيد عشرين يوماً من شهر تموز وهو (عيد المربعانية الصيفية). وفي هذه المربعانية الصيفية والشتائية يصوم الكواجك، وإذا أحضر أحد الجماعة لهم مائدة يقول : اقبل هذا الطعام عن محبة فلان شيخ أو فلان سنجق فيحل صومه ويأكل. ويوم العاشر من حزيران حساب شرقي فيجب أن يذهب شيخ كبير والكواجك وعدد من الروحانيين اليزيدية إلى الشيخ عادي، و أن يصوموا هناك ثلاثة أيام ثم يرجعون إلى بيوتهم ليكملوا الأربعين يوماً في صوم المربعانية، وقبل نهاية الأربعين بيومين أو ثلاثة أيام يذهبون أيضاً إلى الشيخ عادي مع قسم من جماعة اليزيدية، وهناك يعايدونه لأنه كان يصوم أربعين

(١) هي ولادة ميثرا إله الشمس والسيد المسيح والشيخ آدي بن مسافر الهكاري (ع)

(٢) وهذا دليل آخر على تأثرهم بالدين المسيحي.٣

(٣) توجد خولیرة واحدة وليست للسيدة الفاضلة مريم العذراء علاقة بالموضوع - الختاري -

يوماً في الشتاء وأربعين يوماً في الصيف، ويذبحون الذبائح. وفي (عيد القربان) يصعد الجاويش جبل الشيخ عادي ويسمى جبل عرفات وعلى رأسه طبق خبزٍ رقيقٍ، [1]وهناك يقف على أعلى حجر موجودٍ في قمته بصحبة جماعة اليزيدية، ثم يرمي طبق الخبز من على رأسه فيحاول كل شخص الحصول على كسرة خبز، ليأتي بها على عجل إلى ماء الشيخ عادي [2] الذي يبعد عن ذاك المكان مسافة يتم تجاوزها في عشرين دقيقة أو أكثر، فيغمسها بماء الشيخ عادي ويأكلها فيُقبَل وينال مرامه. وفي عيد الجماعية يجتمع اليزيدية من جميع الأطراف والجهات،من حلب وسوريا والمسقوف والكرد وأماكن شتى، فمن يتمكن من الحضور فله الأجر العظيم، ويصادف ـ كما أشرنا ـ اليوم الثاني عشر من شهر أيلول إلى العشرين [3] وكل من يحضر في هذه الأيام الشيخ عادي يُبارك و يتقدس، و يمنع في هذي الأيام إعداد الطعام إلا من طعام الشيخ عادي وفي مطابخه، ففي كل مزار مقيم يعد الأطعمة للزائرين تأخذ منها الجماعة وتتبرك بها ويقدمون عوضها هدايا دراهم، ويجتمع أكابر الايزيدية وينصبون تخت ملك يزيد وتتم المزايدة عليه، والقبيلة التي تعطي تزيد الكل لها الحق في أن تنصبه، ولكل قبيلة محل في الشيخ عادي، وهنالك ثمانون محل خارج عن موضع الشيخ عادي، وحين ينصبون التخت ويحضر الكواجك والشيوخ ويقوم القوالون بالضرب على الدفوف والشبابات ويدورون حول التخت.

(١) هو جبل موجود في المرجة النورانية في وادي لالش بالعراق يحج إليه اليزيديون في كل عام. وهو بالطبع غير جبل عرفات المعروف في الحجاز، الذي يقف عليه المسلمون يوم التاسع من ذي الحجة. انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمعتقدات المعاصرة ـ مرجع سابق.

(٢) وهي نبع ماء عذب قرب ضريح الشيخ عدي بن مسافر يسمونه عين البيضاء أو زمزم وانظر ما يأتي في الحاشية الأولى في الصفحة التالية.

(٣) جاء في الموسوعة الميسرة للأديان أن موعد الحج عند اليزيدية في العاشر من ذي الحجة من كل عام هجري، وهذا مخالف لما يقرره زعيم اليزيدية هنا.

ثم يحملونه ويذهبون به ليعمدوه في عين البيضاء [1] ويعيدونه على أصوات ضرب الرصاص والفرح والهلاهل، ودخول مطبخ الشيخ عادي في هذه الأيام يكون في وقت الصلاة ليلاً، حيث يُلبس تاج وحلة الشيخ عادي ويتم ذبح ثور كبير يسمونه "سماط جل ميراي" يكون طعاماً لأربعين رجل ثم يضعون لحم الثور في القدرعلى النار إلى أن يُطهى جيداً، بعد ذلك يتقدم الرجال ومن يتمكن قبل الجميع من الإمساك بقطعة مهما صغرت وإن كانت بحجم بندقة فإنه قد نال مرامه وداؤه مستجاب،[2] والقبيلة التي تفوق نظراءها من قبائل الإيزيدية بالمزايدة لأجل نصب تخت الشيخ عادي، يكون لها الحق في تنصيبه، ويقوم أمير الشيخان بوضع زبون أو عباءة أو غير شيء على التخت إكراماً وتقديراً، و يقدر آغا تلك العشيرة التي غلبت بقية العشائر بالمزايدة بخلعة. وفي كل جمعة يأتون الملك طاووس بحملٍ واحدٍ من الصدقات، وفي كل ليلة جمعة يقف المجاور أو خادم إحدى القبب أو القوال ممن كانت له المناسبة على رأس السطح المجاور للقرية، ويصرخ ثلاث مرات بصوتٍ عالٍ قائلاً : رحم الله الله أمه وأباه الذي يسمع صوتي. ففي نهار الغد تكون دعوة نبي وأئمة الملاك الفلاني أو الشيخ عادي أو ملك ميران أو غيره... حيث ينتظر الجميع تلك الوليمة، وكلٌ منهم يقوم بقبيل الأرض والحجر الذي يستند إليه، ويعدون الأطعمة ثم يتجهون إلى قبة ذلك الشخص، وهناك يؤدون العبادة والصلاة ويتناولون الأطعمة ثم يعودون إلى بيوتهم. كانت تلك الدعوة تتم قديماً في نهار الأربعاء، وتحولت اليوم إلى نهار الجمعة مجاراةً للمحمديين، [3] بعد الاضطهادات التي وقعت عليهم منهم، فصاروا الآن يقدسون نهار الجمعة تحسباً وتحاشياً لأي مكروه.

---

(١) وهي نفسها التي يطلقون عليها زمزم كذلك وهي بالطبع غير ماء زمزم الموجودة ضمن الحرم في مكة المكرمة. ونلحظ هنا استخدام مصطلح التعميد المعروف لدى المسيحيين.

(٢) يظهر هذا الاضطراب في إملاء زعيم اليزيدية لمعتقداتهم، حيث بدأ بوصف أحد الطقوس ثم انتقل إلى موضوع آخر قبل إنهاء الوصف الأول بعد ذلك عاد إلى الموضوع الأول، انظر مثلاً كيف سيعود لتكملة وصف وليمة اليزيدية في عيد الشيخ عادي.

(٣) ويُقصد المسلمون الذين يتخذون يوم الجمعة عطلة وهم يقومون بذلك تقية كما يصرح بذلك.

ويقولون : كتبنا[1] هي قلوبنا[2]. وبعد أن ينتهوا من أكل الثور وتحترق أيادي البعض من حرارة الماء المغلي يقلبون القدر على الأرض ويلتهمون اللحم، وبعد ذلك يمضون لسيبحوا بماء زمزم النابع من مغارة هيكل العتيق [3]الموجود في الشيخ عادي في عجلة وخفة ثم يرتلون. بعد ذلك يذهبون إلى الجبل ويطلقون الرصاص ثم ينحدرون مرة أخرى إلى الشيخ عادي، وكلٌ منهم يأخذ حفنة تراب للتبرك، ثم يلبسون أحلاق مشبكة أي رباطاً، ويعمدون السناجق بماء زمزم ويلبس الجاويش ما يشبه الهرار عند النصارى المنسوج من شعر المعز وحابوطاً طوله تسعة أشبار منسوجاً من شعر المعز ومصبوغاً بالكورز الأسود حوله سلاسل معلقة، يضعه الجاويش على رأسه ويقوم ببعض الحركات والألعاب أمام الجماعة، وحين ينتهون من تلك الزيارات يأتون بالفضة التي جمعت كلها من الجماعة إلى الأمير الذي يقوم بتقسيمها فيما بينهم لكل منهم حسب درجته ومكانته وتكون له حصته مما يتبقى. وهنالك أيضاً اجتماع آخر في عيد الحجاج إذ يصعدون الجبل المسمى بجبل عرفات [4]ومن يصل قبل الجميع إلى المكان المعين يتفوق على سواه بالقوة والخفة.

وثمة اجتماع آخر يدعى طريق الكواجك والفقراء والعلماء وأهل العبادة، وفي هذا العيد والاجتماع يربطون حبالاً برقابهم ويصعدون الجبل، وهناك

(١) كانت لدينا كتب لكن فقدناها نتيجة الحملات المتعسفة على الأيزيدية، فأكثر الناس يعشقون العلم والقراءة والكتابة - الختاري -

(٢) هم لا يقرؤون ولا يكتبون ويحرمون القراءة والكتابة، لهذا يحفظون كتبهم ومعتقداتهم عن ظهر قلب وعليه فإن مبدأ : كتبنا هي قلوبنا، لا علاقة له باضطهاد المسلمين لهم،وإنما سببه تحريم القراءة والكتابة في عقيدتهم.

(٣) ويسمى المعبد هنا الهيكل العتيق تماشياً مع التسميات التي يطلقها اليزيديون على أماكن عبادتهم وهنا نشتم التأثر باليهودية التي تقدس ما يسمى بهيكل سليمان.

(٤) وهذه أيضا تشابه وقفة عرفات عند المسلمين في الحج ليلة عيد الأضحى المبارك.

يجمعون الخشب ويأتون به إلى الشيخ عادي، بعد أن [1] يحملوه على ظهورهم كهدية يقدمونها لمطبخ الأمير. وفي شهر نيسان الذي هو رأس السنة وأبو الورود يدور الشبان والشابات في البراري ويجمعون أنواع الورود ويربطوها باقات ويضعونها بالطين على قوائم الأبواب وأبواب الدور، ففي شهر نيسان لا ترى بيتاً إلا وعليه الورود.

حفظ النصوص الدينية

يقولون : إن كتبنا هي قلوبنا. إذا تعرفنا كل شيء عن آدم الأخير وإلى ما بعد، تراهم يقرون بسبعين آدم وهذا أبونا آدم الواحد والسبعون، [2] وحتى الآن و في الحاضر والمستقبل، وتوجد شكوك بين الكواجك فواحدهم يكذب الآخر.يقولون : كيف تظهر لهم بلا اكتشافات وروايات وجوه متغايرة و في أزمان مختلفة؟ ومنهم من يقول : المساء هو شيخ شمس، وفي كل حين يوجد عندنا أنبياء حتى أن أحد الكواجك قال : لقد كنت في سفينة يونان النبي [3] حين طرحوه في البحر وبقي أربعين يوماً بلياليها ماكثاً في البحر، وآخر قال : كنت في المجلس في حضرة الله تعالى وسألني وقال : ما صار الزمان إلى أن أرسل المسيح إلى العالم ؟ فأجبته : نعم ثم

(١) وهو الشيخ الصوفي المعروف عدي بن مسافر المتوفي في العراق عام ٥٥٧ هـ والمدفون في وادي لالش في العراق.ولا يفهم لماذا يقدسه اليزيديون مع كونه شيخاً صوفياً مسلماً تقياً ورعاً. انظر جامع كرامات الأولياء النبهاني.

(٢) ويعتقد اليزيديون مثل بعض الديانات والمعتقدات الأخرى بالدورات الكونية المتتالية التي بلغت إحدى وسبعين دورة كونية، وفي كل دورة : يخلق الله آدم جديداً ويتجدد الدين اليزيدي بعد أن ينتهي البشر في كل دورة منها... ويقولون إن الأبالسة والشياطين كانوا يسكنون الأرض قبل آدم الأول، وحينما خلق آدم الأول بقي نسله على الأرض عشرة آلاف سنة ثم خربت الأرض وفنيت ودام هذا الفناء عشرة آلاف سنة أخرى، أما أروع البشر فتبقى بعد فنائها في كل مرة تبقى سليمة دون فناء بل تنتقل إلى عالم خاص بها لعله عالم البرزخ الذي يعتقد به المسلمون الديانة اليزيدية ـ محمد مرسي القاهرة ١٩٧١ / ١ م

(٣) إشارة منهم إلى قصة نبي الله يونس ذي النون عليه السلام وهو هنا يوكد معتقده بالتقمص.

أرسله بعد أن صنع له آيات بالشمس فنزل إلى الأرض، وبين فقط لأمتنا الذخائرالسبع الموجودة الآن في الشيخ عادي. الغرباء لا يحفظون الترتيب مثلنا وليس لديهم معلوم مسمى كما حالنا، أما نحن فعندنا الأمير بن الأمير والشيخ بن الشيخ والقوال بن القوال والكوجك و...إلخ، [1] لكن النصارى والمحمديين يتخذون القسوس والملالي ممن ليسوا من جنسهم وجماعتهم وقبيلتهم. القوالون لا يحلقون لحاهم مطلقاً، [2] وهكذا أيضا الشيخ والبير[3]

والفقير والكوجك والأمير لا يعبرون موسى على وجوهم وإذا أحدهم عبر موسى على وجهه، فلا يقبل أحد يده ولا مقبول خيره.

الزواج عند الأيزيدية

أما الزواج عندهم فإنهم يحضرون رغيف خبز من بيت الأمير، وإن لم يكن موجوداً فمن بيت الشيخ أو من بيت أحد الأكابر المضيفين للغرباء من الإيزيدية، يعطون نصفه للختن ونصفه الآخر للعروس والرضا من كلا الطرفين، ويأكلانه الخطبة وعقد النكاح أو يحضرون القليل من تراب الشيخ عادي عوض الخبز ويأكلانه، أما العرف: فأن يحضر الشيخ منه في كل بيت يحتفظ بتراب الشيخ عادي للبركة، وإذا خطف أحدهم امرأة رفيقه فيلزم بأن يعطي عوضها الفضة أو

(١) هذا فيه تكريس لمفهوم الطبقات المعروف لدى الهندوس، وقد مرت الإشارة لهذا المعنى في كلام المللي.

(٢) إشارة إلى زهاد اليزيديين الذين لا يحلقون لحاهم أو شاربهم أبداً وإن حدث وحلق أحدهم لحيته أو شاربه فإنه سيلقى مقاطعة من جميع اليزيديين وهما من مؤثرات المسيحية. فيما يبدو

(٣) الشيخ والبير يحلقون لحاهم.

امرأته الأولى أو أخته أو أمه[١]. وفي شهر نيسان يحرَّم الزواج [٢] لأنه رأس السنة، غير أن الكواجك مباح لهم الزواج فيه، ولا يستطيع أحد أن يأخذ ابنة الكوجك وأما البقية فكل واحد ضمن قبيلته وجنسه ودرجته، في حين يُباح للأمير أن يأخذ من كل من يشتهي دون مانع.

والزواج من ابنة عشر سنة إلى ابنة ثمانين سنة مباح عندهم، ومن امرأة إلى ست نساء، الواحدة تلو الأخرى[٣]. ليس للابنة ميراث عند أبيها يبيعها كما يبيع البستان [٤] وإن امتنعت عن الزواج فتلزم بأن تفي أبيها فضة أو شيء من تعب يديها. وفقط الكواجك يشربون الخمر والمسكرات، وبعض الشيوخ لا يشربون

ويجري الرقص بين الذكور والإناث فمباح لهم أن يرقصوا معاً. وقبلما تأتي العروس إلى بيت الختن يجب أن تزور كلاً من القبب القائمة أمام الملك وأيضاً كنائس النصارى إذا كانت في طريقها، و يلزم أن تقبلها [٥]وحين تبلغ بيت الختن يدخلونها إلى ساحة الدار، حيث يكون الختن [٦] واقفاً في مكان مرتفع، فيضربها بحجر صغير ـ وبهذا يبين أنها قد ستبقى تحت سلطانه، ثم يكسرون رغيف الخبز على رأسها إشارة أن تكون محبة للمساكين. وفي ليلة الجمعة والأربعاء يلزم أن يمتنع الختن عن

(١) يعتبرون المرأة كسقط المناع وليس لها رأي في أي من الأمور الدينية بل ليس لها رأي في نفسها أو زواجها بل إنها مملوكة ملكية كاملة للرجال لذلك من خطف امرأة وجب عليه دفع قيمتها على الطريقة التي ذكرها.

(٢) سيأتي تعليل تحريم الزواج في شهر نيسان لاحقاً ـ

(٣) إن تزوج أحدهم من سابعة وجب عليه إطلاق إحدى زوجاته الأخريات.

(٤) إن هذه الفكرة تثبت أن اليزيدية تعتبر المرأة كسقط المتاع حيث يعمد أبوها أو أخوها إلى بيعها وقبض ثمنها و صرفه بالطريقة التي يشاء لكن يتم تخفيف وقع تعبير الثمن بتسميته مهراً.

(٥) ما ورد دليل آخر على احترام اليزيدية لـ المسيحية وارتباطهم به وتمثلهم لرموزها.

(٦) يعني المؤلف بالختن الزوج لأن الرجل بطبيعة الحال مختون ولذلك يسميه المؤلف شأنه في ذلك شأن باقي اليزيديين بالختن ولا بد أن نشير هنا إلى أن اليزيديين يقومون بختن الذكور وهم أطفال شأنهم في ذلك شأن المسلمين.

الحضور مع العروس، وأول ليلة يدخل بها الختن على عروسه، يقف رجلان أو أزيد على باب الغرفة التي فيها الختن والعروس وعندما يأخذها يخرج الختن وبيده منديل شهادة بكوريتها، ويريه للواقفين أمام الباب وهم يضربون رصاصاً إشارة أن فلاناً تزوج فلانة. ويجب أن يكون الطبل والزرناية حاضرَين في العرس لأجل الشهادة، وجرت هذه العادة منذ قديم الزمان، لأنه فيما مضى في زمن الشيخ عادي، قام رجل يدعي على امرأته بأنها امرأته، بينما كانت المرأة تنكر ذلك، وتنفي أنه زوجها، فقام أحد آبائنا الأبرار وأصلح بينهما، و من حينها فرض أن يقوم الزواج مصحوباً بالطبل والزرناية، وكان (بير لبن) أحد تلاميذ الشيخ عادي حين يضرب على الطبل يشير إلى أن فلاناً قد أخذ فلانة وأنها زوجته في ذلك اليوم. كما كان يصلح بين الأزواج ويعيد الانسجام والوفاق إلى نفوس المتنازعين والمتخالفين، فيوحد بينهم ويبذل جهده في دب الود والصفاء في قلوبهم. وإن أراد رجل امرأة متمنعة عنه ينذر خروفاً أو عجلاً أو غير ذلك إلى بيرلبن، ليوافق بينهما ويقرب ما بين قلبيهما، وله مقام في محل الشيخ عادي. وكما أشرنا أعلاه أن الزواج محرم في شهر نيسان على كل يزيدي بتاتاً ويحرم البناء وإعمار البيوت والمنازل، ويقولون : إن شهر نيسان هو أرمل والذي يتزوج في هذا الشهر سيتعرض إلى مصاب أليم، قد يموت أحد الزوجين وبالمقابل إعمار البيوت في هذا الشهر غير محمود ولا يُوفّق من يقوم بذلك فيه، ففي هذا الشهر تزدان الأرض بالزهور والروائح الطيبة و تتخابر الملائكة وتتواصل فلا يجوز الزواج ولا البناء، غير قابل أن يصير به زواج أو عمارة بيت، وكثير من الذين تزوجوا في هذا الشهر ماتوا وكثير ممن بنوا فيه أصيبوا بانتكاسات وفشلوا، يجوز أن يتزاوج القوال والكوجك والفقير ويأخذوا من بعضهم، ويُلزم الأمير بأن

يتزوج من قبيلته وكذلك الشيخ فكلٌ يأخذ من جنسه ودرجته[1] وللرجل ست نساء و إذا ماتت له زوجة لا يتزوج دون موافقة و رضا الأولى[2].

مراسيم الدفن

وإذا مات أحد الإيزيدية يجب أن يكون عنده كوجك أو شيخ أو بير يحضر له القليل من تراب الشيخ عادي ويضع قليلاً منه في كفه وعلى وجهه ويمسح به قبل دفنه، وبعد الدفن يضعون قليلاً من بعر الغنم على قبره لئلا تأتي الوحوش الضارية فتخرجه منه. و يقدمون الأطعمة عن روحه وعن الأموات. ويصلي الكواجك و يزينون القبور ويصلون لينالوا الفضل ويسهرون على قبر الميت، و من خلال الأحلام [3] والاكتشافات يعرف أهل الميت ما حال الفقيد وماذا صار بعد موته وبأي صورة وهيئة وشبه رجع إلى هذا العالم مرة ثانية. فأرواح الأشرار تنغرس وتولد في الكلب أو الخنزير والحمار والفرس أو غير ذلك، تتعذب مدة من الزمان وبعد ذلك تدخل مرة أخرى في

(١) ورد هنا تناقض مع فكرة أخرى أوردها المؤلف سالفاً وأكد فيها أنه يحق للأمير أن يتزوج من الطبقة التي يراها مناسبة.

(٢) سبق الملي أن ذكر جواز التعدد إلى ست نسوة ثم أضاف شرطاً للتعدد وهو رضا الزوجة السابقة بالزوجة التي تليها.

(٣) فكرة التناسخ في اليزيدية مأخوذة عن الديانة المانوية أو الهندوسية، أما فكرة الارتقاء فمأخوذة عن الديانة الهندوسية التي يدين بها عدد كبير من الهنود، فالمعروف أن الهندوس هم أول من ابتدع نظرية تناسخ الأرواح، فالروح حسب العقيدة الهندوسية تتقمص العديد من الأجساد خلال رحلتها في الفضاء الخارجي حتى تصل إلى هدفها النهائي. وتتطبق نظرية التناسخ هذه في الهندوسية على جميع الكائنات سواء أكانوا بشراً أم حيوانات، إلا أنها تقتصر بالنسبة لليزيديين أساساً على الشرّ فقط، ولذلك يحرم على الهندوسي قتل أي روح مهما كان شأنها، بل أن هناك من الهندوس من يلبس قناعاً كي لا تدخل الهوام الصغيرة إلى جسده خلال عملية النفس وتموت.

جسم البشر. ومنهم من يخفون الفضة تحت الأرض حتى إذاعادوا يخرجونها، فالقوالون والكواجك شرحوا لهم عن تناسخ الأرواح، ويوجد شكوك ومجادلات كثيرة على هذه النقطة بين الكواجك. يقدمون المعلومات بحسبما تظهر لهم والجماعة تقتنع وتصدق وتؤمن بما يأتونها به، وخاصة بما يخص الأموات، فإن مات أمير أو وال أو سلطان أو غير تلك وكان يسير ويتصرف باستقامة وأخلاق والعدالة فإن روحه ترتقي وتسمو إلى أعلى من درجته ومكانته في تناسخ الأرواح، ومن كان فقيراً ويسلك سلوكاً حسناً كذلك يرتقي إلى درجة أعلى، لكن من كانت سيرته غير محمودة أو كان يضمر الشر والفسق أو كان لصاً وسارقاً أو سافك دماء أو غير ذلك من القبائح والفظائع، فإنه يدخل في حيوان حقير كالكلب أو الخنزير أو غير ذلك من الحيوانات الدنيا، وينتقل بتناسخ الأرواح إلى سبعة أجناس وفيما بعد يظهر بصورة إنسان وضيع قد يحتاج القوت اليومي فلا يساعده أو يتصدق عليه أحد بشيء. وإذا كان الإنسان خيراً فإنه بعد موته يدخل في حيوان كالخروف أو المعز أو الغزال إلى يكمل حياته ذلك الحيوان ومن ثم يعود إلى صورة الإنسان بعد مدة معينة، والبعض ينتقل سبع مرات من جنس إلى جنس آخر أو من جلد إلى جلد آخر بالترقي والتسامي، حتى يصير إلى الغزال أو الخروف ثم يرتقي إلى فرس أصيل لدى أحد الملوك أو الأمراء، وبعد ذلك يلبس الجسد الإنساني مرة ثانية. و إذا كان الإنسان الميت بحياته زانياً فتنزل روحه وتهوي إلى خنزير، وإن كان كاذباً فإلى حجش حمال متعب، وإن كان ظالماً جائراً تنزل روحه إلى كلب دنيء صغير، وهكذا بقية الخطايا والآثام فلكل خطية حيوان تنزل فيه فتعاقب، وهكذا...

وإذا مات الطفل البريء أو الولد الذي لا يعرف الخير والشر يبقى أربعين يوماً في جنة شداد بن عاد، [1] وبعد ذلك ترجع روحه إلى البشر، فإن كان ولداً تدخل

(١) لم يوضح المؤلف أي شيء عن الجنة التي ذكرها، لذلك عدت إلى بعض المصادر لأجد أن شداد بن عاد بن عوض بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام الملك الجبار كان ملماً بالقراءة فاطلع على ذكر الجنة، فعمد إلى بناء جنة حاول أن يوهم الناس أنها الجنة التي وعد الله بها المتقين من عباده إلا أنه مات قبل أن يراها وقد ذكرها القرآن الكريم تحت اسم (إرم ذات المعاد) وتذكر الأساطير أن هذه الجنة كانت خيالية فيها كل ما تشتهي النفس والعين لكنها بموت الملك شداد اختفت عن الأنظار،

ذكراً وإن كان فتاة تدخل أنثى. كذلك من مات سارقاً تنزل روحه إلى هرة، وإن مات ضميره وقلبه تنزل روحه [1] إلى بقرة أو ثور يفلح الأرض في كل وقت يكون قلبه متعباً، ومن مات خائناً فتحل روحه في ثعلب ومن مات متعنتاً متجبراً تدخل روحه في حية فهو دائم الخوف ويحب أن يبقى داخل الأرض.فكل خطية تدخل روح صاحبها في حيوان ويبقى يتعذب في داخل ذلك الحيوان إلى أن يترقى تدريجياً ويرجع إنساناً.

واليزيدية جميعاً و النساء خصوصاً النساء لا يأكلون ولا يشربون ما يتبقى عن أحد غريب، وتحديداً الغريب عن ديانتهم، ولهم حكايات في ذلك : أولا ـ أن منصور الحلاج [2]لما قتله الخليفة المقتدر بالله وألقى رأسه في الماء طافت

الروح على وجه الماء، وكان الخليفة كان قد أعطى أخت منصور الحلاج حريتها، و يذكر أنها قد أخذت جرتها وذهبت إلى الماء وملأتها وشربت، فدخلت روح أخيها المذكورة في بطنها، وهي لم تدر عاقبة أمرها إلى أن ظهر حبلها وولدت ووضعت ابناً يشبه أخيها، [3] كما كان وصار الشيخ المذكور ابنها من النسب ودائر لها من الحسب لذلك لا يستعملون الشرب من الشربة التي يكون حلقها ضيق، أو فيها مشبك لأجل تصويتها إكراماً للشيخ منصور المذكور، لأنه وحين ألقوا رأسه في الماء وهو يفور أخذ الماء يبربق. ثانياً ـ أن أحد الأمراء قال : كان هنالك رجل مسلم

وأخذت تظهر من وقت لآخر في أحايين متباعدة ولعدد قليل من الناس، ويحكى أن رجلاً اسمه عبد الله بن قلابة حرج في طلب إبل ضلت فناه في صحراء عدن وإذا به يطل على مدينة في قلب الصحراء فدخلها فلم ير أحداً فدهش لما رأى فيها من الجواهر واللآلئ والأشجار والمياه ثم حمل ما استطاع حمله من جواهرها وعاد إلى بلاده ليخبر قومه بما رأى لكنه لم يستطع الوصول إليها ثانية.

(١). ويقصد المؤلف المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يضمرون.

(٢) وهو الشيخ الصوفي المعروف أبو المغيث الحسين بن منصور الحلاج الذي قتله الخليفة المقتدر بالله في باب الطاقة لأنه عارضه سنه ٣٠٩ هـ. ٠٩٢٢ انظر طبقات الصوفية للسلمي ويشار هنا إلى أن الخليفة لم يرم رأس الحلاج في الماء و إنما أحرق جثته كاملة، وذرا رماده فوق الماء.

(٣) أن الشبه بين الطفل وخاله لا يؤكد ما ذهب إليه المؤلف لأن علم الوراثة يؤكد أن الطفل قد يأخذ من صفات خاله لأن الخال يشترك مع الأم في بعض المورثات.

في إحدى قرى التافكر وراء جبل الشيخ متي "جبل المقلوب" وكان قد هرب من قريته ربما قتل أحدهم أو غير ذلك، كان قد أتى ملتجئاً إلى بير من قرى الشيخان، ثم أخذ هذا الرجل المسلم المحمدي يخدم البير، وكانت للبير امرأة حسنة وجميلة وضع الرجل المحمدي خادم البير نظره عليها، فأراد أن يحظى بفرصة لقائها والاختلاء بها، لكنه لم يستطع فقد كانت نقية النفس مصوناً، [1] ومكث عندهم مدة ثلاث سنوات، وفي أحد الأيام كانت جالسة وينما هي جالسة مع زوجها شعرت العطش، فنادت الخادم أن يحضر لها الماء، فقال في نفسه : حتى اليوم لم أستطع أن أنال منها شيئاً، سأفعل هذا الأمر.. فأتاها بالماء بعد أن بصق فيه وأعطاها إياه، فشربت دون أن تنتبه لما فعله، وبعد مدة وجيزة من الزمن حملت المرأة وولدت صبياً، وكبر الولد وصار معززاً عند والديه، وكان ذلك الخادم المحمدي في تلك السنة قد رجع إلى قريته، وكبر الغلام ابن البير وصار مقتدراً لأن يتنقل ويذهب إلى بعض القرى ليقضي أشغال البيت، وفي يوما ما دخل قرية ورأى فيها امرأة فأحبها وتحدث معها ثم صارحها برغبته بالزواج منها، فقالت له : أقبل بك شريطة أن تسلم فأنت يزيدي وأنا مسلمة، فرضي بذلك ووعدها أن يوصل الحمل والدواب إلى بيت والده ثم يعود إليها. ثم توجه إلى بيت والده.

و ألقى الحمل في البيت وربط الدواب وقال لوالديه : أنا ذاهب، فسأله والده: إلى أين يا ولدي ؟ فقال : لست ولدكم ولستم أهلي، أنا رجل مسلم، ثم غادر المنزل وعاد إلى تلك المرأة ليتزوجها فطردته لأنها كانت متزوجة من رجل، وبذلك وقع في حيرة و لم يعد بمقدوره أن يعود إلى منزل والديه، فأخذ يدور من مكان إلى آخر ويتسول ويسرق وما إلى ذلك، ثم راود والدَه الشكُ بزوجته وفكر وخشي أن يكون هذا الولد من ذاك الرجل الخادم، هجس بالأمر دون أن يخبر امرأته بشيء. حتى قال لها في أحد الأيام: أنا ذاهب لأمر إلى بين المردة ولعلي لا أعود قبل شهر فلا تشغلي تفكيرك

(١) وتأتي هذه الخرافة ضمن سياق التبريرات الدينية والعقائدية التي يسوقها المؤلف بشكل خاص واليزيديون بشكل عام لتبرير عدائهم للإسلام والمسلمين، حيث يحاول إظهار المسلم كخائن وناكر للجميل وغدار.

بي، وغادر القرية وغير لباسه وارتدى ثياب دراويش السلام وتوجه نحو قرية الخادم الذي كان ضيفاً نازلاً عنده، فلم يعرفه الخادم أو يميزه من ثيابه المشققة [1] وكان قد بدل اسمه. بعد العشاء خرج وصاحب البيت واصطحبه ليسهروا عند كبير القرية، وأخذ كل رجل من الجالسين يحكي ما جرى معه من قصص وحوادث ماضية، وما قام به من أفعال في زمانه. إلا أن الخادم لم يروِ ما جرى معه في حياته، أو ما يخص حادثة خروجه من بيت والده هارباً والتجائه إلى البير، وكيف أحب امرأته ولم يتمكن من نيل شيء منها ولا حتى تقديمه الماء لها المبصوق فيه. فقال في نفسه: كنت أبحث عن هذه الحكاية. ونام تلك الليلة في القربة وفي الصباح عاد إلى بيته وقص على زوجته الحكاية من أولها إلى آخرها. ولذلك يتجنب الأيزيديون أن يأكلوا أو يشربوا ما يتبقى مما تناوله أحد غريب.

الشيوخ والبيرانية

يجب أن يكون لكل ايزيدي وايزيدية شيخ وبير ومربي : فالشيخ هو أربع أنواع : والبير يسمع : أولاً : مشايخ العابدين لملك فخر الدين. وثانياً : المنسوبون إلى شيخ حسن[2] الذي جاء من أطراف البصرة[3]. وثالثاً : شيخ أبو بكر أو شيخ بركات. ورابعاً : شيخ عبد القادر الرحماني [4]وشيخ مند باشا، أعني شيخ مني وهو ملك الجمعة. والآن ذرية شيخ مند بدون قراءة وكتابة. والبير أيضاً أربع فرق : أولهم : بير هسن

(١) أي يلبس ثياب، بقبة مفتوحة وهو ما يحرم على اليزيدي.

(٢) الشيخ حسن بن الشيخ آدي الثاني بن أبي البركات بن صخر بن مسافر الهكاري وليس حسن البصري - الختاري -

(٣) وهو الشيخ حسن البصري الذي يقدسه اليزيديون وقد وردت ترجمته في موضع آخر من الكتاب.

(٤) وهو الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي ورد ذكره أيضاً في موضع آخر من الكتاب والملاحظ أن المؤلف

ممان هذا يحكم أربعين فرقة من البيرة. وثانياً : بير أنات : وهذا من سرة مريم العذراء. وثالثاً : بير آلي. ورابعاً : بير هجال. والمربي هم من فرقة البيرة من فرقة بير أومر خالد. ونذكر هنا فرق اليزيدية : أولاً : فرقة أمير الشيخان[١]: وهذا من ذرية يزيد بن معاوية [٢] وينتسب إلى بني أمية قبل الإسلام. ثانياً : فرقة الفقير : وهؤلاء كانوا بصفة رهبان عند النصارى ويخدمون الشيخ عادي وينتسبون إليه، ودائماً يخدمون الدين وليس لهم مداخلة في أمور العالمية بل دأبهم الدعاء والصلاة، و قد كان الشيخ عادي قد أوصاهم قبل انتقاله من هذا العالم بأن يكونوا دائماً طائعين لوكيله أي أمير الشيخان وخاضعين لأمره. والفقير الذي يخالف قوانين وفرائض الديانة ويخالف أوامر الخليفة أمير الشيخان يسترجعون منه اللباس الديني أي الخرقة، ويحلقون وجهه ويطردونه من بين الجماعة [٣]. هذا ما يفعلونه مع بقية الفرق اليزيدية أيضاً وثالثاً : القوال هذا جنس القوال منذ زمن الشيخ عادي والملك يزيد [٤]، تارة يسميه الشيخ عبد القادر الجيلاني وتارة الرحماني.

الذين كانوا يقرؤون المدائح والأدعية أمام الطاووس والسناجق وهم قريبون من محل الشيخ عادي، ومسكنهم الآن في قريتي بعشيقة وباحزاني فقط، وعلى كل قوال

(١) وهذا التقسيمات لا تعكس مذاهب اليزيدية وإنما تعكس التقسيمات الطبقية لليزيدية من ناحية الترتيب الديني

(٢) وهو يزيد بن معاوية.. تولى الخلافة بعد وفاة أبيه أمر عبد الملك بن زياد والي الكوفة بمحاربة الحسين بن علي وأتباعه. مهم في كربلاء عام ٦٨٠ م. ولد يريد عام ٦٤٥ م وتوفي عام ١٨٣ م.

(٣) وفي قصة المؤلف تجريد المخالف من لباسه الديني وحلق لحيته وشاربيه لضمان عدم عودته إلى السلك الديني ولضمان نبذه من صفوف اليزيديين لأنه محرم عليهم حلق اللحى والشاربين كما مر في كلامه سابقاً، الظفر (ص : ٣٦)

(٤) و يقصد المؤلف أن القوالين ورثوا مهنتهم ومرتبتهم الدينية هذه عن الشيخ عدي ويزيد بن معاوية.

كبير أن يجمع أولاد القوالين الصغار ويعلمهم علم الغيب في صدورهم[1]. ويلقنهم جميع أمور وشؤون الديانة، حتى يكبر الولد وبعد امتحان يكون له الحق في أن يدور بالطاووس والسناجق في جميع أماكن وقرى اليزيدية. رابعاً : قبيلة الكوجك فهؤلاء يقبعون تحت سلطة بابا شيخ أي شيخ الكبير وشيخ الكبير منسوب إلى جده فخر الدين أي ملك قمر، ومن يصبح كوجك يجب أن يمتحنه شيخ الكبير ويضع له شروطاً وقوانين، وإذا وافق عليها أعطاه زناراً يربط به ظهره وحلقتين من المعدن الأصفر، وعندما يحل الضيق أو الوباء أو المصائب في العالم، يرسل شيخ الكبير إلى جميع الكواجك، ويأمرهم بالدعاء والصلوات ويطلب منهم تنبؤات في تلك البلايا أو الموت أو غير أشياء، ويجتمعون جميعهم في مكان واحد، إما في محل الشيخ عادي أو في بيت شيخ الكبير أو في سواه لثلاث ساعات تزيد أو تنقص أو إلى الصباح، ويضعون رؤوسهم على الأرض ويطلبون إلى أن يحدث اكتشاف واستشراف للقادم عندئذ يعلمون شيخ الكبير بذلك[2]. إذا مات أحد الجماعة فالكواجك تتنبأ عن محله و إلى أين صار ؟ وعن أي شكل تناسخ ؟ ـ فهم يعتقدون بتناسخ الأرواح ـ وأين صارت روح ذاك الميت ؟ هل نزل في داخل حيوان من البهائم أم دخل في أحد البشر ؟. وفي كل سنة شيخ الكبير يجمع الكواجك جميعهم عشر مرات في عشرة أعياد، ويذهبون إلى الشيخ عادي وهناك يخدمون المحل ويكنسونه وينضفونه [3] أولاً : يذهبون في (عيد رأس السنة) ويسمونه بالكردي والسرصالي وهو أول الأعياد الدينية أربعاء من شهر نيسان[4]. وثانياً : في (عيد الجماعية) وهو في أيلول في الثاني عشر منه، ويذهب الكواجك قبل الجماعة لخدمة محل الشيخ عادي ويمكثون إلى اليوم العشرين منه،

(١) أي تعليمهم ما ورد في الكتابين المقدسين لليزيدية وهما مصحف رش وكتاب الجلوة وسنذكر نصر الكتابين كاملاً في ملاحق هذا الكتاب.

(٢) قضية الحلم التي يعتقدون أن الكوجك يكتشف من خلاله علم الغيب ويمتلك المقدرة على معرفة خبايا الأمور.

(٣) تكرر الأعياد وما يصنعونه في كل عيد على لسان الملي، كما تلاحظ.

(٤) حدد هذا العيد في كتاب الديانات الشرقية : بتاريخ الثاني عشر من نيسان من كل عام.

وثالثاً : في (عيد بيرنده) وهو أول يوم من كانون الأول فهم يصومون قبل كانون الأول بثلاثة أيام وأول يوم كان هو عيد ولادة الملك يزيد، وفيه يفرحون ويشربون خمراً ويعدون خبز الكليجة.

ويوم العاشر من كانون الأول هو (عيد الأموات) منذ زمن يزيد ويمثل ظهور الشيخ عادي، وفي هذا العيد لهم عادة أن يعدوا خبز كليجة التي سبق وأن أشرنا إليها. وعيد الآخر عشرين في كانون الثاني (عيد المربعانية الشتائية).

وأول خميس من شهر شباط (عيد خضر إلياس) والبعض منهم يصومون ثلاثة أيام والبعض يوماً واحداً. و (عيد القربان) وعند الإسلام يسمى عيد الحجاج وهو تذكار لأبينا إبراهيم الذي كان قد أمره الله أن يذبح ولده إسحق [١] وأن الرب الإله قد هيأ له كبشاً بديلاً عن إسحق ابنه، وقال له: هذا عوض ابنك، وأنا قد قبلت ذبيحتك، ويكون عيدهم قبل الإسلام بيومين [٢]، وإلى الآن صورة ذلك الكبش موجودة في خزينة الرحمن [٣]

في محل الشيخ عادي من المعامل القديمة ويجب على كل يزيدي في ذلك اليوم أن يذبح ذبيحة. و(عيد رمضان) و يبدأ العيد عندهم قبل عيد الإسلام بيومين [٤]، وكان سبب ذلك أنه في زمان الملك زنك أو بدر الدين [٥] قد كان أحد من أباء

---

(١) يسمونه عيد القرآن تشبيهاً بعيد الأضحى يوم النحر في العاشر من ذي الحجة، وهو أحد الحج عند المسلمين، ويذكرون من حكمة هذا العيد أن فيه تذكار للفداء الذي أنزله الله تبارك وتعالى على سيدنا إبراهيم ليذبحه بدل ابنه، والمعتمد أن الذي أمر إبراهيم بذبحه ولديه هو إسماعيل، عليه السلام لكن الكاتب يشير إلى أنه إسحق مما ورد في التوراة من تحريف.

(٢) والهدف من ذلك مخالفة المسلمين فقط لكيلا يحسبوا عليهم.

(٣) وهي الغرفة التي تحفظ فيها الوثائق الدينية الخاصة بديانة اليزيدية ة الشيخ عدي بن مسافر في لالش بالعراق. م موجودة في ضريح الشيخ عدي بن مسافر في لالش في العراق.

(٤) عيد رمضان يقابله كذلك عيد الفطر لدى المسلمين.

(٥) ولم أعثر على ملك بهذا الاسم في زمان الشيخ عدي.

الإيزيدية سجيناً، اسمه شخ خال شمساني وهو من تلاميذ وخواص الشيخ عادي، وفي شهر رمضان أطلقوا سراحه من السجن وحضر عند الشيخ عادي قبل العيد بيومين، فالشيخ عادي لفرحه وسروره به أمر أن يكون له عيد في ذلك اليوم أي قبل عيد رمضان بيومين. وفي (عيد ليلة القدر) [1]يسهرون حتى الصباح. فينبغي على كل يزيدي ألا ينام إلى الصباح لأن الملائكة تحضر في تلك الليلة من السماء إلى الأرض وتبين في دفاتر الأرواح من سيموت في تلك السنة ومن سيولد [2]، كما تبين أن فلاناً سيولد في بطن المرأة الفلانية، وكذلك في النهار أيضاً ينبغي عليهم عدم النوم إكراماً لملك الموت والنهار وإكراماً لملك الشمس، ويعدون الأطعمة ويقتسمونها فيما بينهم، وفي اليوم العاشر من حزيران "حساب شرقي" يجب على الشيخ الكبير والكواجك وبعض من الروحانيين اليزيدية أن يذهبوا إلى الشيخ عادي ويصوموا هناك لثلاثة أيام، ثم يعودون إلى بيوتهم ليكملوا الأربعين يوماً في صوم المربعانية، وقبل نهاية الأربعين بيومين أو ثلاثة يذهبون أيضاً إلى الشيخ عادي مع قسم من جماعة الإيزيدية وهناك يعايدون (عيد الشيخ عادي). لأنه كان يصوم أربعين يوماً في الشتاء وأربعين يوماً في الصيف ويذبحون الذبائح هناك. وفي (عيد القربان) أيضاً كما أسلفنا الذكر سابقاً حيث يقف الجاويش على أعلى حجر في الجبل ويرمي طبق الخبز من على رأسه ليتلقف كل فرد كسرة تغمس بماء الشيخ عادي.

وفي كل زمن يجب أن يكون هنالك أميران : الأول موكل بالأمور السياسية وأشغال العالمية [3]وسوى ذلك، والآخر ويقال له أمير حاج مقدس ويختص بالأمور الروحانية ويصلي مع المشايخ والكواجك، وينظر في الأمور الدينية ويكون كلامه عن لسان

(١) ليلة القدر هي ليلة نزول القرآن على النبي ﷺ محمد وهي ليلة مباركة حيث يقوم المسلمون بإحيائها، لما ورد في ذلك عن النبي ﷺ، وهي في العشرة الأخيرة من رمضان. ومن الملاحظ المؤلف أن هنا لم يحدد موعد هذه الليلة.

(٢) ويقصد المؤلف من يولد وليس من يلد.

(٣) ويقصد المؤلف العلاقات الخارجية من الحكومات ومع الطوائف والأديان الأخرى، والأمير الحالي لليزيدية هو تحسين بيك الموجود حالياً في لندن.

الشيخ عادي، ويفترض بالأمير أن يكون تقياً وخفيف الروح، ومنصفاً وعادلاً يحكم بين الظالم والمظلوم، بين الرجل وخصمه بالحق، وأن ينصف المساكين واليتيم والأرامل، ويسلك مسلك العدل والاستقامة، وإن لم يكن كذلك توجب على جماعة اليزيدية طرده وإقصاءه وإحلال سواه ليقوم بتلك المهم والمسؤوليات، وإن حاد عن الحق واستعصى أمره فإنه مذنب مخطئ في الدنيا والآخرة أمام الله البشر، ولا بد من أن يكون متلقناً لحكمة وفصاحة الشيخ عادي. عرف الزمان قديماً منصور الحلاج والشيخ عبد القادر الجيلاني ثم ظهر الشيخ عادي في جبل الحكارية وأصله من أطراف حلب وبعلبك [١] فسكن جبل لالش [٢]النوراني خارج الموصل ويبعد عنها مسافة يتم اجتيازها في سفر اثني عشر ساعة. قال البعض: إنه من أهل حران [٣]ونسبه إلى مروان بن الحكم [٤]فإنه شرف الدين أبو الفضايئل عادي بن مسافر [٥] بن إسماعيل بن موسى بن مروان، بن الحسن بن مروان [٦]، وفاته سنة (٥٥٨ هـ)

(١) يناقض المؤلف نفسه فكيف سيكون أصل الشيخ عادي من حلب وبعلبك في آن واحد معاً لكن المرجح أنه من بعلبك ومصادر الترجمة كلها أكدت أنه أموي.

(٢) هكذا وردت في الأصل والمقصود جبل لالش.

(٣) حران : هي هدية عظيمة من حريرة أفور، وهي على طريق الموصل والشام.

(٤) هو أحد خلفاء بني أمية وينسب إلى بني مروان ولد في مكة عام ٦٢٣ م ونشأ في الطائف وسكن المدينة المنورة، اتخذه عثمان بن عفان رضي الله عنه كاتباً له. وعندما قتل عثمان خرج مروان إلى البصرة مع عائشة رضي الله عنها، مات بالطاعون عام ٦٨٥ م.

(٥) هو أبو محمد عدي بن صخر، وقيل : عدي بن مسافر- وهو الأشهر- ابن إسماعيل بن موسى الشامي الهكاري، ساح كثيراً وصحب المشايخ وجاهد على عدة أصعدة، ثم سكن جبال الموصل، وكان معلماً للخير، ناصحاً متشرعاً شديداً في الله، وأصله من بيت فار في بعلبك، وقد مال إليه أهل البلاد التي نزلها وسار ذكره وتبعه خلق جاوز اعتقادهم فيه الحد حتى انحرفوا عن الإسلام، ولعل ذلك كان في زمن الحسن الآتية ترجمته - توفي الشيخ عدي سنة (٥٥٧ هـ) أو ٥٥٨ وعاش تسعين عاماً « سير أعلام النبلاء » : ٢٠/٣٤٢.

(٦) لا صحة فيما ذكر بنسب الشيخ آدي بن مسافر لأنه من أهل الهكاري ورحل والده إلى الشام في بعلبك نتيجة القحط في منطقته وعاد ابنه آدي إلى مسقط رأسه - الختاري -

وقبره الآن معلوم قرار لقرية باعذرى بعيدة عن الموصل سفرإحدى عشر ساعة. الإيزيدية هم النسل الذي كان من المريدين وتلاميذ الشيخ عادي المذكور، والبعض منهم منسوبون إلى يزيد ومنهم إلى الحسن البصري [1]والشيخ المنسوب إلى الحسن البصري، هو خادم ،يخدم تربة الشيخ عادي، وثمة زنار كعلامة تميزه يضعه على جسده، ولا يستطيع أحد أن يفتي أو يقضي بشيء إلا بأمره، حين يحضر بين الجماعة يضع على يده شبكة كرشمه الجمل بينما ينحنون له باحترام. الأمراء مخصوصة بنسل آل يزيد وبيدهم شجرة النسب المنشور عن الآباء والأجداد من اليزيدية وهم يصادقون ويسلّمون بحال الروحاني والجسداني والحكم والشرف والأمر والنهي.

(١) وهو الحسن البصري بن عدي بن أبي البركات بن صخر بن مسافر شيخ الأكراد، وجده هو أخو الشيخ عدي من مواليد سنة ٥١٩ هـ ـ ١١٥٤ م وعلى يديه انحرفت الطائفة اليزيدية من حب يزيد وعدي بن مسافر إلى التقديس لهما وللابليس وتوفي سنة ٦٤٤ هـ ١٢٤٦ م بعد أن ألف عدة كتب بقيت مرجعاً للديانة اليزيدية بعد وفاته. استنكر لعن يزيد بن معاوية من قبل الدولة العباسية، ثم استنكر اللعن بشكل عام وحرمه ليتوقف اتباعه بعده أمام مشكلة لعن إبليس في القرآن، فاستنكروا ذلك وعكفوا على كتاب الله يطمسون بالشمع كل كلمة فيها لعن أو لعنة أو ابليس أو استعاذة زعماً بأن ذلك لم يكن موجوداً في أصل القرآن، وأن ذلك إضافة من صنع المسلمين، ثم أخذوا يقدسون إبليس الملعون في القرآن وهو غير الشيخ الصوفي المعروف الحسن البصري المتوفي في البصرة سنة ١١٠ هـ لأن بعض البحاثة خلطوا بين الاثنين ولذلك اقتضى الأمر التنويه، وترجع فلسفة تقديس إبليس لديهم إلى أمور هي : يسجد لآدم فهو في نظرهم الموحد الأول الذي لم ينس وصية الرب بعدم السجود لغيره في حين نسيها الملائكة فسجدوا ـ أن أمر السجود لآدم كان مجرد اختباراً وقد نجح إبليس فيه، فكافأه الله على ذلك بأن تقدسه وجعله طاووس الملائكة تمجيداً لبطولته في العصيان والتمرد. ويعتقدون بأنه لم يطرد من الجنة بل إنه لا يزال فيها. من أجل رعاية الطائفة البريدية على وجه الأرض. ولا بد أن نشير هنا إلى أنهم يقسمون بأشياء باطلة ومن جملتها القسم بطوق سلطان يزيد وهو ظرف ثوبه الموسوعة الميسرة. الندوة العالمية للشباب الإسلامي ـ مرجع سابق وجامع كرامات الأولياء للسبهاني، مرجع سابق.

القوال

القوال ملزم بخدمة الدفوف والشباب (المزمار) من مدائح الله والملائكة، والبير ملزم بالصوم والإفطار والتزين - الكوجك مختص : بتلقين الأموات وتكفينهم وتبيين مكاشفات الأحكام كالنبوة. البير ملزم بجميع بنين وبنات الجماعة من الفقراء، يعلمهم دق الدفوف والرقص وعلى عاتقه تقع الخدمة الدينية للشيخ عادي. بيش إمام ملزم بتعليم الأولاد وحفظ الكتاب وعلم الدين وأمور الملة. الشيخ ملزم بالأنبياء. والأمير مالك رقابهم وأمورهم. فالإيزيدية يأخذون الصوم والنصيحة والمعاد من النصارى [1]، والفهم من الإسلام، وأصول الديانة من الملائكة والأولياء، وتحريم المأكولات، والسجود من الوثنيين، والمخالفة من الرافضين، وذبح الأشخاص من الجاهلين، وتحليل الأخطاء من الشيوخ والأمراء [2]وملة اليزيدية تبيع من أموالها وتعطي القوالين والمشايخ وغيرهم الخيرات لأجل للملائكة، فيأخذون الخيرات ويترجونهم عند الله ويدخلونهم الجنة.

كتاب اسمه (الجلوة) [3]ينسبونه إلى طاووس ملك [4] والشيخ عادي ولا يقبلون أن يقبله أحد غير ملتهم أو يراه، وفيه كرازات غريبة وحكايات دينية وروحانية عن كل شيء ذكر فيه. توجد سبعة ملائكة وكل ملاك يدبر الكائنات عشرة آلاف سنة : أحدهم اسمه يوسيفوروس رئيس الملائكة الساقطين والعاصيين وملك طاووس ينجزون له صورة من در الجنة تشبه طير الهابيل، إذ يقول عن لسان

---

(١) القصد من المعاد (التعميد) الذي يمارسه النصارى كطقس ديني.

(٢) وهنا تؤكد المؤلفة ما ذهبا إليه في أكثر من موضع في أن اليزيدية أخذت عن المانوية واليهودية والزرادشتية والهندوسية ...إلخ.

(٣) كتاب الجلوة سنأتي على ذكر نصه كاملاً في ملاحق الكتاب.

(٤) وفي هذه الفقرة ذكر أن الملك طاووس كان ملاكاً ورئيس الملائكة لكن هناك من جعله إلهاً، وسيذكر لاحقاً أنه وزير للإله. في ذلك تناقض ظاهر في بيان منزلة الابليس.

ملك طاووس: أنا رئيس الملائكة عملت هذه الصورة من درة الجنة للأمة اليزيدية كي يسجدوا لها وكل من يزور هذه الصورة إنما يزورني فأمحو كل خطاياه، وأقبله بالصوم والصلوات والخيرات بقلب صاف، ويسجلون ويمدحون ويدقون الدفوف ويذكرون المدائح أمامه، ويجب على الأمة اليزيدية كلها في ذلك الوقت أن تقف وتقيم العيد بحس من الود و المحبة فيشاركهم الفرح ويقبل عبادتهم، حيث يتجولون به ويلفون القرى والمدن ويجتمعون حوله ويجمعون لزيارة دين القيامة الكثير من الفضة والذهب من أمة الإيزيدية، وإذا دخلت هذه الصورة بيت أحدهم تبرك البيت ومن فيه عند الله. ويقول البعض : إن الشيخ عادي هو من لاهوت وآخرون يقولون أنه وزير عظيم عند الله وكل الأمور تصير بأمره وتدبيره في الأرض والسماوات ويذكر ذلك في كـتابهم، و قبل خلق العالم كان الله الكبير يتنزه على البحر وبيده أقوال روحانية ودرة كبيرة يلعب بها، فألقاها في البحر فتكونت هذه الدنيا من الدرة [1] ويقولون هذا دور وزمان الملك طاووس وهو يدبر الكون منذ ستة آلاف سنة، ويبقى التدبير بيده حتى نهاية عشر آلاف سنة حتى تكتمل ويأتي الملك الثاني ويواصل تدبير الكون لعشرة آلاف سنة أخرى وهكذا إلى ما لا نهاية له.. ويكون هنالك اتفاق بين هؤلاء الملائكة السبعة.

كتاب الجلوة

ويذكر في كتابهم الجلوة مرة أن الإله الكبير دعا الشيخ عادي مع مريديه إلى السماء، وما كان هناك تبن في السماء لتأكل الخيل. حينئذ أمر الشيخ عادي بعضاً من مريديه بأن ينزلوا ليحضروا التبن من بيادره، وبينما ينقلون تبن الحنطة وقع بعضه على الطريق دون انتباههم، وبقي علامة لزماننا هذا، وهو الطريق المعروف "مسحال التبن والكبش" ويمتد من الشرق إلى الغرب ويبدو قريباً في كل سنة. ويقولون: الصلاة في القلب والسر، في سريرة الإنسان ولذلك لم يحددوا قانوناً

(١) الدرة التي خلق الإله منها الأرض والكواكب والتي أتينا على ذكرها سالفاً.

وفروضاً للصلاة [1] وحدث بعد مدة أربعين سنة أن جاء الشيخ عادي وجادله أهل المسلمين ثم رفضوا وصيته، ولما يئس منهم ذهب إلى السماء، ثم ظهر لهم ملاكٌ بعد موته وقال لهم : إنه هذا الشيخ عينه. عند ذلك رفعوه اتخذوا له بيتاً يكون مزاراً للزيارة، و أصبحت زيارته أفضل وأقرب إلى قلوبهم يمكن أن يقصدوه.، وكل يزيدي ملزم بزيارته على الأقل مرة واحدة في كل سنة، ومن لا يزوره ولايقدم المفروض عليه من مبلغ معلوم لدى الجميع يأتي القوالين به بحضور صورة الملك طاووس فهو كافر. ويفضلون جبل لالش، وهو أفضل عندهم من مكة والقدس. ويقولون : إن الذي يزور قرية الشيخ عادي على جمل لالش كانت زيارته أفضل وأقبل عند الله من الحج والقدس ومن الحكمة وغير ذلك، ويقولون : في يوم القيامة يحمل الشيخ عادي جميع اليزيدية على طبق يضعه على رأسه ويدخل بهم الجنة، ويغفر لهم خطاياهم القليلة دون حساب أو كتاب أو دينونة أوعذاب، وأن الشيخ عادي " أول واحد أحد له مريا بن و- ال... طريفة ومشه. لأن المشيخة كانت موصولة بالعبادة والرياضة وكان يسمع وعظ الشيخ عبد القادر الكيلاني.[2] من بغداد.

في جبل لالش كان هنالك نوراني يخط دائرة في الأرض ويقول : كل من يريد أن يسمع وعظ الكيلاني يدخل هذه الدائرة ومنه بدأت هذه العادة عند اليزيدية، إذا حدث أمر ما وأشكل عليهم و لزم الأمر أن يحلفوا اليمين، يخطُ الشيخ دائرة ويدخل فيها الذين يحلفون اليمين[3]. وبهذه الدائرة من غير الممكن أن يحلف إيزيدي

(١) لقد تم الحديث سابقاً عن الصلاة عند اليزيدية والتي تؤدى مرتين في اليوم وهي ليست كالصلاة عند المسلمين فلا ركوع فيها ولا سجود إنما هي تأدية بعض التراتيل في القلب.

(٢) وهو تأكيد ما ذهب إليه المؤرخون من أن التقى الشيخ عبد القادر، انظر للشهرستاني وجامع كرامات الأولياء.

(٣) هذه بدعة لا أساس لها - الختاري -

كذباً مطلقاً.[١] حتى أنهم لا يأكلون الخس [٢] إذ يقولون أن الشيخ عادي مرَّ ذات يوم على بستان فرآه مزروعاً بالخس، وحين سئل عنه أجاب الشيخ عادي بما في معناه أنه يجب ألا يأكله أحد منهم، فهو إلى الآن محرم على كل يزيدي فلا يأكله ولا يطأ أو يدوس الأرض المزروعة به. [٣]. ويقولون : إن شهر رمضان كان أصم أطرش فلما أمر الله تعالى الموم على النصارى والإسلام وأمر الإيزيدية بلسان الكردي (سي) أي ثلاثة لا ثلاثين[٤]، وكذلك بالنسبة للإسلام لكن من حيث رمضان كان أطرشاً فقد فسرها (سي) ثلاثين، لهذا يصومون شهر رمضان ثلاثين يوماً. ولهم مزارات وقبب وعلى كل قبة من هذه القبب جعلوا علماً من الخام الأبيض كعلامة للغلبة ونصر للمشايخ، وهم لا يأكلون لحم الغزال فهم يعتقدون بأن عينيه تشبه عيني الشيخ عادي، ولهم اعتقاد بأنه في العالم المزمع يوجد أكل وشرب ولذات اللحم والجسد، وبعضهم يقولون إن حكم السماء بيد الله وحكم الأرض بيد الشيخ عادي، وآخرون يرون أنه شريك المواهب وهو مقبول وعزيز الخاطر حتى أن الله لا يضيع مرامه بكل ما يريد..

---

(١) وللدائرة قصة أخرى في المعتقد اليزيدي، فإذا رسمت دائرة على الأرض حول اليزيدي فإنه لا يخرج منها حتى تدر قسماً منها اعتقاداً منه بأن الابليس هو الذي أمرك بذلك. انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، مرجع سابق.

(٢) يحرمون أكل الخس والقرع و الفاصولياء و هناك آيات تقول أن ذلك سبب ذلك الاعتقاد بأن الابليس يسكنها، كما يحرمون كبل لجميم الديكة والطاووس المقدس عندهم لأنه نظير إبليس طاووس الملائكة، كما يحرمون لحم السمك والغزلان ولحم الخنزير ويحرمون اللون الأزرق لأنه أبرز لون في ألوان الطاووس كما يحرمون الثياب ذات القبعة المفتوحة. درويش حسبون بون، ١٠ ١٠ ١٩٩٢

(٣) الخس قذر يصعب تخليص أوراقه من الأوساخ المخفية بين أوراقه وليس محرماً دينياً. — الختاري.

(٤) لايوجد نص ديني أو حكاية موثقة - الختاري -

حلول الأرواح

ويعتقدون بالحلول وسكون أرواح مع أرواح إذ تنتقل الروح من مكان إلى مكان آخر، من محل رديء إلى محل أجود وأطيب حسب استحقاقها والإنعام عليها. وعلى زعمهم أن شرف الدين بن كوجك إبراهيم أمين نفسه من اليزيدية جعفر من العجم يأتي بنسخ شريعة محمد[1].

الخدمة العسكرية وتطبيقاتها

وأن جماعة اليزيدية لا يمكن أن يكون رجالها عسكراً ففي [2] سنة ١٢١١ م، حضر من استانبول من طرف سلطان الإسلام مأمور طاهر بك أمير ألاي لكي يأخذ عسكراً من الموصل وأطرافها من ملة الإيزيدية، لكن هذه الملة بأميرهم وأكابرهم وشيوخهم ومجمل الجماعة لا يمكنهم أن يكونوا عسكراً أو يختلطوا بأبناء ملة الإسلام. وتوجبت عليهم أمور:

اولاً: على كل نفر منهم صغيراً كان أو كبيراً امرأة أو رجلاً أن يزور طاووس ملك ثلاث مرات في السنة وإلا فيكون كافراً.

ثانياً: على كل شخص من اليزيدية أن يزور تربة الشيخ عادي في كل سنة مرة وذلك في اليوم الاثني عشر من شهر أيلول إلى العشرين منه وإن لم يفعل فإنه كافر.

---

(١) هكذا وردت في الأصل ومعنى هذه العبارة غير واضح تماماً إنما قد يكون لها علاقة بما يذكره ابن خلكان عن البريدية ورئيسهم يزيد بن أنيسة أنه رغم أن الله تعالى سيبعث رسولاً من العجم وينزل عليه كتاباً قد كتب في السماء وينزل عليه جملة واحدة ويترك شريعة المصطفى محمد ﷺ راجع الملل والنحل للشهرستاني. صبعة مصر. جزء أول. ص ١٨٢

(٢) وهنا نفهم سبب عدم انخراط اليزيديين بجدية ما أدى إلى الحملة التي جرت ضدهم في عام ١٩٥٤ م من قبل حكومة بغداد وبعض الحملات التركية السابقة في العهد العثماني.

ثالثاً : يلزم على كل يزيدي في كل يوم عند طلوع الشمس أن يزور مكان شروق الشمس بشرط ألا يراه مسلم وغير ذلك وإن لم يفعل فهو كافر.

رابعاً : يلزم على كل يزيدي في كل يوم تقبيل يد أخيه الأكبر أي خادم الهداء ويد والده ووالدته وإن لم يفعل فهو كافر.

خامساً : غير مقبول أن يسمع صلاة المسلم لأنه سيقول: الجواب المبغوض من ديانة اليزيدية. [1]وإذا سمع اليزيدي هذا الجواب فبحسب قواعد الديانة يلزم أن يقتل القائل أو يقتل نفسه وإلا يصوم أسبوعاً ويذبح ذبيحة لوجه الملك طاووس المكرم.

سادساً : إذا مات يزيدي يلزم أن يتواجد عنده أخوه أخ الآخرة وشيخه وبيره، ليقرأ أحدهم عليه ثلاثة أقول: يا عبد ملك طاووس يلزم أن تموت على دين معبودنا وهو ملك طاووس ولا تموت على دين غير من الملك طاووس وإن جاءك أحد وقال لك مت على دين الإسلام أو اليهود أو غيرهم من الأديان غير من الملك طاووس فلا تصدقهم فإذا صدقت وآمنت بغير معبودنا تكون كافراً.[2].

سابعاً : عندهم تراب يسمونه بركات من تربة الشيخ[3] يتوجب على كل نفر لديه منه أن يأتي به ويأكل منه في كل صباح وإن لم يأكل عن نية ورغبة في ذلك يكون كافراً إلى وقت موته.

---

(١) يقصد (أعوذ بالله من الابليس الرجيم) لأن فيه وصفاً للابليس بالرجيم.

(٢) وهناك ترتيل خاص بالأموات يقولون فيه يا بن آدم المسكين... يا بن آدم الفقير ما هذه الدنيا إلا دار السكارى... إنها مثل حلم الليلي مثل الملك مثل نقل الأشجار يلقى كل يوم جديداً... أين سليمان الحاكم ؟ أين بلقيس التي ذاع اسمها ؟ لك البقاء يا رب إنهم تركوا الدنيا... أين درويش حامل المسبحة والوقاص ؟ لك البقاء يا رب. يا بن آدم لا تكن طماعاً في هذه الدنيا، لا تجمع المال جمعاً فالدنيا لم تدم لأحد، ألوف الحسرات والويلات والثبور على عدم خلود ذوي الأخلاق الفاضلة والشفاه المعسولة لكي يحدثونا لتنهمر دموعنا بغزارة، فالألم والبكاء لا يفيدان الكفن والقبر المكتوبات لنا. انظر اليزيدية واليزيديون – د. خلف الجراد ـ اللاذقية دار الحوار ١٩٩٥.

(٣) - تربة الشيخ عدي التي يتبركون بها ويحملونها أينما ذهبوا.

ثامناً : يلزم على كل فرد يزيدي أن يصوم في محله لا في محل آخر، لأنه في كل يوم من أيام صومه يجب أن يذهب صباحاً إلى شيخه أو بيره ليمسك الصيام، وفي المساء عند الفطور يفطر من يدهم خمراً مقدساً وإن لم يشربه من فلا يُقل صومه ويكون كافراً.

تاسعاً : إذا سافر اليزيدي وبقي في غير بلاده نحو سنة أو أكثر تحرم عليه امرأته ولا يعطى خلافها. وإذا أُعطي صار كافراً.

عاشراً : إذا خاط أو اشترى اليزيدي قميصاً فيلزم أن يفتح أخ أو أخت الآخرة زيق القميص الجديد، وإن لم يحدث قبل أن يلبسه يكون كافراً.

البند الحادي عشر: يلزم على كل ايزيدي قبل أن يرتدي ثوباً جديداً أو لباساً أن يعمده بماء زمزم المبارك الموجود في حضرة الشيخ عادي، وإن لم يفعل ذلك فقد كفر.

الثاني عشر : يُمنع اليزيدي من أن يلبس ثوباً كحلياً منعاً باتاً، [1] أو أن لا يسرح شعره بمشط مسلم أو يهودي أو أن يحلق رأسه بموس هؤلاء، وفي حال الضرورة الملحة يلزم أن يغسله أولاً بماء الشيخ عادي وخلاف ذلك كفر.

الثالث عشر: اليزيدي حسب ديانته لا يباح له أن يدخل بيت الخلاء ولا الحمام ولا أن يأكل لحم الميت الحلال وإن فعل فقد كفر.

محرم عليه أن يتزوج من امرأة أخيه أو امرأة عمه أو امرأة خاله أو أختين وإن حدث فقد كفر، وإن تزوج بامرأة وولدت له أولاداً فلا يجوز له أن يأخذ خلافها زوجة، وإن لم يُرزق بأطفال منها يجوز له الزواج من غيرها، ويجب ألا تكون امرأة كبيرة في السن لتنجب الأولاد.

الرابع عشر: يوجد اختلاف كثير في مأكولات اليزيدية عن باقي الطوائف، فمنهم لا يأكلون السمك إكراماً للسمكة التي حفظت يونان [1]النبي. ومنهم لا يأكلون

(١) لأنهم يحرمون اللون الأزرق لأنه أحد ألوان الطاووس.

القرع أو الباميا ولا الفاصولياء، أو الحشيش المسمى بالخس، فهذا ومكانه نجسان ومحرم تحريماً قطعياً على عموم اليزيدية. فلأجل هذه الأسباب وغيرها لا يمكن ليزيدي أن يصير لري، فقدموا استدعاء بهذه الصورة للولاية وأعطوا مبلغ دراهم لأرباب الحكومة وإلى رضا طاهر بك أمير ألاي والي أركان حرب، فكانوا يدفعون بدلاً نقدياً ليُعفى من مهمة العسكرية، واستمروا على هذه الحالة حتى يومنا هذا. (٢)

وهنالك يوم معلوم تجتمع فيه طائفة اليزيدية من أماكن قريبة وبعيدة ويسمون هذا الاجتماع "طوافات" لتربة الشيخ محمد في قرية بعشيقة حيث يقضون هناك مدة ثلاثة أيام. حيث تجمع مرتبات الأنبياء في ديار الموصل في الربيع في آذار ونيسان. ونهار الجمعة أول الأربعاء في كل شهر نيسان يقيمون محفلاً ويقوم أهالي القرية بالضرب على الدفوف والزرنايات، ويشربون المسكرات ويقرعون الطبول ويرقص الرجال والنساء سوية. وكما يزعمون : أن الشيخ عادي مجاهد وعابد، وكان يكشف لمريدينه كشوفات وأسراراً حتى في حال كانت الحيات والهوام والسباع تلتف حوله،، و بعض مشايخهم ينطقون بعلم الغيب والأمور الماضية والمستقبلية كنبوءات الوحي ومكاشفات تكون بخلاف وضد عقول البشر، وقد رأى أحد شيوخنا شخصاً طويلاً طوله ستون ذراعاً كان بشكل جاموس وصورة الحية، وذلك من أوليائنا ومشايخنا وأربابنا الذين يتبدون لهم على تلك الشاكلة وغيرها، وقد كان الشيخ عادي يسكن

---

(١) ويقصد التي يونس الذي بقي في بطن الحوت لمدة طويلة حيث يقول تعالى في القرآن الكريم « ذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه ونادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين، والكاتب يتبنى هنا إلى التسمية اليهودية للنبي يونس.

(٢) لا بد أن نشير هنا إلى أن أموراً كثيرة قد تغيرت، والقناعات التي كانت سائدة في صفوف اليزيديين في عهد المؤلف تغيرت كثيراً في العهد الحالي حيث اتجهت الأجيال الجديدة منهم إلى المدن طلباً للعلم والعمل فاختلطوا بالناس ضاربين بعرض الحائط الكثير من توجيهات رجال الدين التي كانت بديهيات مقدسة لا يجوز تجاوزها.

قرب بحر الميت يأمر الريح فيسكن الهواء في اللحظة ذاتها.[1]. ونذكر بعضاً من كتاب الجلوة الموجود عند الإيزيدية من يزيد[2]: قبل وجود الخلائق كلها أرسل الملك طاووس عبده إلى هذا العالم ليُفهم شعبَه الديانة اليزيدية ويوثق هذه الجلوة، ولا يجوز لمن هو خارج هذه الديانة أن يقرأها.

الفصل الأول: أني كنت موجوداً وإني أبقى إلى النهاية وأنا متسلط على الخلائق وتدبير مصالح الأمير لكل الذين تحت حكمي ويقدرني ويدعوني لوقت لحاجة. ولا يخلو مني مكان لأني أصير حسب مرامهم. مدبر بكل مكان وزمان وذلك كمشورتي كل جيل يتقي رئيس هذا العالم، رؤساء مني يكونون، كل واحد بدوره يكمل وظيفته. أعطي الرخصة بل أعطي رخصة بالحق للطبيعة المخلوقة بأخلاقي. يندم ويحزن الذي يقاومني من الملوك الآخر وليس لهم مداخلة بشغلي وصنعي. مهما كانت الكتب الموجودة بيد الخارجين، ولو كتبها الأنبياء والمرسلون عني لكن زاغوا وبدلوا وكل واحد يبطل الآخر لأن كل واحد منهم يدعي الحق معه الحق والباطل معلوم، يقعون في التجربة الذين يتكلمون عني، يندم الذي يخالف رأيي، المديرون والمطمئنون أنا أوكلهم. الأوقات معلومة مني. أذكر أموراً وأحرك الأشغال اللازمة في حينها. أرشد وأعلم الذين يتبعون تعليمي ويجدون لذة وفرحاً في وقتهم معي.

الفصل الثاني: أكافئ وأجيز هذه بأنواع عارفها. بيدي فضلت على كل من كان في الأرض وفوقها تحت أمري. ولا أقبل مصادمة عوالم أخرى ولا أمنع خيرهم. مخصوص

---

(١) لعله يقصد قرب البحر الأبيض المتوسط حيث كان الشيخ عادي يسكن مدينة صيدا على السواحل اللبنانية.

(٢) كتاب الخلوة وهو كراس صغير يقع في ثماني صفحات ويحتوي على / ١٠٩ / عدة أسطر، ويحثون فيه على أقوال وأوامر ونواهي نسبت إلى الملك طووم الذي وجد قبل سائر المخلوقات كي يقود اليزيديين إلى الطريق القويم حسب الكتاب لغة وكما سرى فإن الملك طاووس يتكلم فيه، بضمير المتكلم عن خلوده وقوته وتفوقه ووجوده الكلي والتعهد بإرسال رجل عظيم إلى الأرض في كل عصر.

الذين هم خاصتي وتحت طاعتي. أسلم شغلي بيد من جربتهم أهدي من عطاي وحسب مرامي. أظهر بنوع من الأنواع وشكل من الأشكال للذين هم أمينون وتحت شوري. أحد وأعطي وأعني وأفقر وأسعد وأشقي حسب الظروف والأوقات وليس لأحد حق أن يتدخل أو يمنع شيئاً من تصرفي، أجلب الأوجاع والأسقام للذين يقاومونني. لا يموت الذي هو حزبي كسائر بني آدم لا أسمح لأحد بأن يسكن في عالم الدنيا أكثر من الزمان المحدود مني، وإذا أردت أرسله ثانية وثالثة إلى العالم بتناسخ الأرواح.

الفصل الثالث : أرشد بدون كتاب، أهدي غيباً أحبائي وخواصي، تعليمي هو في كل حين موافقة. الوقت والزمان. أنا أقاصص الذين يخالفون شرائعي في عوالم الآخرة. بنو آدم لا يعرفون الأحوال المزمعة لذلك يسقطون أوقات كثيرة بالغلط. حيوانات البر وطيور الهواء وسمك البحر جميعها بيدي وتحت ضبطي. الخزائن والدفائن التي تحت قلب الأرض معلومة داخلها، وأنا أسلمها من واحد إلى آخر. أظهر معجزاتي وعجائبي للذين يقبلونها ويطلبونها مني في وقتها. مضادة ومخالفة الأجنبيين لاتباعي هي ضرر عليهم، لأنهم لا يدرون أن العظمة والثروة بيدي وأعطيها لمن تليق به من نسل آدم. تأخير العوالم وانقلاب الأجيال يجري من يدي ومعلومة مني منذ القديم.

الفصل الرابع : حقوقي لا أعطيها لغيري من الملوك، الأربعة عناصر وأربعة أزمنة وأربعة أركان سمحت بها لأجل ضروريات المخلوقين، كتب الأجانب مقبولة نوعاً ما بالذي يطابق سنني وعلمي، ثلاثة أشياء هي ضدي وثلاثة أسماء أبغضها. الذين يحفظون أسراري ينالون مواعيدي، جميع الذين يحتملون المصائب بسببي لا بد أن أكافئهم في أحد العوالم، أريد أن يتحد برباط واحد كل تابعي، لأجل مضادة الأجانب لهم.

إلى الذين عندهم وصاياي : أنكروا أقوال كل تعليم ليس من عندي لا تذكروا اسمي وصفاتي ومدائحي أمام الأجانب لئلا تخطئوا لأنكم لا تدرون ما يفعل الأجانب.

الفصل الخامس : أكرموا شخصي وصورتي لأنها تذكركم بي، وما أهملتموه من شرائعي، أطيعوا واخضعوا لخدامي وامدحوهم كما يلقنونكم من علم الغيب الذي من عندي.[1]

قصر الأمير إسماعيل بك بن عبدي بك في مركز قضاء سنجار،، وابى الا ان يظل شامخا رغم الظروف والويلات والاباده يحكي للاجيال تاريخه العريق،،

[1] الجلوة حسب رواية المؤلف له .

الاميره عمشه حمزه بك واولادها الأمير بايزيد واخيه الأمير معاويه اخذت الصوره عام ١٩٥٩ في مدينة الموصل...

بعد قيام الدولة العثمانية بحملة الإبادة الجماعية على الايزيديين في سنجار، بسبب احتوائهم للأرمن، عندما لجئوا اليهم.

وفي تموز من العام ١٩١٨م استطاع الأمير أسماعيل بك ان يصل الى الحامية البريطانية سراً، لإخبارهم عن ما تعرضوا له من اضطهاد وقتل من الدولة العثمانية آنذاك .حيث قامت قبيلة شمر (الجربا) بمرافقة الأمير، وتوفير الحماية له ولعائلته حتى وصوله الى سنجار، وعلى اثرها وعند عودتهم الى سنجار التقوا برجل الدين الأيزيدي (فقير) حمو شرو في سنجار. طلب من شمر مساعدة الايزيديين والوقوف معهم وشكرهم على مواقفهم مع ابناء قومه وأميرهم....

للمؤلف، جونس ليست، ترجمة عماد جميل مزوري، كتاب :تاريخ الايزيديين /٢، ص ٣٨٩.

فالح الشمري

قبر المرحوم اسماعيل بك في سنجار بعد ان تم تجديده بعد ان هدمته عصابات داعش مع قبر ولديه بايزيد ومعاوية خلال هجومهم على مدينة سنحار ٢٠١٤ وهدم جميع الاضرحة والمزارات فيها

الأميرة عمشة بنت حمزة بك زوجة إسماعيل بك

ميان خاتون وابنها سعيد بن علي بك الثاني ١٩٣٠م

القنصل البريطاني، فلاح النقيب، ملك فيصل، إسماعيل چول بك

إسماعيل چول بك وفي الوسط (الجالسين) المطران عيسى وعلى يساره حمو شرو وشيخ خضر القيراني ١٩٢٠

هذه الصورة التقطت عام ١٩١٩م في شنكال، في الوسط الفقير حمو شرو حاكم شنكال وعلي يمينه الأمير إسماعيل چول بك والمسيحي خوري هرمز وعلي يساره حسين علي خضر محمي الهبابي .

رئيس هسكان الجالس في أقصي اليمين ورئيس القيران الجالس في أقصي اليسار

الأمير اسماعيل بك مع اولاده الاميرة ونسه والأمير يزيدخان والشخص الاخر غير معروف...رحمهم الله واسكنهم فسيح جناته

اخذت الصوره عام ١٩٢٠ تقريبا

إسماعيل بك مع درويش حمو شرو

مفتي الحلب درويش باشا، الأمير كاميران بدرخان بك، اسماعيل بك، الجالس ايزيدخان ١٩٢٥، الشخص الواقف (درويش شمو) من وجهاء ايزدية عفرين.

االأمير بايزيد في تركيا ١٩٧٥م

الأمير بايزيد في يريفان روسيا ١٩٧٩

الأمير معاوية مع كبار المسؤولين في الدولة العراقية سنة ١٩٦١

الأمير معاوية مع الزعيم عبدالكريم قاسم

الأمير بايزيد مع رئيس مصر جمال عبدالناصر

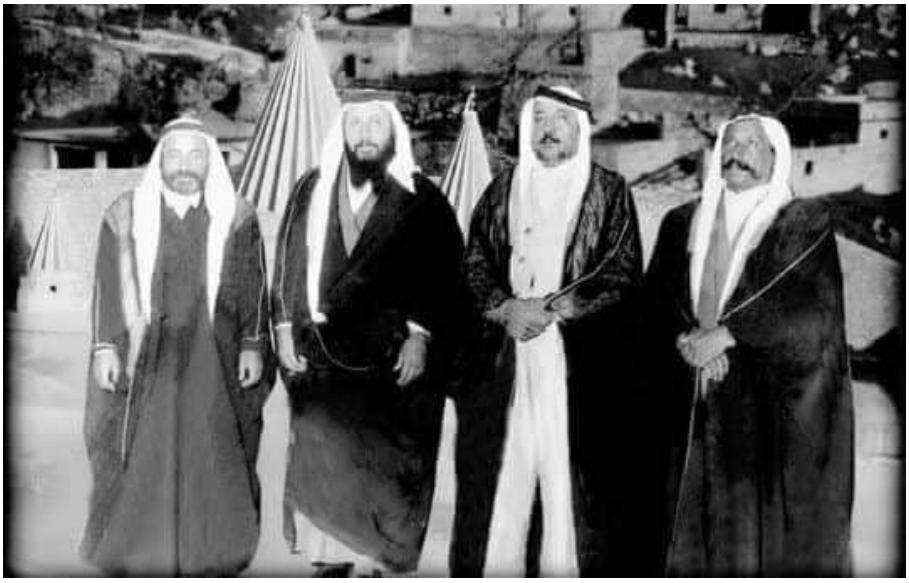

اولاد اسماعيل بك الاربعة بايزيد ومعاوية ويزيدخان وكوكس . اما الابن الاكبر عبد الكريم فهو كان قد توفي منذ سنوات ولهذا لم يظهر في الصورة

الأمير معاوية، جودت صوناي رئيس التركي ١٩٦٢

معاوية وكوكس أبناء الأمير إسماعيل بك

بايزيد يهنىء الملك حسين الاردني بمناسبة تخرجه دورة اركان

بايزيد عند ايزيدية تركيا ١٩٧٥م

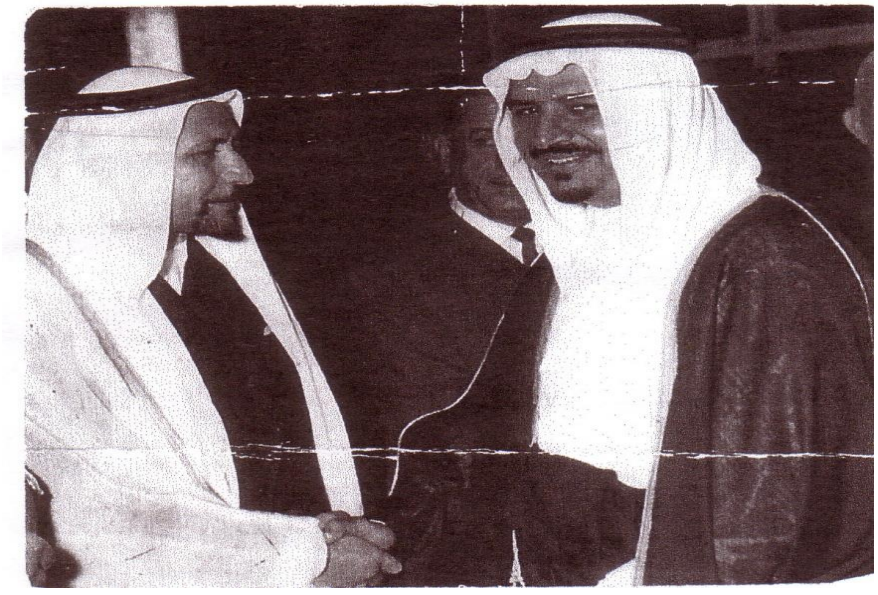

الأمير بايزيد مع الأمير سلطان بن عبدالعزيز ولي عهد السعودية

الأمير بايزيد مع ايزيدية روسيا ١٩٧٥م

الأمير معاوية مع قائد الثورة الكردية المناضل ملا مصطفى البارزاني

الأمير معاوية مع ايزيدية أرمينيا

33 *Mir Ali Beg in 1909, photographed by Gertrude Bell. A kawal stands to the right of the Mir and the Chaldean secretary to the left. Gertrude Bell's Armenian servant stands behind the Mir.*

شيخ خلف دينار، تيلي خالتي، الأمير جلال سعيد بك، نقيب مروان بايزيد إسماعيل بك، المناضل في الثورة الكردية علي بير جوقي، الأميرخيري سعيد بك، الأمير معاوية إسماعيل بك

الأمير بايزيد مع سالم الصباح رئيس وزراء الكويتي وخلفه الرئيس العراقي أحمد حسن البكر

The Prince Mouawiah with his wife and the sheikhs Ismaïl Agha, Yousef, Osman Agha el Ghazali, the leaders of the Yazidi zaroastre communiti in Turky in a religious ceremony in 1966.

سنة ١٩٦٦م من اليمين الأمير معاوية وزوجته رؤزا، بيشمام اسماعيل الجيلكي، ابراهيم يوسف عنابي رئيس انقوسيا، يوسف شيخ ميرؤ شمزكي، الاخير من الخلف خليل حسو تاغاي كورخي

المراجع الرئيسية

١- عبدالكريم فندي الدوسكي، ديوانا بكر بكَ ئه رزي، مطبعة الحوادث، بغداد ١٩٨٢

٢- جون س كيست، تاريخ الايزيدية، ترجمة عماد جميل، دار سبيريز دهوك ٢٠١١

٣- إسماعيل بك جول: اليزيدية في الماضي والحاضر، طبعة زريق قسطنطين ، بيروت ١٩٣٣

٤- كوردستان له بەلگەنامەكانى كونسلى فەرەنسى له بەغدا سالى ١٩١٩، بەرگى يەكەم، نەجاتى عبدالله له فەرەنسييەوە كردوونى به كوردى پێشەكى و پەراوێزى بۆ نووسيون، بنگەى ژين سليّمانى ٢٠٠٤

٥- عباس العزاوي: تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم، بغداد ١٩٣٥

٦- داود مراد ختاري، الايزيدية في الوثائق الفرنسية، دهوك ٢٠١١

٧- داود ختاري،الحملات والفتاوى على الكورد الايزيديين، دار سبيريز للطباعة والنشر، دهوك ٢٠١١

٨- إسماعيل چول بك، اليزيديون عقائدهم وعاداتهم، إعداد وتعليق ممدوح الزوبي ١٩٣٣

٩- صديق الدملوجي: اليزيدية، الموصل ١٩٤٩

١٠- Pir xidir sileman, simayil beg,kovara ezdinas 1. Navenda lekolinen ezdinasiye, Oldenburg 2014, l 105-117

١١- حسن المولى، سنجار في العهد العثماني، رسالة ماجستير من جامعة الموصل

١٢- Layard، Discoveries among the Ruins of Nineveh and Babylon

١٣- https://sematv24.blogspot.com/2018/09/blog-post_19

١٤- منتدى أنا حرة (عن حياة الأمير إسماعيل چول بك أمير شنكال)

١٥- Esker boyk, firmana resh . oldenborg 2011

١٦- الارشيف العثماني (٢٥) وثيقة

٤- هەڤپشكيا زمانێ كوردى لگەل زمانێن كەفن، (المشتركات بين اللغة الكردية واللغات القديمة) باللغة الكوردية

٥- جانكير أغا

٦- إمارة خالتا

٧- حملات حافظ باشا

٨- تاريخ ختارة

٩- امارة شيخان

١٠- حملات الفريق عمر وهبي باشا

١١- شخصيات إيزدية (ميان خاتون، علي بك الكبير، حمو شرو، داود الداود، يوسف بك الهسنياني، ميسكي زازا، علي بك السيبكي)

١٢- منشورات (مشورات) بيرانية الإيزيدية

١٣- وضع الإيزدية في ارمينيا

١٤- بيبلوكرافيا الإيزدية

الذي لم يهدأ له بال بل غامر بحياته ولمرات عدة (وهو يمطتي فرسه لا طائرة لوفهانزا) ليطرق أبواب أعلى المراجع من القوى العظمى حينذاك من روسيا القيصرية والباب العالي العثماني ومن ثم قصد الانكليز الذين دحروا قوات المحور بما فيهم حلفائهم العثمانيون ليعرض على الجميع الغدر المزمن الذي يعانيه بني جلدته الايزديين من مجاوريهم على أمل تخفيف معاناة الايزديين المنكوبين لكن وللأسف خذله الايزديون قبل غيرهم ولو سايره لم يكن هناك مثل ما يحدث الآن من قيل وقال (هذا شنكالي وهذا وه لاتي)، ولو قبل الأمير اسماعيل بك بالمنصب الذي عرضه الانكليز عليه بأن يكون حاكم عموم شنكال والتي كانت بضمنها ناحية تلعفر وأراضي مجاورة لشنكال وحاليا ضمن حدود سوريا حيث رشح لهم بدلا عنه المغفور له (حمو شرو) لكانت للايزديين كيان مثل تلك الكيانات والإمارات الخليجية الكويت، قطر، الشارقة، دبي وغيرها... للوقوف على تفاصيل أكثر عن حياة هذه الشخصية الكارزمية بالامكان قراءة هذا الكتاب الذي بين أيديك من تأليف زميلنا الباحث استاذ داود مراد ختاري الذي بذل جهوداً مضنية لإلقاء المزيد من الضوء على سيرة هذه الشخصية الايزدية المثيرة للجدل في أحلك الظروف التي عاش فيها الايزديون نشد على يد زميلنا الختاري متمنين له التوفيق والمزيد من البحوث..

بير خدر سليمان

داود مراد ختاري

الأمير إسماعيل چول بك

(١٨٨٨ - ٩ آذار ١٩٣٣)